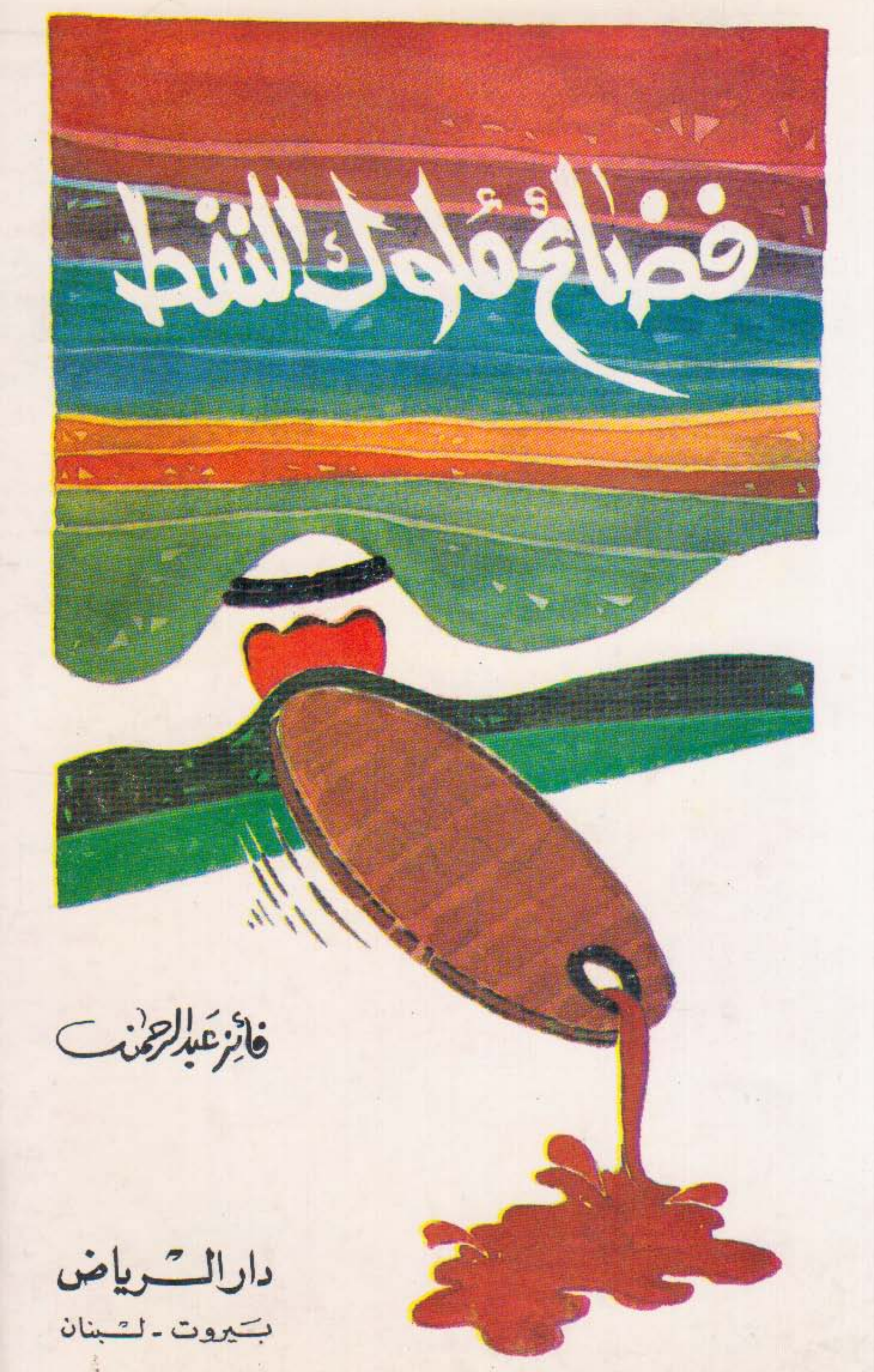

فضائح ملوك النفط
فائز عبد الرحمن
دار الرياض
بيروت - لبنان

فائز عبد الرحمن

فضائح ملوك النفط

دار الريَّس
بيروت - لبنان
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٩٨٩

المقدمة

يقول سبحانه وتعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾.

صدق الله العظيم

ولشدّ ما يتأكد حكم الله سبحانه وتعالى هذا في فضائح وفسق شيوخ النفط الذين نهبوا وما يزالون أموال الأمة لينفقوها على ملذاتهم وشهواتهم وفجورهم الذي لا يعرف الحدود، بينما هم يتشدقون كذباً ونفاقاً بالحديث عن الإسلام وقيم الإسلام وأخلاق الإسلام.

وإيماناً منّا بحق أمتنا أن تعلم الحقائق، كل الحقائق، نقدم هذا الكتاب الحافل بما يرتكبه الفاسقون من سارقي النفط، ليس من باب الحصر، ولكن من باب تقديم «العينات» والأمثلة على ما يجري في منطقة الخليج. فمن حق الشعب أن يعرف، فالشعب هو المحكمة الفاصلة، ولا بد أن يطلع ويعرف حتى يحكم.

ودافعنا الثاني لنشر هذا الكتاب هو أن هؤلاء الشيوخ راحو يمدون موجة الفساد في الخلق والضمير إلى خارج قصور الفاسقين من الشيوخ وسماسرتهم وأعوانهم وإلى مجتمعات الخليج عامة، يريدون أن يحطموا قيمها وأخلاقها ودينها حتى تبقى خاضعة لهم. ولكن عين الله لهم بالمرصاد، وأنّ الله يمهل ولا يهمل..

المؤلف

تمهيد

العرب قادمون !
لندن للبيع !

يمكن القول، حسب رأي الصحافة البريطانية، أن العرب قرروا اعتبار لندن موطنهم الجديد، حين اشترى الشيخ زايد قصره الأول في لندن بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه استرليني عام ١٩٧٥ .

فقد انتقلت عائلة الشيخ زايد الى تلك البقعة الراقيـة من لندن، وأصبحت جارة لنائب برلماني من حزب المحافظين، كان غالباً ما يثور ويندفع باتجاه قصر العائلة ويجبرها على إغلاق نوافذ قصرها حتى لا يصل صخبها إلى أسماع عائلته!!

خارج بوابة القصر تقف سيارة ليموزين طويلة فارهة على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم، وغالباً ما تعود من رحلاتها، محملة بنساء يرتدين خماراً أسود، وينزل السائق **(الانكليزي طبعاً)** ليحمل لهن الأكياس البـلاستيكية الخضراء المحشـوة بكل غـال

وثمين من مجلات هارودز المشهورة ومحلات ماركس أنـد سبنسر الأكثر شهرة في اتهام العرب بالسرقة واللصوصية.

أما بنات الشيخ زايد المـراهقات فيقضـين النهار لاعبـات لاهيات في الحدائق المحيطة بالقصر.

بعد ذلك قامت شركات عقارية متخصصة ببيع العقارات للعرب النفطيين، ورفعت الأسعار بشكل جنوني، فاشترى منها عرب «مجهولون» (ولكنهم من رجال الشيخ زايد) أرضاً شاسعة في اسكتلندة بمبلغ مليوني جنيه، وتحول العرب إلى حكايات اسطورية بعد، خاصة في مناطق بريطانية الجنوبية، حيث اشترى الشيـخ زايد قصراً آخر في منطقة سسكس، غالباً ما يصل إليه على ظهر طائرة هليكوبتر خاصة لقضاء بضعة أيام فيه كل عام.

ولكن تبقى لندن مركز العرب الأول: فهي موطن صالات القمار، ومحط أنظار العرب الهائمين حباً بنوادٍ معينة لا داعي لذكر اسمها الآن.

لكن كان هناك بعض الشواذ، ففي نفس ذلك العام اشترى عدنان الخاشوقجي منزلاً فخماً في الشارع الخامس في نيويورك، وسرعان ما تبعه كمال أدهم، رئيس المخابرات السعودية، فاشترى منزلاً مجاوراً لمنزله بمبلغ نصف مليون دولار. ولكن الخاشوقجي يملك منازل أخرى في قلب لندن، خاصة منـزله الفخم المجـاور

لمنزل أحمد زكي اليماني قرب «مي فير». اشترى زكي الشقة بمبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه فقط، ولكن أحواله تحسنت حين بدأ الخاشوقجي «يعيره» سفينته لكي يطوف بها جزر البحر الكاريبي ويمضي إجازته الربيعية فيها.

أما سفير دبي (أي سفير الإمارات العربية المتحدة في لندن) فقد اشترى في نفس الفترة قصراً في منطقة كنت دفع ثمنه نصف مليون جنيه. وكان السمسار شخصاً يدعى «كورنفيلد» وهو الذي جنى أرباحاً طائلة جداً من مهدي التاجر، ولكن يبدو أن شجاراً وقع بينهما، وغضب التاجر من كورنفيلد، وعندها فقط اكتشف أنه يهودي يتعامل مع إسرائيل، ويبيع الأملاك الاسرائيلية فطلب إنزال اسمه على القائمة العربية للمقاطعة، وهكذا كان!!

ثم بدأت العائلات العربية النفطية التي تقطن أجنحة خاصة في الفنادق بشراء عقارت خاصة بها، خاصة بعد أن فجر الايرلنديون القنابل في فندق هيلتون في لندن، فارتفعت أسعار الشقق، وارتفعت إيجاراتها أيضاً، حتى وصلت في تلك الفترة إلى ٤٠٠ جنيه في الأسبوع الواحد..

بقي أن نتعرف على أي العرب تتحدث الصحافة البريطانية. أنهم أولئك الذين لا يرون ولا يعرفون من لندن سوى نوادي القمار وملاحقة الفتيات من أجل علاقة جنسية سريعة! يدفع هؤلاء العرب مبالغ طائلة للحصول على المتعة الجنسية في

لندن: منهم من يذهب الى صالات «السونا»، حيث لم تكن تزيد تكلفة الدخول والمساج ودفء الأجساد الطرية أكثر من عشرين جنيهاً في تلك الفترة ـ أي في أواسط السبعينات.

أما المستويات الأعلى من عرب النفط، فيذهبون إلى أماكن تعرض فيها «المضيفات» بضاعتهن ثم يتفق على الثمن، وغالباً ما يفضلونها شقراء وذات ثديين كبيرين، هذا حسب شهادة ليندا بلاندفورد، الصحفيه اليهودية البريطانية التي كانت تلاحق باهتمام مهمة سماسرة الحصول على الفتيات ان لم تكن هي المطلوبة!! ولكن عمولتها كانت مضمونة على كل حال...

أما «الشيوخ» فلا يتبعون هذه الأساليب أبداً. السرية المطلقة مطلوبة، ومطلوب أيضاً فتيات من مستويات أعلى، وهؤلاء الفتيات اللواتي كن يدفئن فراش الأمريكان ثمانين دولاراً للّيلة الواحدة لم يكن يرضين بأقل من مئات الجنيهات إذا كان الزبون شيخاً عربياً نفطياً. يقضي الشيخ مع الفتاة عشرة دقائق تقريباً، ثم يطلب ثانية وثالثة ورابعة!!

وتتحدث عن شيخ لم تذكر اسمه بالطبع، أقام علاقة مع فتاة في شقتها لان زوجته كانت معه في الفندق، وكان يقضي الساعات الطوال مع تلك الفتاة، ويتحدث إليها، وتتحدث إليه وتحصل منه على آلاف الجنيهات.

أما نساء الشيوخ، فأول ما يفعلنه حين يخرجن إلى شوارع لندن، هو أن يرفعن القناع عن وجوههن، والثياب الطويلة عن أجسامهن، ويتوجهن إلى محلات ماركس أند سبنسر، وهناك يشترين العديد من السراويل والألبسة الداخلية المزركشة(والشهادة ما تزال للبندا فورد!!).. وبعد الشراء تقوم النساء بنزع علامات ماركس أند سبنسر التجارية لأنهن يعرفن تماماً أن هذه المحلات موجودة على قائمة المقاطعة العربية، وأن كل أموال ماركس أند سبنسر تعود لصالح إسرائيل (ثم تتساءل ليندا: أليس هذا أمراً يدعو إلى السخرية!؟).

يقول خبير في شؤون القمار، وكان يقيم دائماً في نادي البلي بوي في لندن، المشهور بتلاعبه بأموال العرب في لندن والذين يذهبون إلى هناك للعب القمار، يقول: إن العرب لن يتعلموا أبداً. فهم يخسرون أموالهم، ولا يهتمون بالخسارة. لقد جمعنا أموالاً طائلة منهم في هذا الصيف!! وكنا نبقي موائد القمار شغالة طوال الليل والنهار حتى يلقي العرب بأموالهم عليها».

النوادي التي يلعب فيها العرب النفطيون القمار تفرض عليها حماية مشددة، ويبذل المسؤولون عنها جهوداً مضنية حتى لا يدخلها صحفي قد يكشف عن هوية اللاعبين الأثرياء، فتنكشف الأسرار، ويمتنع العرب عن الحضور إلى النادي!! لقد كان دخول الصحفيين إلى نوادي لاس فيجاس بأمريكا سبباً رئيسياً لإفلاس

تلك النـوادي حيث راح هؤلاء الصحفيون يفضحـون أسرار اللاعبين وما ينفقون هناك، ونوادي لندن لا تريد أن تقع في نفس الخطأ. خاصة بعد أن انتشرت قصة خسارة الملك فهد لمبلغ طائل من المال في نادي مونت كارلو على الريڤييرا الفـرنسية. وهكـذا أصبح المسؤولون العرب أكثر حذراً، فيذهبون إلى نوادي القمار بعد الظهر، حين تكون أعداد اللاعبين قليلة، واحتمال مشاهدتهم والتعرف عليهم محدوداً.

في منطقة بيركلي سكوير في لندن، حيث حركة الحياة المترفة مستمرة على مدار الساعة، تجد فتيات شقراوات يعرضن قوامهن وما بداخله على المارّة. وعلى حافة ذلك الميدان يقوم بنك سعودي معروف. وقد اختارت الفتيات الموقع بذكاء، فأصحاب الأموال يتوجهون إلى البنك لسحب أموالهم، ويخرجون ليسحبـوا معهم فتاة جميلة إلى نادي المورتوتد القائم على طرف الميدان المقابل، ثم يرافقوهن إلى مطعم الأنابل لتناول طعام العشاء، ومن هناك إلى نادي القمار «كلير مونت» للاستمتاع ببقية المساء، ومن هناك إلى دفء الفراش بصحبة الشقراء الجميلة التي تستولي على ما بقي من لعب القـمار، هـذا إن بقي شيء في الجيـوب **فعـلاً!!** وهؤلاء الفتيات لا يتعلقن إلّا بالـرجال الـذين يهوون تبـذير أمـوالهم، ولذلك فهن الآن يركضن لاهثات وراء عرب النفط.

يقول أحد الخبراء العارفين الذي حدث ليندا بلاندفورد عن

أسراره إن العرب لا يحبون الفتيات اللواتي يعرضن أنفسهن، فإذا التقى عربي بمثل هذه الفتاة أخذ منها ما يريد ثم ألقاها بوحشية تقليدية، مبتعداً عنها بسرعة. أحياناً يثور غضب هؤلاء الفتيات ـ فتيات بيركلي سكوير ـ فيبعن قصصهن لأعداء عرب النفطيين، ونقصد بذلك رجال الصحافة الذين ينشرون قصصهم وفضائحهم. وغالباً ما ينصب حقد الصحفيين على كلا الطرفين، العرب والفتيات. لذلك بدأ العرب يبتعدون عن الفتيات ويقصرون اهتمامهم على نوادي القمار، فالمكان آمن لهم، ولا يكلفهم سوى النقود.

ويحدث خبير القمار المشهور الصحفية ليندا عن شخص اسمه غراف، استأجر مخزناً لبيع المجوهرات في منطقة نايتسبردج القريبة من هارودز، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ بالاستعداد لفتح مخزن آخر في منطقة البلي بوي ـ نادي القمار المشهور. وقد حالفه الحظ، فاستأجر المخزن في الطابق الأرضي التابع للنادي! لكن الأجر مختلف، ففي حين كان أجرة مخزن نايتسبردج لا تتعدى الألف وخمسمائة جنيه سنوياً، فإن أجرة المخزن الجديد ستكون خمسين ألف جنيه سنوياً! مخزنه الجديد أشبه بمحلات تصفيف شعر السيدات، فاخر أنيق ينضح بالثراء والفخامة. أما زبائنه الذين كان واثقاً من ملاءتهم المالية فهم العرب، خاصة ذلك العربي البدين المترهل الذي اشترى مجوهرات لزوجته مرّة فدفع ما يزيد

على أجرة المخزن لعام كامل!! أما الزبون فهو الأمير عبدالله ولي العهد السعودي، ورئيس الحرس الوطني!!

وغراف هذا شاب أشقر وسيم يعرف كيف يتعامل مع العرب، ها هو يتحدث إلى زوجة الأمير عبدالله التي اشترت من عنده قطعة الماس على شكل قلب دفعت ثمنها ١٥٠٠٠٠ جنيه عداً ونقداً، وهي الآن ترتديها على صدرها: ـ

ـ كيف حال قلبك يا سيدتي؟ يبدو أنه كبر منذ الأسبوع الماضي!

ولم يزد جواب زوجة الأمير عن ابتسامة، «قلبية» عميقة!.

وغراف هذا إنسان ذكي مخطط، يرسل مندوبه بانتظام إلى السعودية ودول الخليج، لكنه لا يذهب بنفسه، فهو يهودي!! لكن دينه وانتماءه السياسي لا يؤثران على مبيعاته للعرب في لندن.

ولهذا بدت المعرفة والصداقة عميقة بينه وبين الأمير وزوجته الأميرة. يقول غراف: مخطىء من يقول لك إن العرب مجانين حمقى في تعاملهم التجاري. تصور أن صبياً من البحرين استطاع أن يكتشف صدعاً صغيراً جداً في قطعة الماس كانت تبدو في منتهى الجمال والكمال. حتى خبراء الجواهر ما كان باستطاعتهم تمييز مثل هذا الخطأ الغني!! وإذا أنت حاولت أن تبيع للعرب مجوهرات كاذبة فإنك ستخسرهم حتماً، لأنهم يريدون المجوهرات

الحقيقية الثمينة فقط. ثم إنهم لا يناقشون في السعر أبداً. لذلك أنا صريح معهم أكثر من صراحتي مع الزبائن الأوروبيين!

ولا غرابة لذلك، فبعد هذه الخبرة الطويلة في المجوهرات، صار الأمير وزوجته وأمثالهم من مليونيرية النفط خبراء جواهر وحلي. أعرف رجلاً في نيويورك عهد إليه بعض الأمراء السعوديين مهمة جمع مجموعة من المجوهرات الثمينة من السوق. وقد فوجىء حين اكتشف، وهو في زيارة للسعودية، أن القنصلية السعودية في نيويورك هي التي طلبت طرده من السعودية بعد أن توفرت لها معلومات عنه تبرر ترحيله!

لكن غراف يبقى محل إعجاب وثقة الأمير عبدالله وكذلك محل اهتمامه بأحجار الياقوت والزمرد والأحجار الكريمة الأخرى!!

وبعد الأمير عبدالله نسمع حكاية الشيخ رشيد (حاكم دبي ونائب رئيس دولة الإمارات في تلك الأيام)، الذي يشتري مئات الأزواج من الأزرار الذهبية لقمصانه، ويدفع مبلغ ألف جنيه ثمن الزوج الواحد! بالاضافة إلى مجموعة من السلاسل الذهبية من عيار ١٨ قيراطاً، ومجموعة من ساعات الألماس قيمة الساعة الواحدة منها عشرون ألف جنيه استرليني!

وتقول صحفية واسعة الاطلاع إن العرب مغرمون بالحمامات الأوروبية، لكن بعض المصممين بدأوا يصممون الحمامات

الخاصة بعرب النفط. هناك مصمم حمامات بولندي - ألماني الأصل اسمه غوتفري بونساك، يصمم الحمامات بأشكال مختلفة، وكأنه يحول الثريات الى «دوش حمام»! سعر الصنبور الواحد ألف جنيه. أما حمامات العرب في لندن خاصة فإن بونساك هذا وضع لها تصميمات خاصة مجهزة بأجهزة التلفزيون وطاولات شرب القهوة التي تعمل على الهيدروليك. حتى مناشف الحمامات تنقش عليها الأحرف الأولى من إسم صاحب الحمام!

ثم يأتي دور تجار الأسلحة. فقد صنعوا بنادق صيد خاصة بالعرب، مرصعة بالذهب، قيمة البندقية الواحدة ٢٠٠٠٠ جنيه استرليني. أما سلطان عُمان، فهو يحب موسيقى الأرغن الذي يستخدم عادة في الكنائس، ولذلك أوصى محب الموسيقى هذا على أرغن من خشب الأتبوس بلغت قيمته ٢٥٠٠٠٠ جنيه!!

أما بذخ الملك سعود بن عبد العزيز فتتحدث عنه الصحفية المهووسة بشيء من الذهول وعدم التصديق. تقول هذه الصحفية:

خلف الملك سعود أربعين ولداً، ورغم قبح مظهره وقماءته، فقد كان يحب سيارات الكاديلاك المطلية بالذهب، ويقدم الساعات الثمينة لزواره ويحب الخليلات، كما يحب المخدرات!! ولأن أولاده يتحدرون من أمهات متعددات، فإنهم متعددو الأشكال والأحجام والألوان!! لكنهم جميعاً يشتركون في مزية

واحدة: فهم يحصلون على مبالغ مالية (مفتوحة) لا حدود لها، شريطة عدم تدخلهم في سلطة الحكومة السعودية الحالية!!

«الهواية المفضلة عند أكبر أبناء الملك سعود هي تحطيم السيارات الباهظة الأثمان! وهو يمارس رياضته المفضلة هذه في أرقى أحياء لندن، لحفظ المقامات!! وعلى سبيل المثال حطم الأمير تركي بن سعود سيارة (لمبارغيني) في منطقة إرلزكورت في لندن ، وفي صدام مروع ، حين كان في الثالثة والعشرين من عمره .

وفي يوم صيفي جميل وصل الأمير الشاب الطويل إلى مطار لندن، وهو يرتدي بدلة بيضاء من تصميم ايف سان لوران، ويضع حول عنقه سلاسل ذهبية. ما أن ينزل من الطائرة حتى يسارع كبار شخصيات المطار للترحيب به وهم يقولون: سيارتك بالانتظار يا سمو الأمير! السيارة من نوع الليموزين السوداء الطويلة، مع سائقها الانكليزي طبعاً، الذي يصرخ غاضباً ويصيح: مشكلة العرب أنهم يجعلونك تنتظرهم دائما!! لكنه ما أن يرى طلعة الأمير المجلل بالذهب حتى يهدأ صوته ويقول مبتسماً: أرجو أن تكون قد قضيت إجازة ممتعة يا سمو الأمير.

والأمير كسائقه يتذمر ويشكو بكثرة وباستمرار، خاصة من الألم الذي حل بظهره بعد ممارسته لرياضة التزلج التي يهواها.

لكن أساريره سرعان ما تنفرج حين يفتح حقيبته السوداء

وهو في طريقه إلى لندن، ويخرج منها بعض الصور التي التقطت لحفلة صاخبة أقامها في إسبانيا. ثم يحدث سائقه قائلاً: كلفتني الحفلة ستة آلاف جنيه استرليني، لكنها كانت حفلة الموسم باعتراف كل الحاضرين! ثم يضيف قائلاً:

ـ الناس يقولون لي دوماً انه يجب علي التمييز بين الناس الجيدين وغير الجيدين. وهذا واجب فعلاً. أنظر إلى تلك الفتاة (ويشير بيده إلى صورة فتاة شقراء متقدمة في العمر)..

إنها أميرة!! أية أميرة يا سيدي؟! لا أدري.. لا أتذكر!! ولكنها أميرة.. أما تلك فهي كونتيسّة! وتتوقف السيارة امام شقة الأمير الجديدة التي اختارها له صديقه الجديد... سأله عن ثمنها، فجاء الجواب: ٩٦٠٠٠ جنيه! لا.. إذهب وفاصل!! ذهب الصديق وفاصل، فنزل السعر إلى ٨٤٠٠٠ جنيه!! لا! إذهب وفاصل مرة ثانية!! ذهب الصديق وفاصل مرة ثانية. لا.. هذا آخر سعر.. إذن أعطني المبلغ يا سمو الأمير!! فأعطاه الأمير دفتر الشيكات ليدفع المبلغ ويستلم الشقة! إن سمو الأمير تركي لا يحب الانتظار، لذلك كانت الشقة ملكه خلال ثلاثة أيام..

ثم تذكر سموه أن عليه أن يدعو بعض الأصدقاء! فهو لا يحب أن يبقى وحيداً.. أحب أصدقائه إليه هو ديفيد فو تونغ، ابن صاحب مطعم صيني! الذي يرافقه إلى حفلات موسيقى «الديسكو»، لكن البعض نصحه بألا يرافق مثل هؤلاء الناس

الوضعاء!! بل يجب أن يصاحب أبناء الملوك من أمثاله. . . هكذا الأصدقاء المخلصون وإلّا فلا!!

وهكذا صار الأصدقاء الجيديون يرافقون الأمير تركي إلى حانات راقية جداً، رغم موسيقى الديسكو التي كانت تملأ جوها. ثم أشار الأصدقاء على الأمير أن يتعرف على فتيات راقيات هناك «تركي» آخر هو صهر معالي الشيخ الفاسي «قدس الله أسراره كلها» خاصة أسراره مع قارىء الكف وكاشف الحظوظ المستورة، الألوسي ابن الألوسي، وما يحتفظ به من أشرطة فيديو مقدسة عن حياة طيب الذكر الشيخ الفاسي، خاصة تلك الأشرطة التي يقدم الشيخ الفاسي ربع مليون دولار للألوسي مقابل احتفاظه بها!، لكن الأمير تركي الحالي لا يهتم بفتيات المجتمع الراقي بل بفتيات مجتمع الشيخ الفاسي مثل «تركي» الآخر!.

كان أصدقاء الأمير تركي «المخلصون» ينصحونه بأن يتحلى بالصبر في مجال العلاقة بالنساء. لكن تركي إذا أراد شيئاً قال كن! فيكون! لذلك ما أن وصل صديقه الإيراني ميشيل حتى قدم له عارضة أزياء نمساوية أحضرها له من أحد النوادي. كانت عارضة الأزياء غير سعيدة لأن صديقها ميشيل أنزلها في فندق رخيص صغير المستوى يقع على ناحية كرومويل رود. فقدم لها الأمير تركي النزل المناسب، وصارت من الصديقات المقربات. . والثريات جداً!!

ثم تلتها ماريون، مسؤولة نادي فكتوريا للقمار، والمعروف عنها أنها تقدم جسدها مقابل العطايا السخية. أظهرت ماريون، وزوجها ديفيد، اهتماماً كبيراً بآلام الظهر التي كان الأمير تركي يعاني منها. قالت له حين بدأت تدلك ظهره: يا سمو الأمير. . ابني الصغير يفكر فيك دائماً ويسألني عنك!!!

ولم لا. . فمعرفة الأمير بماريون معرفة طويلة سبقت ولادة ابنها الصغير!!

بعد ذلك، تصل الأميرة أم كلثوم، زوجة الأمير ذات الأربعة والعشرين ربيعاً ومعها الطفلان سارة وسعود، ومعها وقارها الهادىء. يتناول الزوجان حديثاً، تبتسم الأميرة الهادئة. تحدثت الأميرة الى (ضيوف) الأمير، ثم رحلت. من أين أتت؟ وإلى أين ذهبت؟؟ لا أحد يدري!!

والأميرة واثقة من أن زوجها لا يرقص في النوادي الليلية، بل يذهب إلى هناك للتمتع بمنظر الفتيات الراقصات وهنّ يلقين بأنفسهن عليه، ليلقي عليهنّ بدوره السلاسل الذهبية والمجوهرات. ويعود الأمير إلى منزله ليجد ماريون في انتظاره تعد له طعام العشاء الذي يجب أن يكون جاهزاً في الساعة الثانية صباحاً.

الأميرة أم كلثوم تقيم في الرياض، ولا تلتقي بزوجها الأمير

تركي إلّا نادراً. فقد تزوجها منذ أربعة أعوام (كان ذلك عام ١٩٧٥) ثم ترك زوجته وهي حامل، وتوجه إلى تكساس لدراسة الطيران المدني، لكنه لم يكمل دراسته. ثم جاءت الزوجة إلى لندن حين استقر الأمير فيها، وحملت مرّة ثانية، كل ذلك وهي مقيمة في جناح في الفندق وهو يعيش في شقته الخاصة!

تتحدث الأميرة أم كلثوم إلى ليندا الصحفية فتقول: ـ

«أنا حزينة جداً، دائماً، خاصة حينما لا أكون مع زوجي. لكن ماذا يمكن أن أفعل!!؟ أؤكد لك أن ابننا سعود لن يكون على شاكلة أبيه. تركي وأنا تربينا وكبرنا في منزل واحد. أختي تزوجت والده... أما الآن...». أما الزوج فهو أكثر طموحاً. يريد أن يكون رجل أعمال دولياً، وهو يملك بالفعل مزارع الدجاج ومصانع ملبوسات جاهزة وغير ذلك. والأميرة تشرف على مشاريعه حين تكون في الرياض، إضافة إلى التحاقها بالجامعة حيث تدرس علم الاجتماع..

وتبقى الأميرة في الفندق في لندن، بينما يعود الأمير تركي إلى شقته الجميلة، ليجد عارضة الأزياء النمساوية بانتظاره، بعد أن انتقلت نهائياً إلى الشقة من الفندق الحقير الذي أنزلها فيه الإيراني ميشيل!!

ويأوي الأمير تركي إلى فراشه المريح، ويخلد إلى نوم سعيد

يزيد من سعادته وجود عارضة الأزياء في فراشه.

هـذه نماذج من نشـاطات أمـراء السعوديـة وشيـوخ النفط وممارساتهم المالية «والإنسـانية» والأخـلاقية. وهـذا جواب، من أجوبة عديدة، على السؤال الذي لم يعد يحير أحداً ألا وهو: أين تذهب أموال الأمة العربية؟ أين تنفق؟ ومن ينفقها؟ وعلام تنفق. وإلى أجوبة أخرى في الفصول التالية..

الجزء الأول

آل سعود

الفصل الأول
غراميات الملوك والأمراء السعوديين

العهر السياسي، كالعهر الأخلاقي تماماً، يحتاج إلى بائع ومشترٍ، وشيء يباع وثمن يقبض. ومنذ أن تمَّ الزواج غير الشرعي بين برميل النفط السعودي والدولار الأميريكي، ولدت في السعودية ولادات غير شرعية تميزت بكل مميزات وخصائص «ابن الزنى» سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وأخلاقياً.

قبل أن ندخل في وصف المرحلة الحالية، التي يمكن أن يطلق عليها مرحلة «الخاشوقجي» أو «الجنس والمخدرات الملكية» أو «مرحلة الاستخفاف بأخلاق الشعب قبل عقله»، **نود أن نعود** إلى الوراء قليلاً، إلى مرحلة قيام العرش السعودي، والظروف السياسية والأخلاقية التي رافقت تأسيسه، لا لشيء سوى لنثبت في آخر هذا الكتاب أن «هذا الشبل هو ابن ذاك الأسد».

وقبل البدء في سردها نؤكد أن معلوماتنا موثقة متوفرة لمن يريد الاطلاع عليها في ملفات الحكومات الغربية، خاصة

الأميركية والبريطانية والتركية والإيطالية، ولن يضم هذا الكتاب حرفاً واحداً لا تدعمه الوثائق.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإعلان الملك ابن سعود عن نفسه «سلطاناً على نجد وملحقاتها» بدأت الحكومة البريطانية، وبعد مطالبات وتسولات متكررة، تدفع لابن سعود راتباً شهرياً قدره خمسة آلاف جنيه لتساعده على تثبيت دعائم ملكه وسيطرته على القبائل، خاصة «الإخوان»، ذلك الذراع المتوحش الذي كان يحطم بواسطته، باسم الدين والتقوى، كل من تسول له نفسه الاحتجاج على ما يفعله ابن سعود، إلى أن قضى عليهم هو نفسه عام ١٩٣٢، بعد أن استنفذ أغراضه منهم.

كان الملك ابن سعود يبدأ بالاستجداء طلباً للمكافأة البريطانية الشهرية إذا تأخرت بضعة أيام. وفي إحدى المرات أرسل المعتمد البريطاني في البحرين عيونه إلى الرياض للتعرف على ما يجري هناك، ويبدو أن جواسيسه وصلوا إلى الرياض في نفس الوقت الذي وصلت فيه المكافأة المتأخرة، ولكن بعد أن حولتها حكومة الهند البريطانية الى روبيات هندية فبلغت قيمتها حوالي سبعين ألف روبية. عاد مخبرو المعتمد البريطاني يحملون إليه الخبر التالي:

ما أن وصلت الأموال إلى الملك حتى استدعى الإخوان إلى اجتماع حاشد في ساحة الرياض. ثم خرج إليهم بقامته الهائلة،

ونظرات الشموخ والعظمة تمتزج بابتسامة النصر على وجهه، وخطب فيهم قائلاً: «وأخيراً. . وصلت الجزية، أيها المؤمنون، من النصارى!». . . ومعروف أن الجزية تفرض على أهل الكتاب الذين يعيشون تحت حكم الدولة الإسلامية.

من هذه الأموال كان ابن سعود يصرف على حملاته العسكرية، ومغامراته النسائية. تقول الوثائق، ويفخر أحفاد ابن سعود، بأنه تزوج ثلاثمائة امرأة أثناء حياته. ولكن ربما سيخف فخرهم قليلاً حين يعلمون، والقول للوثائق، أن الملك كان يحتفظ بزوجاته في طابق من قصره بني تحت الأرض، لا نوافذ له ولا فتحات تهوية، فبدأت أعراض الأمراض القاتلة تظهر على هؤلاء النساء وتفتك بهنّ، فاستدعى لهنّ الطبيبات اللواتي أشرن عليه بفتح نوافذ في ذلك السرادق الأرضي، فرفض الملك رفضاً قاطعاً، وأجاب الطبيبة التي اقترحت عليه ذلك قائلاً: «لا. . فالنوافذ التي تأتي بالهواء تأتي بالعشاق أيضاً» (ونحن هنا نترجم من نص انكليزي). .

ولكن انعدام النوافذ لم يحل دون دخول العشاق على حريم الملك ابن سعود. تتحدث بعض الوثائق السرية الموجودة في مركز الوثائق البريطاني في لندن عن اكتشاف علاقة محرمة بين أحد أبناء الملك وإحدى شقيقاته!، وتضيف الوثيقة التي نقلت الخبر إلى وزارة الخارجية البريطانية انه من المعتقد الا يكون الأمر قد وصل

إلى سمع الملك، لذلك لم يتخذ أي اجراء بحق ابنه!

ربما كان ذلك صحيحاً، وربما علم الملك بالأمر ولم يفعل شيئاً. والذي يدمج هذا الاستنتاج الأخير أن الملك ابن سعود كان يزاحم أبناءه، بعد أن كبروا، على الفتيات الجميلات ويسبق أولاده إليهن. . والمهر دائماً من أموال الجزية الآتية من النصارى الكفار!!

بعد أن كبر الأمير سعود وراح يبحث عن شريكة عمره، أراد والده أن يزوجه بإحدى بنات الأمير فواز الشعلان. بدأت المساومات وعلم الملك، وهو الخبير ومن أصحاب العيون النافذة، أن إبنة الأمير الشعلان التي كان يود خطبتها لابنه جميلة فائقة الجمال، فأسرع يخطبها لنفسه من والدها الذي قبل ببالغ السرور، وحين رأى الأمير سعود زوجة والده الجديدة، استبشر خيراً حين قال له إنه خطب له أختها!! وطار الولد سعود من الفرح، ولم يعد يستطيع الإنتظار. ولكن ليلة الزفاف انقلبت إلى مأتم، حين اكتشف الأمير أن والده الملك قد دبر له «خازوقاً» حين تزوج الابنة الجميلة ووعد والدها بأن يزوج أختها لابنه، فإذا الأخت أقبح من العمى. وظل الولد سعود حرداناً يطالب والده بأن يطلقه، ولكن المضاعفات السياسية خطيرة، والأمير الشعلان قوة لا يستهان بها، ويقع الملك في حيرة شديدة. !!

وهنا ينتهي نص الوثيقة الصادرة عن القنصلية البريطانية في

دمشق والموجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية.

ثم تدفق نفط الأحساء في أوائل الأربعينات وصار بإمكان آل سعود تأمين الأموال من غير مصادر الجزية المفروضة على النصارى أي الانكليز الذين كانوا تحت حكم الفاتح ابن سعود!!

فقد فتح الملك باباً جديداً هو باب الاقتراض من نصارى آخرين، هم الأمريكان!! ذلك أن الميزانية السعودية لعام ١٩٤٢ بلغت حوالي ٢٩٢ مليون دولار، ذهب منها ١٩٠ مليون دولار الى جيوب العائلة المالكة، وتقول الوثيقة الأميريكية التي أوردت هذه الأرقام، والتي حصلت عليها المخابرات البريطانية وظهرت في وثائق وزارة الخارجية البريطانية، أن باقي ميزانية ذلك العام وجد طريقه أيضاً إلى جيوب أمراء العائلة المالكة، حيث أن مشاريع الأشغال العامة التي خصصت لها كانت مشاريع وهمية لم تحقق، وحصل الأمراء على أموالها! ومع ذلك نفذت الأموال، وبقيت العائلة المالكة بحاجة إلى المزيد منها.

هنا ننتقل إلى وثيقة أميريكية أخرى، تسندها وثيقة بريطانية، وتتحدثان معاً عن الزيارة التي قام بها الأمير سعود إلى الولايات المتحدة في تلك الفترة واستقبله الرئيس الأميريكي. كان هدف الزيارة المعلن هو عرض وجهة نظر الملك ابن سعود تجاه قضية فلسطين، والاحتجاج على الموقف الأميريكي المؤيد للصهيونية.

وبالفعل طرح الأمير سعود المسألة على الرئيس الأميركي ولكن بالصيغة التالية: إن والدي يقول إنه لن يسمح لأي قضية مهما كانت أن تؤثر على علاقات الصداقة المتينة بينه وبين صديقته الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، حتى ولو كانت تلك القضية هي قضية فلسطين!

وفي نهاية المقابلة طلب الأمير سعود قرضاً من الرئيس الأميركي بقيمة أربعين مليون دولار. فسأله الرئيس عن داعي الحاجة إلى القرض، فقال الأمير إن والده يريد شراء آلات زراعية ومضخات مياه واستئجار خبرة فنية بعشرين مليون دولار بينما يستخدم العشرين مليون الأخرى لإنشاء خط حديدي يربط بين الرياض والدمام. وافق الرئيس الأميركي على الشطر الأول واقترح على الأمير سعود اقتراض العشرين مليون دولار الأخرى لإنشاء الخط الحديدي من شركة آرامكو التي قد تحدد الخط هي بنفسها.

اضطرب الأمير الخجول، ولاحظ الرئيس الأميركي اضطرابه. وحين سأله عن السبب قال الأمير: لقد اقترضنا من أرامكو يا سيادة الرئيس بما فيه الكفاية!!

وسوي الأمر. وبني الخط الحديدي الذي وصفه الأمير للرئيس بأنه شريان حياة حساس، ولكن الكونغرس الأميركي، والصحافة الأميركية من بعده، اكتشفا سرّ ذلك الشريان

الحساس بعيد اكتمال الخط مباشرة: إن الغطاء الوحيد الذي كان يسير عليه كان ينقل حريم الملك ما بين قصره في الدمام وقصره في الرياض!!

وثارت الصحافة الأميريكية، واحتجت الحكومة السعودية على نشر الفضيحة، مما أدى الى كشف فضيحة أخرى: هي أن الملك ابن سعود لم يكن يعرف معنى حرية الصحافة وأراد أن يخنقها في أمريكا، تماماً كما فعل في السعودية!

خلال تلك الفترة، وعلى مدى ما يزيد على ربع قرن من الزمن كان يتربع على عرش السياسة الخارجية السعودية حفنة من العرب من سورية ومن لبنان ومصر. من سورية، ومن مدينة اللاذقية الساحلية الجميلة جاء الشيخ يوسف ياسين، الذي تصفه الوثائق البريطانية خاصة بأنه كان شديد التعصب ضد الانكليز. ولكن تعصبه هذا كان محصوراً بالقضايا السياسية فقط، فقد كان له في الواقع مهمة أخرى كان يؤديها سراً طوال فترة خدمته للملك ابن سعود. بعد كل زيارة كان يقوم بها لمسقط رأسه اللاذقية، كان يعود محملاً ببضعة هدايا لسيده الملك وكبار أفراد العائلة المالكة. كانت الهدايا عبارة عن فتيات صغيرات من بنات اللاذقية، كان الشيخ يوسف ياسين يشتريهن لسيده ويحضرهن لمتعته، حيث كان يتسرى بهن بعد أن يجبرهن على نطق تعبيرات تدل على أنهن من الإماء أو الجواري. وبعد الاستمتاع بهن فترة من الزمن كان

يهبهن لأفراد حاشيته أو يعيدهن إلى موطنهن في اللاذقية، على يد مستوردهن يوسف ياسين. وتؤكد الوثائق البريطانية عن تلك الفترة أن الشيخ يوسف ياسين لم يكن يذهب إلى اللاذقية إلّا لهذا الغرض، وأن شراء الفتيات السوريات الجميلات، ولكن الفقيرات كان يتم على يديه شخصياً، وأن إعادة إهداء هؤلاء الفتيات البائسات إلى آخرين بعد الانتهاء من اغتصابهن كانت تمارس وكأنها أمر طبيعي، وحسب قوانين الشريعة السعودية!

وكان البريطانيون، أصدقاء الملك ابن سعود الذين لم يكن على استعداد للخروج على إرادتهم حتى ولو كانت القضية هي فلسطين وشعبها، يراقبون حياته الشخصية، داخل قصوره وخارجها، ويسجلونها ويرسلونها إلى وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية. ولم يظهر عليهم الغضب مما كانوا يشاهدون سوى مرّة واحدة، اكتشفوا فيها أن الفتاة المستوردة هذه المرّة كانت أرمنية من سورية، أي أنها مسيحية، أي أن بريطانيا تعتبر نفسها حامية لها ومسؤولة عن شرفها..

تقول الوثيقة الصادرة عن القنصلية البريطانية في دمشق إن اثنين من عائلة شيخ الأرض الدمشقية سافرا إلى السعودية للعمل في قصور ابن سعود. ولكن أحد الأخوين أخذ معه من دمشق فتاة أرمنية جميلة بعد أن سجلها في جواز سفره على أنها شقيقة له! وبدأ الأخوان يعملان في خدمة جلالة الملك، وسمع الملك «بشقيقة»

مدحت شيخ الأرض الجميلة، فما كان من طيب الأخلاق والسمعة مدحت إلاّ الكرم بالغ السخاء، حيث قدم الفتاة هدية للملك، جارية رقيقة وأمّة يتسرّى بها بعد عناء جهاده الطويل، وحسب مقتضيات الشريعة السعودية. . .

جنَّ جنون بريطانيا، فالفتاة أرمنية، وطالبت القنصلية البريطانية في دمشق وزارة الخارجية بالتدخل ولكن الوزارة لم تفعل ذلك، حرصاً منها على علاقات مع الملك كانت أهم بكثير من عفاف الفتاة الأرمنية وكل أرمن الدنيا مجتمعين!

أما الأخوان شيخ الأرض، فقد زادت أموالهما فجأة، وعلا مقامهما عند جلالة الملك الذي قدر خدماتهما حق قدرها فأجزل لهما العطاء. والحقيقة أن عائلة مدحت شيخ الأرض معروف عنها أنها، سبحان الله، تحب الأموال من أي مصدر كان، ومن أي «فاعل خير» كان، سواء كان ذلك الفاعل هو الملك ابن سعود، أم إسرائيل!! ففي عام ١٩٦٤ ألقي القبض في دمشق على شيخ آخر من شيوخ الأرض، هو ماجد شيخ الأرض، وحوكم بتهمة التجسس على جيش سورية وأمنها لصالح إسرائيل!!

تلك كانت لمحات من الممارسات التي كانت وما تزال تشكل الأساس الذي تبني عليه العائلة المالكة السعودية سياستها وعلاقاتها. فالاستمرارية هذه قائمة سياسياً وأخلاقياً ومالياً، مع

فوارق في الدرجة والكم، حذفتها الثروة الهائلة والمفاجئة التي انهالت على جيوب العائلة بعد حرب عام ١٩٧٣، التي دفعت الأمة العربية إليها خيرة شبابها وضحّت بدمائهم وحياتهم من أجل نصر كاد أن يتحقق... كما فرضتها اتساع دائرة المنتفعين بعطايا العائلة والمتأثرين. بأخلاقياتها، وكما تطلبتها تطور أنواع العهر والفسق في العالم، التي طورت في بعض الأحيان لتلائم أذواق آل سعود خاصة، فهم يصرون دائما، وهم الورعون المؤمنون التقاة، أن يكونوا أول المنتفعين من «التقنيات الحديثة» في عالم الفجور والدعارة، حتى قبل أن يستخدمها مخترعوها...

ولا يقل حماس أمراء دويلات الخليج لهذه الممارسات والتقنيات عن حماس آل سعود، بل إن بعضهم، خاصة في الكويت وقطر والبحرين، ينظرون إلى آل سعود باعتبارهم «متأخرين عن ركب الحضارة والتقدم» واستخدام وسائل العصر في الترفيه عن النفس.

فما هي سمات المرحلة الحاضرة في الجزيرة العربية؟ وماذا يفعل آل سعود وأمراء وشيوخ دويلات الخليج بأموال الأمة ومقدراتها ومقدساتها وأخلاقها؟

الفصول التالية تكشف بعض معالم هذه المرحلة حتى تعرف الأمة ماذا يجري، وحتى تحاسب حين تحين ساعة الحساب.

الفصل الثاني

آل سعود

في المنظار الأمريكي

يتحدث طبيب أميريكي عمل في السعودية مدة ثلاثة أعوام كان شغله الشاغل خلالها، كما يقول، «العناية بالسعوديين من مختلف الطبقات، بمن فيهم أفراد العائلة المالكة الهامين» ـ يتحدث عن علاقاته بتلك العائلة وأفرادها «بالغي الأهمية» بشيء من الهلع وعدم التصديق لكل ما رأى وسمع. ومع أنه في بعض الأحيان يستعمل أسماء وهمية بغرض التمويه، فإنه اكتشاف حقيقة الشخصيات التي يتحدث عنها أمر سهل على من يتتبع أخبارها والتفاصيل الواردة في حكايات ألف ليلة وليلة التي يرويها الطبيب المعجب بالعائلة المالكة السعودية.

يقول الطبيب سيمورغري «ان ابن سعود تزوج ما يزيد على ثلاثمائة مرّة، وخلف من هذه الزيجات أربعة وأربعين ولداً وعدداً غير معروف من البنات. يقدر عدد الأمراء المنحدرين من صلب ابن سعود بألفي أمير على الأقل. أمام العائلة المالكة السعودية

بمختلف فروعها، فيقدر عدد أفرادها الذكور بأربعة آلاف شخص. وقد تحول هذا العدد الهائل للعائلة المالكة إلى ميزة بالغة الأهمية: فالحكومة السعودية والقوات المسلحة يسيطر عليها أفراد العائلة الذين لا يشك بولائهم للعرش».

وبعد وصف حجم عائدات النفط الهائلة التي تنصب في خزائن العائلة وحساباتها في كل مكان إلّا السعودية نفسها والأرض العربية، يقول الطبيب «لم تعرف السعودية الكهرباء إلّا بعد عام ١٩٦٠، أما الرق فبقي مزدهراً فيها حتى عام ١٩٦٢»، هذا مع العلم، كما يقول الكاتب، أن «معدل الدخل السنوي في السعودية هو ١٥٠٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل».

أين تذهب كل هذه الأموال إذن؟

يقدم لنا الطبيب بعض الأجوبة على سؤالنا والأمثلة المؤيدة لها.

حين كان في الطائرة التي أقلته من أمريكا إلى السعودية عبر لندن، التقى بصديق بريطاني تبادل معه الأنخاب السرية، أو التي تغاضت عن رؤيتها مضيفة الطائرة السعودية. كان اسمه «بل»، الذي أفرغ كأسه مرّة واحدة في حلقه، ثم أشار إلى امرأتين «بالغتي الجمال» تجلسان على كرسي الدرجة الأولى قربهما. يصفهما الطبيب الخبير فيقول «كانتا ممشوقتي القوام، سمراوين بلون

الزيتون، شعـرهما غـزير طـويل وعيـونهما كبيرة واسعـة. كانتـا تتحـدثان وتضحكـان مثلما تحب كل النسـاء أن يفعلن. كـانت كلتاهما ترتديان ثياباً أنيقة فرنسية التصميم والصنع، وقد لفتا ساقاً على ساق، فكشفتا عن أفخاذ وسيقان جميلة الاستدارة. وكـان يجلس معهما رجل متـوسط العمر، ربمـا كان أبـاً أو عماً، كـان يشاركهما الحديث في بعض الأحيان... وبين حين وآخر كانت تنساب رائحة عـطر قـوي بـالـغ الإغـراء الجنسي، تمـلأ الجـو بعبقها..».

التفت بل البريطاني الذي كان قد أوضح لغري الأميركاني أن ملك السعودية لم يتمكن من استقبال ملكة بريطانيا رسميا إلّا بعد أن أنعم عليها، خـلال إقامتهـا في السعوديـة بلقب «رجل شرقي» التفت إلى الطبيب وهمس قائلاً: -

«النساء السعوديات يستعملن العطور بكثرة... ربما كانت هاتان فتاتين من العائلة المالكة عائدتين من رحلة متعة في أوروبا، أو أنهما من عائلات رجال الأعمال السعودية. لقد خلقت طفرة النفط عدداً مخيفاً من المليونيرية السعوديين. في هذه الأيام، وأول شيء يفعلونه حين تنهال الأموال عليهم هو الذهاب إلى لندن أو باريس... لانفاقها!!».

ويضيف الطبيب المراقب بعد قليل:

«حين بدأت طائراتنا تحليقها فوق العربية السعودية، نهضت الفتاتان الجميلتان وكل منهما تحمل حقيبة سفر. أرسلتا باتجاهنا ابتسامتين ساحرتين وهما تتجهان إلى مؤخرة جناح الدرجة الأولى... بعد دقائق عادت السيدتان وقد ارتديتا قناعين سميكين، وغطّى ثوبان أسودان جسديهما من الرأس إلى أصابع القدمين... وكانت «الغطوة» من السماكة بحيث أخفت ملامحهما تماماً... وبدت السيدتان الآن صامتتين... محافظتين... وبعد دقائق، قام الرجل المرافق لهما بنفس الطقوس، فاستبدل بدلته الانكليزية الغالية بالثوب... كانت ياقة ثوبه موشاة بشريط زينة وفوق ثوبه ارتدى عباءَة طويلة تسمى البشت، كان طرفها محلى بزركشة ذهبية...».

هنا تأكدت للبريطاني ظنونه:

«التطريز الذهبي يدل على الانتماء إلى العائلة المالكة.. أو على أصحاب المقام الرفيع... لا شك أنه من ذوي الصولة في السعودية».

وحين هبطت الطائرة في مطار الرياض، نظر الأمريكي من نافذة الطائرة فرأى، بدل الخيم والجمال التي كان يحلم بها، سيارة مرسيدس بالغة الفخامة تنساب بهدوء حتى وصلت إلى باب الطائرة. وهنا رأى الأمريكي والبريطاني الرجل ذي الياقة المذهبة

والسيدتين الشابتين معـه يدخلون السيـارة الفخمة التي اختفت فجأة. . تماماً كما ظهرت!!

لم يعـد الطبيب بحـاجة إلى الـظن والتخمين، فعـادت به الذكريات إلى أحداث «ملكية سابقة» خبرها حين كان في أمريكا، وقبل أن يحلم بالقدوم إلى السعودية. إنها قصة دخول الملك سعود إلى المستشفى الذي كان يعمل فيها الطبيب. يصف غري الحادثة فيقول: ـ

«سرعان ما اكتشفت أن الطابق الثالث من المستشفى كله قد أخلي من المرضى، ليس لأسباب أمنية فقط، ولكن لتأمين إقامة حاشية الملك. على مدى خمس مرات كل يوم، كان الخدم والنُّدُل يصلون إلى المستشفى وهم يحملون الأطبـاق الهـائلة من مختلف أنواع الأطعمة. وأمام المستشفى كان هناك على الدوام أسطول من سيارات الكاديلاك الطويلة اللمَّاعة، لنقل أبناء الملك وأصدقائهم وكبار الزوار إلى جـوار الملك المريض. . . كـان للملك عدد لا يحصى من الزوجات والخليلات والعشيقات والجواري، أنتج منهنَّ أكثر من مائة صبي. أما حاشيته المرافقة له حاليـاً فكانت تضم (فقط) زوجـاته الأربـع المفضلات، وأولاده المقـربـين، وبعض مستشاريه ومساعديه وخدمه. كان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة. . . . ولم لا. . . فقد كان سعود يحب الترف والبذخ والحياة الباذخة أكثر من أي شيء آخر، وكادت حياته الباذخة والمتهتكة أن

تؤدي إلى إفلاس خزينة العربية السعودية، بالرغم من كل عائدات النفط الهائلة التي كانت تصبّ فيها».

وتسرح بالطبيب ذكريات ملكية لم تكن بعيدة، فيتذكر من أطلق عليها اسم «سنوى» آل سعود. فمن هي سنوى هذه؟

سنوى آل سعود هي زوجة أحد أبناء الملك سعود، كانت لا تتجاوز الرابعة والعشرين من العمر. تزوجت الأمير السعودي حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها. أنجبت له في أول فترة زواجهما صبياً كان في الوقت الذي التقيت بها فيه في الثالثة من عمره. وكان فخرها كله وسعادتها كلها. في العادة، كانت سنوى تبقى في البيت حين يسافر زوجها الأمير مع الملك. أما الآن فقد أحضرها معه، لكي تعالج من ورم صغير ظهر على ذراعها اليمنى. . .

«بعد فحصها فحصاً دقيقاً، قلت لها: ليست هذه سوى كتلة دهنية، ويمكن إزالتها بعملية جراحية بسيطة تحت تخدير موضعي. ولكن كل نتائج التحاليل طبيعية، وأنت في حالة صحية ممتازة»..

ردت الأميرة قائلة: لابد أن أتحدث مع زوجي أولاً، وسيناقش الأمر معك.

وفي اليوم التالي جاءني الأمير إلى المستشفى، وكان يلبس

طقماً انكليزياً أنيقاً باهظ الثمن، وحدثني بلغة انكليزيـة ممتازة. حدثته عن الكتلة الدهنية وقلت له إنها قضية بسيطة ولا تدعـو للقلق إطلاقاً.

تردد الأمير قليلاً ثم سأل: وهل يمكن أن تنتقل منها اليّ؟ سمعت أن الورم سببه جرثومـة يمكن أن تنتقل من شخص إلى آخر. قلت: أنها ليست معدية ولا سرطانية... وإذا كنت قلقاً فسأزيلها، بعملية سهلة، ويمكن إجراؤها دون الحاجـة إلى بقاء الزوجة في المستشفى...

شكـرني الأمير وذهب. في اليـوم التـالي حضرت الأمـيرة سنوى إلى مكتبي، ترافقها امرأة سمينة كانت قد رافقتها في زيارتها الأولى. كانت وصيفتها واسمها: فهدة..

مـا أن دخلت المـرأتـان مكتبي حتى انفجـرتـا بـالبكـاء والعـويل... وصرخت سنـوى من بين دمـوعها المنحـدرة على خـديها: لقـد طلقني!! طلقني،!! وراحت تنـوح وتبكي بكـاءً تشنجياً لم تكن تستطيع السيطرة عليه!

«صعقني الخبر، فالتفت إلى فهـدة وسألت: مـاذا حدث؟ قالت فهدة: زوجها طلقها في الليلة الماضية بسبب الكتلة التي على ذراعها!!». وتابعت الوصيفة الباكية: «يجب أن تعود الأميرة الآن إلى عائلتها في مصر. أما طفلها فيبقى مع الأمير..».

وعلا نحيب الأميرة المطلقة، وصاحت: ضاع كل شيء.. ضاع كل شيء!! ولدي! حبيبي!!

غضب الطبيب وثارت «شهامته الأميريكية» وقرر أن يكلم الأمير في الموضوع.. ولكن فهدة أكدت له أن كلامه لن يجدي.. وأن الأمير مقتنع تماماً بأن الكتلة الدهنية معدية. أما الأميرة المنتحبة، حزناً على الولد، وأكثر حزناً على الإمارة المفقودة، فقد قالت: لن يفيد الكلام.. ولكن شكراً على المحاولة...

وكان من الطبيعي أن تفشل المحاولة، ليس لاقتناع الأمير الوسيم بأن الكتلة الدهنية معدية، ولكن لأن «دور الأميرة قد انتهى» ولا بد من إخلاء مكانها لزوجة جديدة «شرعية».

لكن محاولة الطبيب مع الأمير كشفت له عن أسرار ملكية سعودية أعمق مما كان يتصور. يقول الطبيب:

«ما أن غادرت المرأتان مكتبي حتى جمعت أوراقي وانطلقت إلى الفندق الذي استأجر الرهط الملكي عدة طوابق فيه.. أدخلت إلى قاعة جلوس خصصت للأمراء. كان يفوح منها جو بيوت البغاء والمواخير ورائحتها، وكانت الموسيقى الصاخبة تنطلق من كل زاوية، والخدم ذوو المعاطف البيضاء يروحون ويجيئون وهم يحملون الأطباق المملوءة بالمقبلات والمسكرات، وكان الأمراء الشباب وأصدقاؤهم ينادون على بعضهم البعض من خلال

الجدران، وسمعت ضحكات عالية مثيرة تأتي من الغرف، تقطعها أحياناً صيحات لذة نسائية. وكنت أرى نساءً نصف عاريات يتنقلن من غرفة إلى أخرى، وهنّ يضحكن مخمورات، يتبعهن أمراء سعوديون طالت لحاهم وانتفش شعرهم. كان الجميع سكارى «طينة»، وكان واضحاً أن حفلة العربدة قد بدأت منذ وقت طويل.... وكان التجار (الأميريكيون طبعاً!) يروحون ويغدون حاملين علب المجوهرات الثمينة وحقائب الثياب. وكانت فتيات جذابات ساحرات، كلهن شقراوات، يبعن بضاعتهن أيضاً، يدخلن المقصورات الملكية ويخرجن منها بلا حياء جلست بجانبي فتاة أميريكية في العشرينات من عمرها، كانت متوددة بقدر ما كانت مخمورة، وكانت تحمل قاموساً عربياً ـ انكليزياً في يدها. ارتجفت يدها وهي ترفع الكأس إلى شفتيها وتقول «أنا ذاهبة إلى السعودية... لهذا أدرس اللغة العربية، وحالما أحصل على تأشيرة الدخول، سألحق به... سأصير أميرة!!».

نظر الطبيب إليها بحزن وألم، فقد كان يعرف تماماً أن تأشيرة الدخول لن تأتي أبداً، فالأمير غير قادر... على تأمينها... للأسف!

وحين ابتعدت الصبية الحالمة بالإمارة السعودية (ولم لا!؟) سمع الطبيب بائعين أمريكيين يتحدثان وهما يحتسيان البيرة. كانا

على موعد مع أحد الأمراء. . قال أحدهما للآخر: أخبرني مساعد مدير الفندق أن الملك أرسل أحد معاونية لمحاسب الفندق يطلب «مصروف جيب» سأله المحاسب «حاضر! وكم تريد؟» فقال المعاون، دون أن يرف له جفن: مائة ألف دولار تكفي! فقال المحاسب: «نحن لا نحتفظ بهذا القدر من المال في الصندوق. اذهب الى البنك عبر الشارع».

وقال الثاني بين ضحكتين: سمعت أن صاحبة أحد المحلات النسائية أحضرت حقائب مليئة بفساتين النوم لعرضها على زوجات الملك. وبعد بضع ساعات غادرت المحظوظة الفندق وحقائبها مملوءة بأوراق نقدية من فئة المائة دولار. .

وتنفس الأول الصعداء. . ثم تنهد، ثم رفع يديه وقال: آمل أن يحالفنا الحظ أيضاً. .

لم يستطع الطبيب مقابلة الأمير زوج التي كانت أميرة. . أي سنوى. . فقد قال الخدم إنه مشغول، وكان الجو ماخورياً في الجناح الملكي فعاد الطبيب أدراجه يجر أذيال الفشل. .

ولكن. من قال إن الأميرات لا يعرفن كيف يعبرن عن امتنانهن للأطباء خاصة إذا كن مطلقات؟! فالعكس هو الصحيح، لأن فهدة ذهبت في اليوم التالي إلى مكتب الطبيب وسألته إن كان يستطيع الذهاب إلى الفندق لتوديع الأميرة التي كانت. ثم أضافت الوصيفة الأمينة: نحن نعرف ما فعلت،

ونقدر ذلك تقديراً عالياً. سنوى تريد أن تراك قبل رحيلها، وهي تعد لك مفاجأة..

ويتابع الطبيب الباحث عن **المفاجآت** حديثه فيقول: ـ

مساء ذلك اليوم التقيت بفهدة في بهو الفندق. كانت عيناها محدقتين، وكان واضحاً أنها كانت تبكي. قالت: إننا نشكرك على (قدومكم). لقد حطم الطلاق سنوى.. وفقدانها لطفلها الوحيد صدمة لن تفيق منها..

وهكذا دخل الطبيب وفهدة المصعد لمقابلة الأميرة المطلقة والأم الحزينة على فلذة كبدها، والسيدة التي أرادت أن تشكر الطبيب بمفاجأة، من أجل ما فعل من أجلها.. عظيمة تلك المرأة حقاً..

يتابع الأمير حديثه فيقول:

كانت حفلة العهر الملكية ما تزال على أشدها في الفندق، اجتزنا منطقة الصخب حتى وصلنا إلى الطابق المخصص لنساء الحاشية الملكية. من غريب الصدف أن الأميرة سنوى كانت تقيم في الجناح الذي يخصص عادة لرؤساء الجمهوريات، بينما فهدة تقيم في جناح صغير قريب منها.

«دخلنا الغرفة ذات الأثاث الفاخر، العابقة بروائح العطر النافذ وماء الورد وخشب الصندل، وفي إحدى الزوايا رأيت جهاز

اسطوانات على طاولة صغيرة، بينما الورود والزهور تزين الطاولات ذات الزخارف الساحرة..» الأضواء خافتة والجو حالم، والتوقعات تزيد من ضربات القلب وخفقاته..«قدمت لي فهدة القهوة والحلويات اللذيذة، ثم همست: ستحضر سنوى بعد قليل».

ومضى الوقت القليل، فنهضت الوصيفة المخلصة الوفية إلى جهاز الاسطوانات وأدارته. صدر عنه موسيقى شرقية ساحرة ذكرت الطبيب برمسكي كورساكوف... ترى هل كانت موسيقى شهرزاد...؟! ارتفع صوت دقات قلب الطبيب..

«وفجأة، ومن بين الظلال الخافتة ظهر قدّ ممشوق فتيّ.. لفّه ثوب ساتاني شفاف، يكشف عن كل جسدها الممشوق... ويزيد سحر ما غطاه.. إن كان يغطي شيئاً.. وبدأت سنوى (التي هزها الطلاق وفقدان فلذة كبدها) رقصة ساحرة تتخللها حركات إغراء جنسية مثيرة قدر ما هي ناعمة حالمة... رقصت برشاقة وبعفوية، وبخفة وإبداع، وكأن الحركات جزء من قدّها الممشوق.. ودلالها الغنج..

«وتسارعت وتيرة الموسيقى، فبدت (الاميرة الحزينة) وكأنها تحولت إلى درويش راقص. تلفّ حول نفسها وتدور.. وتدور، كدوار ريح عاتية، كما لو أن الموسيقى نقلتها إلى حالة هذيان

ونشوة عارمة. وفجأة انسالت الدموع من عينيها على خديها (فهي مطلقة ثكلى حزينة!!) بينما ازداد تسارع خطواتها ودوراتها، ثم عادت إلى الهدوء الراقص، أو قل الرقص الهادىء، وعادت الرقصة بطيئة حالمة، مثيرة أخاذة... وما أن انتهت الموسيقى، حتى بدت (الأميرة الحزينة) وكأنها ذابت في الهواء واختفت.. وعادت الأميرة المتقاعدة، بعد أن ارتدت ثوباً أكثر واقعية، ومسحت الدموع عن عينيها وخدها وهي تقول: أنت الرجل الوحيد الذي رآني أرقص... غير زوجي طبعاً!!».

ولم ينس الطبيب الأميرة ولا الرقصة، فقد كان عرفاناً بجميله (وأي جميل؟!) الذي لا ينسى..

هكذا يكون العرفان الأميري بالجميل، وإلّا فلا.. وإن كان أحد ما يزال يتساءل: وأين ذهبت أموال النفط؟. نقول: حكاية الطبيب حتى الآن مثال على أسلوب الانفاق الملكي السعودي في سبيل تطوير الأمة والبلاد..

لكن الطبيب الفضولي اكتشف أساليب انفاق أخرى لهذه الأموال فيما بعد، خاصة عندما أدخل إلى مستشفاه في الرياض الأمير «يوسف»، ابن عم الملك خالد، وأحد أقرب المقربين إليه. كان يشكو من نزيف في الأمعاء، فطلب من الطبيب غري أن يضعه تحت إشرافه مباشرة. حين أبلغه الطبيب الآخر، الدكتور

كمبتون، بهذا التكليف، سأله فجأة: -

«بالمناسبة، هل فتحت حقائبك؟».

وأجاب الطبيب المذهول من السؤال: لا. لم أفعل ذلك بعد. لماذا تسأل؟

- «حسناً فعلت، لا تفتح حقائبك، وابق على امتعتك مخزومة. سيطلب منك مغادرة البلاد إذا لم يتماثل الأمير إلى الشفاء. تلك هي العادة هنا».

ولكن الأمير يوسف تماثل للشفاء لحسن الحظ، حظ الطبيب، وحظنا لكي يطلعنا على حقائق جديدة من خلال إقامته الطويلة. فقد كانت قرحة نازفة، سببها الأطعمة التي يتناولها الأمير، والتي أذهلت الطبيب حين ذكرها مريضه التقي الورع الذي كان صائماً حينذاك لان الشهر كان شهر رمضان المبارك، ولكنه أجبر المريض على تناول الأرز واللبن وحليب الماعز - بالتدريج فرضي المريض بحكم الطبيب، ثم جاء ابنه «ناصر» لشكر الدكتور غري، وليحدثه عن الخيول الأصيلة التي يملكها والده والتي تشارك في السباقات العالمية. وحين قدم الملك خالد، وولي عهده فهد لزيارة الأمير يوسف سنحت الفرصة للطبيب لكي يتعرف إليهما عن قرب:

«يشكل الإثنان معاً خلفاً قوياً للملك فيصل: فخالد،

البدوي المحافظ، يتمتع بشعبية كبيرة بين القبائل، كما أن الإيمان بقيادته هو الذي يبقي على العناصر المحافظة في المجتمع السعودي هادئة لا تقاوم المبادرات التقدمية التي تقوم بها الحكومة. أما فهد، فهو رجل عصري جداً في تفكيره، وغالباً ما يساند التغييرات في المجتمع السعودي، بما في ذلك تغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة، خاصة بالنسبة لحرية المرأة. ولأن صحة الملك خالد غير جيدة، فإن فهد هو الذي يدير أمور الدولة، فهو يعتبر القائد الفعلي في العربية السعودية...».

وزيادة في إيضاح مدى تقدمية وعصرية فهد، وفي شرح معالم التقدم التي أدخلها على «المجتمع السعودي» يقول الطبيب الكاتب:

«تمتد الاختلافات بين الرجلين لتشمل حياتهما الشخصية: فخالد البدوي يحب صيد الصقور... أما فهد، العصري المثقف المتمدن وواسع الثقافة والمعرفة، فهو يجمع بين التقاليد الإسلامية وثقافة المجتمع الغربي. فهو يركب طائرته الخاصة ويذهب في رحلات استجمام إلى أوروبا الغربية، حيث يمتع النفس بما يحبه من الخطايا والآثام، وهو يحبها كلها، خاصة المحرمة في العربية السعودية. وقد تحدثت الصحف الفرنسية عن الملك فقالت إنه خسر مبلغ خمسة ملايين دولار في لعب القمار في ليلة واحدة وفي ناد واحد للقمار على شاطىء الريفيرا... وكان يختار أقدس أيام

العام والأعياد الاسلامية ليقوم بمغامراته هذه، مما أثار عليه غضب الملك فيصل. . .».

بعد تماثل الأمير يوسف للشفاء تحسنت ظروف الطبيب الهارب من دفع الضرائب في أمريكا، فراح يسأل زملاءه الغربيين عن التسليات المتوفرة في السعودية. قال له زميله فيليب، أحد الأطباء:

«اللبنانيون يقيميون حفلات عظيمة يقدمون فيها الطعام الشهي، وعرق «صديقي» والرقص بمختلف أنواعه. . . أما السعوديون فحفلاتهم هادئة وكرمهم كبير، والطعام جيد، والمسكرات ممنوعة. . .».

أصحيح هذا؟؟

نعم، ولكن «حفلة يقيمها شباب العائلة المالكة هي شيء مختلف تماماً. . فهم غالباً ما يعرضون بارات تزخر بكل أنواع الشمبانيا والويسكي الفاخر، والجن، وغيرها. . . فالموانىء مفتوحة أمامهم، ولا يمرون أبداً عبر الحواجز الجمركية» ثم يتساءل صديقنا الطبيب: «ولم لا؟ فمن يملك هذا البلد؟!».

ولم ينتظر الطبيب طويلاً حتى يرى بعينه ما لم يصدقه حين سمعه. وبين ما سمع وما رأى مرت فترة من الزمن استطاع خلالها أن يرى الوجه الآخر من الحياة في السعودية، وجه الذين حرم

عليهم الطعام والكساء والمال، يصلون ليلهم بنهارهم يكدون بحثاً عنها. فقد سألته إحدى سكرتيرات المستشفى مرة: هل رأيت ذاك الرجل القابع خارج بابنا؟ إنه مصري، وهو وبديله يرابطان هنا صباح مساء، أربعاً وعشرين ساعة يومياً، وينامان على تخت طفل صغير، ويأكلان في غرفة الغسيل. هل تصدق أن الزوار الأجانب في هذا البلد يخضعون لمراقبة دائمة حتى لا يدخلوا النساء أو المشروبات إلى غرفهم!! يوجد خادم من هذا النوع في كل طابق، عادة من مصر أو السودان، لأن السعوديين لا يمارسون الأعمال اليدوية الوضيعة، مثل تنظيف الغرف أو تغيير أغطية الأسرة... ولكن المصريين والسودانيين لا يغيرون الأغطية ولا ينظفون الغرف إلاّ إذا دفعت لهم «البقشيش... حين وصلنا الفندق طلبت مناشف نظيفة، فقال المصري «ما فيش» وبعد أيام دفعت له خمسة ريالات، فظهرت المناشف بسحر ساحر... ربما لا يدفع لهم صاحب الفندق إلاّ القليل أو لا شيء!».

وبين السمع والرؤية أيضاً، حضرت إلى عيادة الطبيب الفضولي امرأة بدوية جاءت مع زوجها من منطقة قريبة من مكة. كتب الطبيب الذي أحالها يقول إنها من قبيلة قريش، فأوراق دخول المستشفى تذكر دائماً القبيلة التي ينتمي إليها المريض..!!

لم يسأل الطبيب عن سبب ذلك، ولكنه قرر فحص المريضة، فرفضت رفع الخمار عن وجهها، أما حين طلب منها أن

تخلع كل ثيابها، فقد وافقت على الفور، شريطة أن يبقى وجهها مستوراً، وقد حمد الله بعد ذلك لأنها لم تكشف عن وجهها، ولكنه استغرب من سهولة خلعها ثيابها، وإصرارها على إخفاء وجهها. لم يطل استغرابه حين أخبرته الممرضة الأميريكية التي كانت تساعده في فحص المريضة «أن النساء لا يمانعن في كشف أجسادهن طالما أن هوية الجسد العاري ليست معروفة وهنّ يخلعن ثيابهن بكل سرور شريطة إبقاء غطاء الوجه لإخفاء هويتهن»..

ترى هل هذه حالة النساء.. أم حالة العائلة المالكة بأسرها.. تقىً في العلن وفجور ودعارة حيث لا يرى أحد؟!

وبين الوعد بالحفلة الصاخبة وموعدها، استقبل الدكتور غري سيدتين في عيادته كانتا تشكوان من أوجاع معدية عزتاها إلى «الديدان» أو «الطفيليات». كانتا نموذجين عن نوع من الناس يحتاجون دائما لطمأنة الطبيب. وقد كانتا تشكوان من عدة أوجاع لم يكن منها ما يدل إلى مرض معين، فتراهما وأمثالهما تشدان الرحال من عيادة إلى أخرى ومعهما التقارير وصور الأشعة التي تؤكد أنهما بألف خير.

أما المريضتان الحاليتان فكانتا تحملان رسائل من أطباء في الرياض، لا شك أنهما دفعتا مالاً كثيراً للحصول عليها، لا لشيء إلّا للدخول إلى العيادة المتخصصة في مستشفى الملك فيصل،

تعبيراً عن المركز الاجتماعي، ولتتحدثا عن هذا إلى صديقاتهما. كانتا امرأتين شابتين في غاية الصحة، فخورتين بالمجموعة الهائلة من التقارير الطبية التي جمعتاها من جميع أنحاء العالم (لندن، باريس، برلين، ذيورخ، القاهرة الخ...)، وكلها تثبت أن الشابتين في صحة ممتازة. إن ما كانتا تحتاجان إليه، حسب رأي الطبيب، هو معالج نفساني، يحدثهما عن مشاكلهما: وما هي هذه المشاكل: يقول الطبيب إن مشاكل نساء العائلة المالكة وطبقة المليونيرية الجدد هي: الملل والضجر، وعدم الشعور بالأمان، وعدم الاكتفاء الجنسي، والزواج غير السعيد، والمجتمع المغلق الذي يعشن فيه... ولقد كان من هؤلاء الكثيرات في السعودية..

في هذه الأثناء كان الأمير «يوسف» ما يزال في المستشفى، ويتلقى الزيارات من كبار القوم؛ وعلى رأسهم أفراد العائلة المالكة. وحين سأل الطبيب المترجم عمّا كانوا يتحدثون عنه وهم يهمسون ويضحكون، قال كمال المترجم إن حديثهم كان حول صحة الأمير، وأنهم كانوا يتساءلون لماذا لم يذهب إلى لندن، حسب التقاليد المعتادة. وقد استنكر بعض الأمراء، والضحك يملأ أفواههم، هذا الخروج على التقاليد الذي حرمهم من رحلاتهم إلى لندن... وحين تماثل الأمير يوسف للشفاء، قويت أواصر الصداقة بينه وبين الطبيب، فأخبره بأنه يملك قصوراً في

الرياض وجدة والطائف والمدينة ، بمعدل قصر لكل زوجة من زوجاته الأربع . وقال إن القصور متماثلة تماماً ، وذلك من باب العدل بين الزوجات ، وحتى عدد الخدم والخادمات كان واحداً في جميع القصور. . . فالأمير واحد من الجيل الأسبق من الطبقة الممتازة التي ورثت مالاً وثروات عظيمة، بالإضافة إلى المبالغ السنوية التي **يدفعها** لهم «التاج السعودي»، لا لشيء سوى لأنهم أمراء. وقال الأمير إنه يملك أيضاً مزرعة كبيرة تبعد حوالي ثمانين كيلومتراً عن الرياض، يربي فيها الخيول العربية الأصيلة وجمال السباق أيضاً. كما يملك كماً غير محدود من العقارات والأبنية في الشمال لم يكن حتى هو يعرف قيمتها لضخامتها. أما رأس المال الذي يستخدمه في مشروعات البناء، وكلها حكر له، فيبلغ ٣٠٠ مليون دولار سنوياً، تدر عليه أرباحاً سنوية تصل إلى ٦٠ مليون دولار.

وسأل الطبيب الهارب من الضرائب الأميريكية:

«وطبعاً هذه الأرباح معفية من الضرائب؟».

«نعم. . .» قالها الأمير بصبر «فالمواطن العربي السعودي لا يدفع ضريبة دخل، فهذا ضد تقاليدنا»!!

لم يتساءل الطبيب كم كان الحاجب المصري سيدفع ضريبة على الريالات الخمسة التي رشته بها ليغير لها الفوط. !!

وعندما شكا الطبيب من إرتفاع الضرائب في أمريكا اقترح

الأمير عليه أن تعتنق الحكومة الأميركية الإسلام، فتلغي ضريبة الدخل. . !! وعندما قال له إن الحكـومة الأمـيريكية تنفق تلك الضرائب عـلى مسـاعـدة الفقـراء، وهــذا من «أوامـر الــدين الاسلامي، على ما أعتقد!!» تدخل سليم، أحد الأبناء الـذين وصلوا لتوهم، وأنقذ والده من ورطة وخيمة قائلاً: الضرائب في الولايات المتحـدة تستخدم لأغـراض كثيرة أخـرى، ومعظمهـا يذهب هدراً!!

لكن الطبيب لم يسكت، فسأل: ولكن هناك أعداد كبيرة من الفقراء في السعودية، فماذا تفعل الحكومة من أجلهم؟؟

جواب سليم لم يكن له علاقة بالفقراء مطلقاً، بل بما يجنيه والده، فقال:

«ستنفق حكومتنا ١٤٠ بليون دولار خلال الأعوام الخمسة القادمة على تطوير البلاد، وستنفق منها ٣٠ بليون دولار على بناء البيوت والطرقات والمدارس والمستشفيات وتحديث المدن، الأمير والد سليم يعمل في مجال الإعمار، وقد حسب سليم بذلك حصة والده من الخطة الخمسية». .

هـذه **الأموال** ستـأتينا من النفط، ولا حـاجـة بنـا لـدفـع الضرائب. ثــم أضاف «وكل مواطن سعودي يستطيع اقتراض الأموال من الحكومة لبناء البيوت والطرقات». ربما كان والده،

رغم ثروته، يقترض من الحكومة، بلا فائدة طبعاً، المبالغ التي كان يستخدمها في البناء وتدرّ عليه ٦٠ مليون دولار سنوياً، وحتى هذه القروض، حين تقدم لأمثال والده، سرعان ما تحولها الحكومة إلى «هدايا»، كما قال «لأولئك الذين يعمرون البلاد، فلا تتوقع منهم إعادة تلك الأموال».

يقول الطبيب الهارب من دفع الضرائب الأميريكية: -

جلست بعد هذا الحديث أحاول استيعاب كل هذه الأرقام. هذا الأمير يملك ما يدر عليه ٦٠ مليون دولار من الأرباح الصافية سنوياً، معفية من الضرائب، وبالإضافة إلى ذلك يملك ستة عشر قصراً، ومزرعة واسعة يربي فيها خيول وجمال السباق، بالإضافة إلى عدد غير محدد من العقارات والأراضي.. ومع ذلك يتلقى من التاج مبلغاً.. صغيراً بالمقارنة.. لا يتعدى المائة ألف دولار سنوياً، لا لشيء سوى لأنه.. أمير!! وتابع الطبيب حديثه فقال:

سألته عن عدد الخدم، فتوقف الأمير برهة، والتفت يستشير سليم، ثم قال: ثلاثمائة يخدمون القصور والزوجات ويعتنون بالأطفال..

«وعلمت منه (من الأمير، يوسف) أيضاً أنه تزوج مرات عديدة في حياته، ورغم أنه لا يحتفظ بأكثر من أربع زوجات في وقت واحد، فقد تذكر أربعاً وثلاثين زوجة، هذا إذا لم نعد

الجواري والعشيقات اللواتي لا حصر لهن» ويضيف الطبيب: «كل ذلك حسب تعاليم القرآن وبموجب شرعه وأصوله»، والأمير فخور بأبنائه الخمسة والعشرين، لكنه لم يكن متأكداً من عدد بناته، فقدر العدد باثنتين وعشرين بنتاً.

وأخيراً حضر لزيارة الأمير ابن صفير لم يكن يتجاوز الثمانية أعوام، فلم يتذكره الأمير، ولكن سليم ساعده، فبدأ يتذكر.. آ.. نعم.. أنت عبدالله... ابن لولا أصغر زوجاته.. وآخرهن..

بعد هذا انتقل الأمير يوسف للحديث عن سبب نعمته فقال «إنه الإسلام، ولا شيء غير الإسلام»، الذي وصفه للطبيب الأمريكي قائلاً «ليس لدى عالمكم فكرة عن مدى أهمية الإسلام في حياة الناس في السعودية. وما لم تفهموا هذا، فلن تستطيعوا فهمنا ولا فهم عاداتنا... إن الإسلام في قلوبنا وعقولنا في كل لحظة من ساعات الليل والنهار.. في كل لحظة.....».

وتحدث الأمير عن الطمأنينة والأمان ومحاربة اللصوص، وبالطبع الزنا، ولم يجد غضاضة في التفاخر بأحكام الاسلام هذه، فليس منها معاذ الله، ما يتطبق عليه ولا على عائلته... قال الأمير التقي: «نحن لا يمكن أن نسكت على جريمة قتل أو زنا، لذلك بيوتنا ومدننا آمنة وخالية من الجرائم، وحياتنا في أمان.. نحن

شعب بسيط قانع.. قانع جداً.... وعالج الطبيب الأمريكي.. مريضة ملكية أخرى، هي الأميرة «سلطانة» السديدي، سديدية الأب، أميريكية الأم، فجمعت المجد من طرفيه.. وكانت تجمع الثقافتين.. والحضارتين معاً.

قالت له الأميرة إن إحدى المفارقات الغريبة في السعودية هي أن الثروة الهائلة التي أتى بها النفط جعلت من نساء السعودية شبه سجينات... حيث لا شيء يفعلنه سوى الملل. وانتظار العريس.. ليتنا بقينا فقراء، لكان ذلك أفضل للنساء.. إن بعض الفقراء الذين يعيشون في أكواخ الطين يعرفون قيمة الحياة أكثر منا.. إنهم يضحكون على الأقل.. إنهم هم السعداء.. الحقيقة أن النساء لا يجدن ما يعملنه في هذه البلد... **محرم** عليهن قيادة السيارات، فلهن سائقون يتدللن عليهم أكثر مما يتدللن على أزواجهنّ... لا نستطيع حراكاً بلا السائقين حتى صار هؤلاء أولياء مقدسين بالنسبة لنا...!!.

«ولم لا.. والطلاق بالنسبة للرجل لا يعني شيئاً هنا.. كان لي ابن عم تزوج وطلق في شهر واحد. كانت زوجته في الخامسة عشرة من عمرها حينذاك، وذهب في رحلة طويلة بعد الزواج، وحين عاد، ذهب لزيارة إحدى زوجاته الأخريات قبل أن يزورها، فسالت دموع المسكينة، ولأنها بكت.. غضب زوجها.. فطلقها!!».

ولكن المطلقات الملكيات، على خلاف مطلقات الفقراء، لا يعانين من فاقة. والواقع أن كل واحدة من المنتسبات إلى العائلة المالكة، بالزواج أو بالقرابة، تتقاضى، حسب اعتراف الأميرة سلطانة **السديدي**. ستين الف ريال شهرياً من أموال الخزينة، وهي ما يسمى «الميزانية» التي تدفع لهؤلاء، وتدفع أضعافاً مضاعفة للذكور، كل حسب سنه ومنصبه ومقامه. وتقول الأميرة إن هذا الراتب الشهري يذهب إلى الآلاف المؤلفة من أفراد العائلة، ولا يستثنى من ذلك عائلة السديدي طبعاً، التي تحصل على نفس المبلغ. وحين سألها الطبيب: من أين تأتي هذه الأموال تحديداً؟ **أجابت سلطانة: وماذا يهم من أين تأتي: إن آل سعود يملكون الحكومة وكل ما فيها من أموال. فالحكومة كلها شركة ضخمة أعضاؤها من أفراد العائلة المالكة... إنها جزء من أموال السلالة السعودية التي تتقاضى مبلغاً هائلاً كل عام، كنوع من الأرباح تجنيه من هذه الشركة.**

وتضيف سلطانة: كلنا نحصل على هذه المبالغ، وبعض الناس لا يعجبهم هذا. فقد بدأ الفقراء يتذمرون الآن ويقولون: ماذا فعلتم حتى تستحقوا كل هذه الأموال؟... وأنا أقول أيضاً: إن هذا ليس عدلاً، ولكن لا بد من التفكير بآل سعود.. أقربائنا.. ويجب أن نظهر بمظهر من يليق بذلك النسب.

وفي جلسة أخرى أثناء وجودها في المستشفى، حدثته سلطانة

عن صلة القرابة بين آل السديدي وآل سعود. حدثته عن حصة بنت أحمد السديدي التي تزوجها الملك عبد العزيز فلم تنجب له أولاداً، فطلقها، وتزوج أختها سلطانة، بينما تزوج شقيق الملك حصة. وما أن تزوجت حصة أخا عبد العزيز. حتى أنجبت له ولداً!! فجن جنون الملك، وطالب باستعادة زوجته، فطلقها الأخ المطيع وعادت فتزوجت الملك الذي أنجبت له بعد ذلك خمس بنات وسبعة أولاد!!

يعني أن الملك عبد العزيز كان متزوجاً بأختين في وقت واحد..

وأولاد حصة هم الذين يطلق عليهم اسم «السبعة السديديون الكبار» ومنهم طبعاً الملك فهد، والأمير سلطان.. وحين أعرب الطبيب عن استغرابه لبقاء أختين زوجتين للملك في نفس الوقت، قالت الأميرة سلطانة: ليس ذلك فقط، بل وكان متزوجاً في نفس الوقت من إحدى بنات عمهما...

وحدثها الطبيب عن الأميرة مشعل التي قتلتها العائلة المالكة بتهمة الزنى.. قالت سلطانة، التي لم تكن قد سمعت بالحادثة.. إن هذا عمل خاطىء، وعقوبته القذف بالحجارة حتى الموت، لأنه يأتي بالعار على العائلة، خاصة إذا كانت تلك العائلة هي العائلة المالكة.

وتساءل الطبيب عندها: ولماذا ترجم المرأة فقط؟! لو قتلوا كل رجل يرتكب جريمة الزنى في السعودية، لما بقي في المملكة رجل واحد. !! لماذا لا يرجمون الرجال أيضاً؟!

وتجيب سلطانة جواباً سعودياً أصيلاً: -

. «لأن شرف العائلة يعتمد على المرأة. . . . خاصة وأنها أميرة. . . ربما كان جدها هو الذي أصدر القرار. . . ».

ثم حدثته سلطانة عن شيوع الشذوذ الجنسي بين الذكور وبين الإناث (اللواط والسحاق) في المدارس والمجتمعات. . حتى وصل الأمر لها. . فرفضت. . . وحدثته عن الصداقات بين البنات والشباب عن طريق الهاتف. . وحدثته عن الأعداد المتزايدة من المدمنين على الخمر والمخدرات، ولكنها، كما قالت أمور تبقى في السر، لأنها محرمة. . قانونياً ودينياً!!

أما سلطانة فكانت شخصياً مخطوبة، «لمحمود الدويك» الذي سيهيء له زواجه فرصة احتلال منصب رفيع في العائلة المالكة. لم يكن واحداً من أفرادها. لكنها فضلته على خطيب آخر كان أميراً، لأنها تحب الحياة البسيطة. وفي زيارة لاحقة، عرفت سلطانة الطبيب على خطيبها «محمود» الذي دعاه لحضور حفلة العرس القريبة، التي جرت في شهر إبريل الربيعي، وحضرها كبار القوم، بالإضافة إلى الطبيب الذي يصف الحفلة وكأنها من

عالم الخيال. . . ولم لا. . فوالد العريس يجني أرباحاً سنوية تصل إلى ٤٠ مليون دولار. . من حفر الآبار الارتوازية، التي غالباً ما ينبع منها النفط بدل الماء. .

ويتحدث الطبيب، قبل أن يعود إلى سيرة محمود، عن أول عيد ميلاد يمر عليه في الرياض، حين دق باب شقته، وعندما فتحه وجد أميراً بلحمه ودمه، كان أحد مرضاه في السابق. لم ينطق الأمير بحرف، بل وضع صندوقاً كبيراً عند الباب ومضى. وحين فتحه الطبيب وجده مملوءاً بزجاجات النبيذ والويسكي والفودكا، لفت للتمويه بأكياس بلاستيكية من أحد المحلات التجارية وغطيت بالصحف القديمة. يقول الطبيب: إن جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحارب تعاطي المسكرات ولكنها لا تعتدي على حرمات البيوت ولا تدخلها أبداً. (لكن الطبيب لم يعمل في منطقة الأحساء والقطيف، ولم يشاهد رجال تلك الجمعية يداهمون البيوت الآمنة، لا بحثاً عن المسكرات، فما كانوا ليجدوا من يشربها هناك، ولكن بحثاً عن مدخني السجاير في بيوتهم!! فالتدخين على أهل المنطقة الشرقية حرام، والأمراء في الرياض يحملون المسكرات الى بيوت أصدقائهم!! نعود هنا فنذكر المرأة التي لم تمانع في الكشف عن كل جسدها للطبيب شريطة أن يبقى وجهها مخفياً. .).

ويتابع الطبيب المتمتع بمسكرات ليلة عيد الميلاد الملكية

قائلاً: ـ

«أن أفراد العائلة المالكة السعودية أكثر حرية في إظهار مشروباتهم وإطلاع الآخرين عليها من إطلاعهم على نسائهم أو ثرواتهم... وهذا ما كان حدث حين كان يدعى الطبيب إلى بيوت الأمراء... خمر كثيرة.. ولكن للرجال الأمراء فقط.

ثم دعي الطبيب لحضور مؤتمر في الظهران لمناقشة الأمراض المستوطنة في المنطقة. هناك دخل عالم آرامكو، والتقى بشخص يدعى توم، حدثه عن المنطقة وأهلها، ومن يجمع الثروات فيها ومن يبذل العرق والدماء في معاملها: ـ

«معظم عمالنا كانوا من الشيعة، وكما تعلم، فهم أقلية في العربية السعودية، فلا يتجاوز عددهم بضع مئات من الآلاف استقروا في هذه المنطقة وصاروا من أبناء المدن، والمزارعين والحرفيين في الهفوف وقطيف. لقد برهن الشيعة على أنهم أكثر قابلية للتأقلم مع مطلبات صناعتنا النفطية، ويقومون بالأعمال اليدوية التي كان يرفضها البدو.. لقد استغرق جهدنا ثلاثين عاماً كاملة إلى أن استطعنا توظيف ٢٥٠٠٠ عربي سعودي للعمل معنا. (هنا طبعاً يقصد الطبيب بالعربي السعودي البدوي الذي كان يرفض العمل، ولا يشمل الشيعة في رقمه الذين اعتبرهم من غير السعوديين، بل «المستوطنين»، كما لم يذكر الطبيب، ولا

محدثه، لماذا كان كـل هذا الاصرار عـلى تدريب البدو(العرب السعوديين) وتوظيفهم رغم توفر بضعة مئات آلاف من الشيعة الذين يصفهم بأنهم كانوا أكثر استعداداً للتـأقلم مع متـطلبات العمل في آرامكو. . . لا يذكر الطبيب ولا مخبره أن هذا الإصرار جاء نتيجة قرار آل سعود باستبعاد الكفاءات الشيعية عن العمل في آرامكو، مهما كلف الأمر، والأمر ما يزال ساري المفعول الآن، حيث ترفض طلبات الشيعـة للعمل في الشركـة، ويطردون من أعمالهم مهما كانت الحاجة إلى اختصاصاتهم وكفاءاتهم). .

ثم يحدثه أميريكي آخر، اسمه هنري، عن العدد الكبير من السعوديين الذين جمعوا ثروات طائلة، لا لشيء سوى لعلاقاتهم الشخصية الوثيقة ببعض أفراد العائلة المالكة:

«إثنـان من هؤلاء كـانـا من الأطبـاء، أحـدهمـا عـدنـان الخاشوقجي، الذي كان والده طبيباً ومستشاراً مقرباً لابن سعود، والثاني هو غيث فرعون، الذي كان والده طبيباً ومستشاراً مقرباً جداً أيضاً للملك فيصل. كلاهمـا تلقيا دراستهـما في الولايـات المتحدة، وكلاهما كوّن ثروة هائلة من خلال نفوذ والده، وكلاهما يملك الآن امبراطوريات مالية تمتد على امتداد الكرة الأرضية. .

«وبما أن لكليهما مصالح سائدة في البنوك الأميريكية، فإنهما يحتكران معظم مشاريع الانشاءات في السعودية. . . غيث فرعون

يسافر على ظهر طائرته الخاصة من طراز بوينغ ٧٠٧ إلى مكاتب شركته في لندن وباريس لعقد الصفقات بالملايين. . .

«أما الخاشوقجي فهو الأكثر ولعاً بـالملذات. . . وهو يملك طائرة بوينغ ٧٢٧، صممت على شكل مكاتب، لتعبر عن الثروة العربية، ربح البلايين من صفقات السـلاح للسعوديـة، لشراء الدبابات الفرنسية، وطائرات الهليكـوبتر البريطانية، والطائرات القتالية الأميريكية. وحين كان في السادسة والعشرين من عمره أصبح وكيل شركة لوكهيد المعتمد. في السبعينات وصلت مبيعات لـوكهيد من المعـدات الحربيـة للسعوديـة إلى ألف مليون دولار سنوياً، فدفعت للخاشوقجي مائة مليون دولار مقـابل «ممـارسة نفوذه على الأشخاص النافذين في الحكومة السعودية». وانكشفت فضيحة أخرى فيما بعد، حين وجد أن شركة لوكهيد كانت تدفع له ٢٠٠٠٠٠ دولار أخرى مقابل كل طائـرة يبيعها للسعـودية، وذلك لدفـع «التعويضـات عن الرشـوات السرية» وكعمـولات وكيل، وسمسرة والخ. . .

وقال هنري: إن شركة نوثروب عقدت في عام ١٩٧٥ عقداً مع سلاح الجو السعودي قيمته ألف مليون دولار، تلقى الوكيل عدنان خاشوقجي، خمسين مليون دولار عمولة على هذا العقد. إلّا أن وزارة الحربية الأميريكية اكتشفت أنه دفع، بالمقابل، حوالي نصف مليون دولار لضابطين برتبة جنرال (لواء) في سلاح الجو

السعودي، وحاولت التدخل في الأمر. لكن الخاشوقجي ربح المعركة في نهاية الأمر، فوصف نفسه بأنه جسر بين حضارتين وثقافتين ومفهومين أخلاقيين. وقال الخاشوقجي لوزارة الحربية الغاصبة: أنتم لا تستطيعون نقل الأخلاق الأميركية وتصديرها إلى السعودية!!».

كان هذا هو حكم عدنان الخاشوقجي على أخلاق العائلة المالكة السعودية وكبار ضباط الطيران السعوديين، وعلى قيمهم «الاسلامية». وبهذا الحكم أيضاً رتب صفقة نقل يهود الفلاشا من الحبشة إلى إسرائيل، مقابل خمسين مليون دولار لجعفر النميري أما عمولته هو فلم يكشف عنها حتى الآن. والغريب أن آل سعود، بالرغم من حكم الخاشوقجي القاطع على أخلاقهم وأمانتهم، ما يزالون يحمونه ويدافعون عنه..

وبمناسبة الحديث عن استخدام النفوذ لدى كبار أفراد العائلة المالكة، تحدث أمريكي آخر يدعى توم عن البريطاني المشهور بعبدالله فيلبي ودوره في رسو امتياز النفط على آرامكو، فقال للطبيب الأمريكي:

ـ لقد استأجرت آرامكو مستعرباً بريطانياً مشهوراً، هو هنري سانت جون فيلبي لاستخدام بنفوذه لدى الملك ابن سعود ليمنحها امتياز النفط الأول. كان فيلبي مستشاراً للملك وصديقاً مقرباً له لسنوات طويلة:

«كنت أشاهد فيلبي يسوق سيارته الهرمة القديمة حول موقع الشركة. . . ربما دفعت له الشركة مائة دولار وقربة من لبن الماعز مقابل جهوده»!!

ويتابع الأميركي الفضولي حديثه عن الذين أثروا من خلال العلاقات الملكية، فيقول: -

-وهناك عائلة أخرى استفادت كثيراً من «أصدقاء البلاط الملكي» هي عائلة الجفلي، التي كانت تربطها صداقة قوية بالملك ابن سعود. وقد حصلت على عقود لتمديد: الكهرباء في مكة، والهاتف في جدة، وهي التي تحتكر صناعة الاسمنت في البلاد. وهي تعمل كوكيلة في السعودية لما يزيدُ على الثلاثمائة شركة عالمية مثل آي. بي. م.، وفولكسواغن، وميشيلين وغيرها. يمكنكم طبعاً أن تتصوروا حجم الأرباح المنهالة عليها..

وسأل الطبيب الذي تسبب له الضرائب الأمريكية حالة من الهستيريا: -

«أولا يدفعون ضريبة دخل»؟

«ولا مليماً واحداً!».

لا هذه العائلة تدفع الضرائب، ولا الأمير «ابراهيم»، الذي استدعى الدكتور غري لعلاجه في منزله في الرياض. وحين تردد جاءه الأمر القاطع: -

«هذا طلب خاص من الملك (خالد) نفسه. اسم المريض هو الأمير ابراهيم مقرن الكبير. هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟».

«ربما كان واحداً من أفراد العائلة المالكة؟».

ـبل هو أحد الملكيين الأصلاء الذين قاتلوا إلى جانب الملك ابن سعود في نجد. وهو أعظم الأمراء نفوذاً سياسياً في المملكة وربما واحد من أغناهم على الاطلاق. ربما لو أخبرتك بمقدار المال الذي يملكه لما صدقتني..

ـجربني..

ـحسناً. هو يملك حرد وما فيها؟..

ـ ماذا تعني؟

ـأعني أنه يملك مدينة حرد، فقد قدمها له الملك هدية لأنه قاتل إلى جانبه حين كان شاباً.

ضحك الطبيب وهو لا يصدق ما سمع.

ـلا.. لا يمكنني أن أتصور هذا.

ضحك زميله، وتواعدا على اللقاء للذهاب إلى الأمير.. كان اسم ذلك الزميل هو «بارو»، الذي تابع حديثه في الطريق إلى قصر الأمير فقال:

ـ هذا الأمير ثري غني إلى درجة لا يتصورها الخيال. فهو يملك ما بين ٣٠و٣٥ بليون (ألف مليون) دولار. لكن هذا مجرد تخمين. وأملاكه ومصالحه من السعة بدرجة لا يعرف معها أحد مقدار ثروته، وربما لن يعرف أحد ذلك إلّا بعد أن يموت ويجري حصر تركته..

«لقد برز الأمير ابراهيم في المنطقة الشرقية، وحين تم النصر لابن سعود، كافأه بمنحه منطقة تحيط بواحة الأحساء، بما فيها بلدة حرد... بعد عشرين عاماً ظهر أن تلك المنطقة هي مركز احتياطي النفط والغاز، فتحول الأمير ابراهيم، بين عشية وضحاها، إلى ثري من أكبر أثرياء العالم..».

وحين اقترب الزميلان من قصر الأمير ابراهيم قرب الرياض، لاحظ الدكتور غري وجود أكواخ طينية بالغة الفقر والبؤس، فسأل زميله عن سكانها. أجابه بأنهم عبيد الأمير ابراهيم السابقين الذين أعتقهم عام١٩٦٢. لقد بدت حالة الفقر والبؤس المدقع التي تحيط بقصر الأمير وكأنها تذكرة لهؤلاء العبيد بما كانوا عليه، فبدوا راضين بالاستمرار في خدمة الأمير بأجور لا تغني ولا تسمن من جوع..

أدخل الأمير ابراهيم إلى المستشفى، وطالت إقامته وبدأ الطبيب الفضولي يكتشف أشياء عجيبة: ـ

«بدأت أكتشف الصدوع والانقسامات الكامنة تحت سطح المظاهر التوددية في العائلة المالكة السعودية. يبدو أن أبناء الأمير كانوا يرتابون ببعضهم البعض، ويرتابون بزوجات الأمير، خاصة الزوجة الأصغر سناً بينهم التي وصفوها بأنها «مخططة جهنمية». ولاحظت أن الابنين اللذين كانا يبقيان مع والدهما للسهر على راحته هما من عمرين متفاوتين، أحدهما كبير في السن والآخر صغير، وسرعان ما علمت أنه كان يجري اختيارهما كذلك عن عمد، بحيث يمثلان أمهات مختلفات (ليس أماً واحدة) وفروعاً مختلفة من العائلة. وكان الإبقاء على الزوجات بعيدات عن الأمير، والمحافظة الصارمة على وجود ابنين معاً يسهران على والدهما هي الطريقة التي اتبعوها للاطمئنان على المحافظة على «الوضع الراهن» في العائلة. كان هذا حلاً سعودياً صرفاً للمسألة، وقد أثبت نجاعته وفعاليته الفائقة».

«ولكني شعرت بتعاطف متزايد مع الأمير، الذي وضع تحت حجر صحي تقريباً بسبب التنافسات والحزازات العائلية، ومنعت عنه زيارات زوجاته وبناته. ولقد بدا ذلك لي مصيراً قاسياً ومحزناً لرجل طاعن في السن، ومثيراً للاستغراب بالنسبة لشخص يستطيع التفاخر بأنه أغنى رجل في المملكة. لم أكن راضياً عن تلك الألاعيب الخبيثة التي كانت تلعب على مريضي، ومع ذلك شعرت بأنني عاجز عن فعل أي شيء. كل ما استطعت أن أفعله

هو أن أقدم له أفضل عناية طبية ممكنة، وأن أراقب بدقة كل ما كان يجري هناك.

«لكن المريض ضاق ذرعاً من البقاء في المستشفى، وأراد أن يعود إلى بيته. رفضت العائلة ذلك. وكان بارو، الصديق الحميم للأمير، يقضي ساعات طويلة مع أبناء الأمير، رغم ما كان يظهره من عطف عليه أثناء وجوده عنده. كان أحد هؤلاء الأبناء يدعى أحمد، أمضى أربعة أعوام في معهد المناجم في كولورادو، وكان يتكلم الانكليزية بطلاقة، ويبدي قلقاً صادقاً على صحة والده.

حدث أحمد الطبيب عن والده فقال: ـ

«إن والدي رجل متدين يؤمن بالعقيدة الوهابيّة، ولا يتردد، إذا دعا الأمر، في إنزال العقاب الجسدي بنا.. ولكنه يعتني بنا... حين ذهبت إلى الولايات المتحدة اشترى لي داراً على مساحة فدانين في أفضل موقع في المدينة، وكنت أعيش في منزل كان أكبر من منزل أي من أساتذتي».

وعلق الطبيب:

«ولكنْ دخلك أكبر من دخل أي منهم أيضاً».

فأجاب أحمد:

«كل أمير، أينما كان في البلاد، يقبض خمسة آلاف دولار

شهرياً بمجرد أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره، ويزيد هذا المبلغ حين يتقدم في السن. . . ولكن والدي هو الـذي أعطاني المبلغ لأشتري به العقار. . .»

وقال الطبيب:

«والدك غني جداً بكل المقاييس. . هل يتقاضى راتبـاً من الدولة أيضاً؟».

«لا تنسى أن والدي صانع ملوك» قالها أحمد بـاعتزاز، ثم أضاف «وهو عضو في الوزارة الملكية، ولذلك تدفع له الحكومة حوالي ٣٠٠٠٠ دولار شهرياً. .».

مضى حوالي العام على وجود الأمير ابراهيم في المستشفى، وكان أحمد خلالها يحدث الطبيب عن وحدة العائلة وتماسكها ومحبة أفرادها بعضهم لبعض، وكيف أن كل هذه الفضائل كانت من عمل والده، لكن الطبيب سأله في أحد الأيام عما إذا كانت العائلة منصفة بحق والده. قال الطبيب:

«أنت تعرف أن السعوديين يفضلون الموت في بيوتهم. البدو منهم أم أفراد العائلة المالكة. ووالدك يتوق إلى العودة إلى البيت، وهو رجل طاعن في السن. وقد مضى عليه هنا أكثر من عام. هل تريدونه أن يموت في المستشفى، خارج بيته؟».

حاول أحمد أن يشرح دسائس العائلة، والسبب الذي كانت

ترغب من أجله في بقاء الامير في المستشفى.

قال: ـ

«ستدفعه الـزوجات إلى الجنـون إذا ذهب إلى البيت. . . وسيتخاصمن على حصصهن في الأملاك، ولن يتمتع بلحظة سلام وهدوء واحدة. أصغـر زوجاتـه لا يزيـد عمرهـا غن الخامسة والثلاثين، وستكون أكثرهن طلبـات. إنه وضـع صعب. نحن نفعل هذا لما فيه خيره».

ومات الأمير بعدها بأيام. يقول الكاتب الطبيب الأميريكي إن الأمير لم يترك وصية، وبناءً عليه فقد وزعت ثروته البالغة خوالي ٣٢ ألف مليـون دولار حسب القـوانـين الشرعيـة. ذهب ثمن تركته ـ أي حوالي أربعة آلاف مليون دولار، لزوجاته الأربـع، فحصلت كل واحدة منهن على ألف مليون دولار. أما الـ ٢٨ ألف مليون دولار المتبقية فقد وزعت بين أفراد ذريته، فحصل كل من الأبناء الذكور على ٩٨٠ مليون دولار، وكل من الإناث على ٤٩٠ مليون دولار. . .

سأل الطبيب:

«كم هي نسبة ضريبة التركات هنا؟».

وجاءه الرد المعتاد.

«إن المواطنين السعوديين لا يدفعون ضريبة تركات!!».

وقال الطبيب ولعابه يسيل: -

«وكيفَ أصير أنا مواطنا؟».

وزاد استغرابه أكثر من لعابه السائل حين علم أن قرشاً واحداً من هذه الثروة لم يذهب للجمعيات الخيرية. وفسّر الشاب المثقف أحمد ذلك بقوله إن القرآن يأمر بالإحسان، خاصة في شهر رمضان، فيفرض علينا تقديم وجبات الطعام والثياب أو بعض المال للمحتاجين، وأضاف قائلاً إن والده قد أدى هذه الفريضة.. في رمضان الماضي...

فلماذا إذن تبذير جزء من الـ ٣٢ ألف مليون دولار على هذه الأمور العارضة؟! حتى الزكاة لا يجدي تحصيلها بدقة، حسب قول أحمد المرضي عنه من والده، أما الفراش الذي ينتظر الرشوة الأميريكية له بخمس ريالات، وأما عبيد والد أحمد القابعين في الأكواخ الطينية تحت أسوار قصره، يأكلون فتات موائده مقابل خدمتهم له ولعائلته، فمن الصعب تصور ردهم لو أن الطبيب الأمريكي وجه سؤاله إليهم بدلاً من أحمد... ومن يدري، ربما كانت صناديق الويسكي والفودكا التي كان الأمراء يضعونها على أبواب المساكين من الأميريكيين والأوروبيين ليلة عيد الميلاد المجيد

ورأس السنة السعيد، جزءاً من صدقاتهم.. أو زكاتهم.. والله أعلم..

ولكن لدينا من المعلومات ما يؤكد، على الأقل، أن الأمراء كانوا خيرين كرماء في تقديم الويسكي وتوابعه في الحفلات والمناسبات أكثر من كرمهم في تقديم الصدقات للفقراء. كلهم يحبون الويسكي. والشقراوات، والكل يعرف ذلك، حتى إن بوب وود وورد ذكر في كتابه الذي صدر حول التعاون الاستخباري الأميركي ـ السعودي ضد كل المناضلين من أجل حريتهم في هذا العالم، أن التقارير السرية للمخابرات المركزية الأميركية تؤكد أن الملك فهد يعاني من مشكلة إدمان على السكر تحتاج إلى معالجة طبية.

أما جو الحفلات الداعرة فقد رآه الطبيب الأميركي بعينيه، في قلب الرياض، ورأى وسمع أكابر القوم يشربون الأنخاب، ويشاهدون أفلام الدعارة، و... يتحدثون عن قضايا العروبة والإسلام ودفاع السعودية عنها..

يقول الطبيب: ـ

«التقيت بالأمير خليل أول مرة حين أتى إلى المستشفى للمعالجة، ومع مرور الأيام صرنا صديقين، ولهذا دعاني إلى بيته للاحتفال بمولد ابن له جديد... والحقيقة أن فرح الأمير بمولد

صبي له وصل إلى حد أرسل معه ساعات من الذهب الخالص إلى كل من شارك في توليد زوجته في المستشفى . . .

«كانت غرفة الاستقبال التي بدأت فيها الحفلة مملوءة بالكراسي ذات الحفر الإيطالي الساحر، وضعت عليها وسائد كبيرة ذهبية اللون، وكانت الأرض مغطاة بالسجاجيد الصينية المتألقة، أما المرايا ذات الأطر المذهبة فكانت تعكس الأضواء المتألقة من الثريات الهائلة الحجم. أشد ما في الغرفة جذباً كان جهاز التليفزيون الضخم وشاشته الكبيرة، وأجهزة عرض أفلام الفيديو على جانبيه. لقد شغل الجهاز ثلث جدار الغرفة. . .».

«بالطبع لم يكن هناك نساء. . . استقبلنا الأمير خليل مرحّباً محيّياً بحرارة وقادنا إلى البار. ظننا في بادىء الأمر أنه حلم أو خيال. فقد كان البار يذخر بكل أنواع المسكرات من أفخر الأنواع وأندرها، وكان الخدم السودانيون بجلابيبهم البيضاء وعماماتهم الكبيرة يدورون على الضيوف ليقدموا لهم ما يشتهون منها».

«مع أن المسكرات ممنوعة في السعودية، إلّا أنه يبدو أنها تجد طريقها بسهولة إلى القصور الملكية. لا أحد يعرف بالضبط من أين تأتي ولا كيف تصل، ولكن يقال إنها تصل ثلاث مرات في العام من إيطاليا، معبأة بصناديق من الزنك (التوتياء) كتب عليها: «قرطاسية وأدوات مكتبية».

«وسرعان ما امتلأت الغرفة بأصدقاء الأمير وكلهم من العائلة الملكية، وكلهم متشابهون، في أثوابهم الطويلة البيضاء والعباءات المحلاة بالذهب، والأحذية السوداء الملمعة، والحطات والعقال التي كادت تخرب التناسق البديع، الذي زاد من روعته ارتفاع قاماتهم، ولحاهم وشواربهم السوداء، وغضاضة شبابهم، فقد كانوا جميعاً بين الثلاثين والأربعين من العمر، وكانوا **جميعاً** أبناء عمومة **طبعاً**».

عرفنا مضيفنا على أصدقائه: العديدون منهم، مثل الأمير خليل، كانوا نواب وزراء في دوائر الحكومة، حتى ثقافاتهم كانت متطابقة تقريباً. فبعد حصولهم على شهادة الدراسة الثانوية في السعودية، التحقوا بالكلية في كاليفورنيا لمدة أربعة أعوام ـ أو أكثر بكثير ـ ثم عادوا للعمل في الوزارات. هذا هو الجيل الذي سيحكم السعودية في يوم من الأيام..

«أعربت عن دهشتي حين أعلمني الأمير أنه أنهى دراسته في الولايات المتحدة مؤخراً فقلت: أنت تبدو أكبر عمراً من ذلك...».

«ضحك خليل وقال: هو غطاء الرأس هذا الذي يجعلنا نبدو أكبر عمراً مما نحن عليه.. كم تظن عمري؟؟ ربما تعتقد أنني في الأربعين.. عمري ثلاثون عاماً فقط.. قالها وهو يكشف عن

شعره الأسود الفاحم..».

«استمر خليل في التنقل بين ضيوفه، مرحباً محيياً وداعياً إلى المشروبات الروحية من كل الأصناف. خلال ذلك، عرفنا على قادم جديد اسمه سام ستارك، وهو أميريكي شاب امتلأ وجهه بالنمش، يعمل في القنصيلة الأميريكية في الرياض. كان عديم الجاذبية، شكلاً ولساناً، ولم يكن يعرف كلمة عربية واحدة. وبدا وكأنه لا يعرف سوى القليل عن السعودية. وتساءلت بيني وبين نفسي كيف حصل هذا المعتوه على هذه الوظيفة.

«وبدا وكأن خليل كان يقرأ أفكاري، فاقترب مني وهمس ونصف ابتسامة هادئة تعلو وجهه: إنه من وكالة المخابرات المركزية الأميريكية..».

«ودار الشراب مرّة أخرى، ثم أعلن الأمير خليل أن لديه شريط ڤيديو يحب أن يعرضه علينا. خفتت الأضواء، بينما جلسنا في دائرة على وسائد صفَّت حول إحدى الشاشات الكبيرة.. كان فلماً عائلياً يظهر ابنه الجديد.

إلّا أن ما حدث بعد ذلك كان أبعد من كل توقعاتنا. كانت الساعة قد اقتربت من الحادية عشرة مساءً، ولم يكن الطعام الموعود قد وصل. وكانت أصواتنا قد بدأت تعلو وترتفع، قدر ارتفاع كمية الكحول في دمائنا وأدمغتنا التي زاد في تأثيرها خواء.

أمعائنا. هنا أعلن الأمير خليل أن لـديه مفاجأة لنا. على شرف الدكتور غري وبـاحتفالية متناهية الوقار قادني إلى وسادة بـديعة الألوان في مواجهة شاشة الڤيديو الكبيرة، أحضر خادمان سـودانيان ـ وهمـا يبتسـمان بخبث ـ شريط ڤيـديـو وأدخـلاه في الجهـاز، ثم شغلاه.. كانت نسخة كاملة غـير منقوصـة من فيلم «ديب ثروت» (الحلق العميق)».

«أصبت بصـدمة عنيفـة.. فأنـا لم أشاهـد فلم دعـارة في حياتي... إنني لا استطيع أن أصدق ما تشاهده عيناي.. هذا ما قلته لخليل الذي تسمّر على وسادته بجانبي.. لا أصدق.. لا أصدق..».

(نحن هنا نستمع إلى صوت طبيب من أمريكـا البلد التي تنتج أفلام الدعارة، يتحدث إلى الأمير خليل، من العائلة المالكة في السعودية التي تحرم مشاهدة هذه الأفـلام.. بقي أن نسأل: ولماذا ينتج الأمريكيون هذه الأفلام إذا كانوا لا يشاهدونها؟؟).

يواصل الدكتور غري حديثه فيقول: ـ

«علمت فيما بعد أن السعوديين من محبي السينما المتحمسين. وأن هناك أجهزة ڤيديو في السعودية يتجاوز عددها بالنسبة إلى عدد السكان ما هو موجود في أي بلد آخر في العالم. وأن هناك مكتبات ڤيديو مزدهرة تؤجـر الأفلام، وتكـاليف العضويـة في مثل هـذه

المكتبات والنوادي تصل إلى ٣٥٠ دولار شهرياً. يبلغ ثمن جهاز الڤيديو ٦٠٠٠ دولار أو أكثر. الأفلام المحرمة يرسلها الطلبة السعوديون من الولايات المتحدة إلى السعودية، وهناك يجري طبعها، لأن حقوق الطبع غير موجودة في السعودية. السوق السوداء في الرياض تفتح من غروب الشمس حتى الساعة الثالثة صباحاً.. ويستطيع السعودي أن يحصل على أفلام الدعارة بدون أية مواجهة شخصية مع البائع أو المؤجر. اذ تجري الصفقة عبر نافذة تعلو رأس المشتري، ولكنها قريبة من يده. وهكذا يضع المال في فتحة النافذة ويتناول الفلم في سرية تامة...».

ويتابع الطبيب الذي لم يشاهد فلم دعارة في حياته إلّا في السعودية، وفي بيت أمير سعودي، فيقول: -

«مع حلول منتصف الليل انتهى فلم «الحلق العميق» فتنفست الصعداء، وكان الجميع مخمورين يترنحون من نشوة ما شربوا وما رأوا. وهنا رفع نائب وزير الداخلية كأسه إلى فمه، وطلب من الحاضرين الاستماع إليه، ثم سألنا: -

«هل تعرفون الفرق بين الاشتراكية والشيوعية والفاشية والصفقاوية الجديدة، والنازية، والرأسمالية؟»،

فسألناه: ما الفرق.. هات خبرنا!!

عندما تيقن أننا كلنا آذان صاغية، أخرج من جيبه ورقة

فتحها بحذر، ثم قرأ منها: ـ

● الاشتراكية هي: إذا كان لديك بقرتان، تعطي واحدة لجارك.

● الشيوعية هي: اذا كان لديك بقرتان، تعطيهما للحكومة، وتعطيك الحكومة بعض الحليب.

● الفاشية: إذا كان لديك بقرتان، تحتفظ بهما، وتعطي الحليب للحكومة، فتبيعك الحكومة بعضاً منه.

● الصفقاوية الجديدة: اذا كان لديك بقرتان، تطلق النار على واحدة، وتحلب الأخرى، وتصب حليبها في المجارير.

● النازية: إذا كان لديك بقرتان، تطلق الحكومة النار عليك وتحتفظ هي بالبقرتين.

● الرأسمالية: إذا كان لديك بقرتان، تبيع إحداهما وتشتري ثوراً. .

وهنا سأله أحد الحاضرين بعد خفوت الضحكات: ـ

«ولكن ماذا عن السعودية. . ما الذي يجري فيها؟».

فأجاب واحد غير معاون وزير الداخلية: ـ

«في السعودية: إذا كان لديك بقرتان تعطيك الحكومة بعض

المال لشراء عدد إضافي من الأبقار، ولا تأخذ منك فائـدة، ولا تتوقع منك أن تعيد المال نفسه. عندئذ تبيع البقرات، وتشتري مزرعة، وتعطيك الحكومة مبلغاً إضافياً من المال لتطوير المزرعة، فتأخذ أنت هذا المال وتشتري مزرعة أخرى». لم يكن هـذا رد نائب وزير الداخلية، وإنما كلام أحد أبناء عم الأمير.

وتساءل الطبيب في سره طبعاً، ترى إن كان الأمر كذلك، فلماذا يصر الناس على العيش في الأكـواخ الطينيـة تحت سـور الأمير؟! لكن رأى نفسه يشرب كـأساً أخـرى قبل أن يتسـاءل قائلاً: ـ

«إني لمندهش حقاً من التناقضات في هذا البلد...».

وقاطعه الأمير خليل قائلاً: ـ

«إن دعائم هذا البلد مبنية على الإسلام... فهذا ما يبقي علينا متحدين. فالدين والعائلة هما حصن الإسلام الحصين الذي سيدافع عنـا ويدفـع عنّا: الفسـاد والانغراق في ملذات الحيـاة الدنيا».

ابتسم الطبيب، ولم يصدق أذنيه وهو يسمع كلمات الأمير، فينـظر إلى الكأس في يـده ويتذكـر شريط الڤيديـو.. وينـظر حوله..

لكن أحد نواب الوزراء من الحاضرين لاحظ نظرة الدهشة

السكرانة على وجه الدكتور غري، فاستدرك قائلاً: ـ

«الواقع أن لدينا الكثير من الفساد يعم بيتنا حالياً، وأستطيع أن أقدم لك بعض الأمثلة. . ».

قبل أن يتلفظ بكلمة أخرى قاطعه خليل قائلاً

«ستندم على كلامك. . قل: إنني أعتذر!! أعتذر!!» كان خليل يصيح محتداً وهو يلوح بإصبعه تجاه نائب الوزير، ثم تابع.

«لا تحكم على كل البلد بسبب طمع البعض وشرههم. هؤلاء يجب أن يزج بهم في السجن».

هنا تدخل نائب وزير العدل وقال: ـ

«بعضهم في السجن فعلاً، بمن فيهم بعض أفراد العائلة المالكة ـ من الشباب الطائشين طبعاً».

فتدخل الطبيب لتهدئة الأحوال، خاصة وأن مندوب وكالة المخابرات المركزية الأميريكية كان يتابع الحديث باهتمام:

«كل عائلة ولها بالوعة. . وعالمنا الغربي أيضاً لا يخلو من الفساد. . .

بالطبع لم يقل الطبيب الأميركي إنه يعتبر من حوله فاسدين أو مفسدين، ولا شرهين طائشين يستحقون دخول السجن.

وسأل أحد الأميريكيين الموجودين في الحفل الساهر: -

«إلى متى يستطيع المجتمع الاسلامي المتمسك بدينه، أقصد المذهب الوهابي، أن يصمد أمام هجوم التكنولوجيا الغربية ونمط التفكير الغربي؟ خاصة وأن عدداً كبيراً من شبابكم يدرسون في الولايات المتحدة والبلدان الأخرى؟».

فقفز نائب وزير الداخلية إلى الجواب قبل غيره: -

«مع تعليم أجيالنا وأطفالنا وتثقيفهم. هنا وفي الخارج، قد يخسر المتطرفون (الأصوليون) بعض نفوذهم. إن التغيير السريع للظروف سيسبب مشاكل وحزازات بين القديم والجديد، ولكن ربما يستغرق الأمر جيلا حتى تتمكن الثورة المادية الحالية من قهر القديم وإحداث تغيير اجتماعي».

ولكن الأمير خليل أعلن عن معارضة قوية لهذا الرأي: -

«أنا لا أوافق على ذلك... فالوهابيون متعصبون في معتقداتهم الدينية، ولن يستسلموا بدون قتال. بل إنهم أقوى الآن مما كانوا عليه في أي وقت مضى، والملك يؤيدهم. إن لمملكتنا روابط قوية بالوهابيين تعود إلى مائتي عام مضت. وهم يعارضون بشدة تهديم التقاليد الاسلامية، وتحديث البلاد، وتدمير الإرث الثقافي، لكنهم موالون للملك، وهو موال مخلص لهم. أشك في أن يطرأ أي تغيير على علاقتهما ببعضهما في المستقبل

القريب. ولا تنسوا أن عمق جذورنا هو ألف عام أو تزيد».

قرر فيليب أن الوقت قد حان ليدلي بدلوه، فقال بلهجته البريطانية العريقة: ما مدى استقرار الملكية هنا؟ هل ستطالب الطبقة الوسطى المتنامية، والطلبة الذين تلقوا علومهم في الخارج بالقيام بدور في تسيير الحكم والحكومة؟

اشتد غضب خليل من هذا السؤال - وانعطفت مطأطئة إلى الوراء ثم إلى الأمام - وصاح وعيناه تومضان غضباً: -

«أنتم في الغرب تتحدثون عن الملكية من خلفيتكم أنتم بدون محاولة فهم الطبيعة الاسلامية لحكومتنا. كل المسلمين متساوون بغض النظر عن أصلهم أو لونهم أو وضعهم الاقتصادي (ربما كان هنا يقدم مثلاً على المساواة الاسلا - سعودية بين من في داخل قصر الأمير ابراهيم ومن يعشعش في أكواخ الطين خارجه). أن عائلتنا المالكة هي دائماً في متناول أفقر البدو، في المجلس (ولم لا: فحتى الكونترا عملاء أمريكا، والذين نصبوا القنبلة للشيخ فضل الله في لبنان فقتلت ثمانين امرأة وطفلاً بريئاً، هم متساوون أيضاً مع المسلمين في الحقوق كلها، إلّا المالية طبعاً، فالكونترا وقتلة الأطفال يتقاضون علاوات أكبر، والحمد الله)... نحن على صلة يومية بعامة الشعب، ونتعاطف معه..».

يستأنف الطبيب حديثه فيقول:

«حاولت إنهاء هذا الجدل بأن أخبرت المستمعين. عن مدى تأثري حين رأيت أحد البدو يحدث الملك بسهولة. ولكن خليل أوقفني.. **فقد كان لديه الكثير من يقوله.. قال خليل: إن المشاعر الدينية العميقة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتنا السياسية والاجتماعية** بطريقة يصعب عليكم أنتم الغربيين أن تفهموها. (ربما كان مخطئاً هنا: فلابد أنهم فهموها، على الأقل من خلال حفلة السكر والدعارة التي أقامها لهم تلك الليلة!) إن عائلة آل سعود توفر للمملكة الترابط والتماسك الديني والاجتماعي والسياسي... ستبقى الحكومة الملكية ثابتة مستقرة (بشهادة مندوب المخابرات المركزية الأميريكية الذي كان حاضراً) لأنه لا فصل بين المسجد والدولة (وأكبر دليل على ذلك اجتماع الاثنين في شخص خليل ومن خلال حفلته شديدة التمسك بتعاليم الاسلام)... فالدين والدولة شيء واحد: بل إن الاسلام (السعو ـ أميريكي) هو الدولة.

وقدم الأمير المتحمس مقارنة بين السعودية وإيران ـ الشاه فقال «إن الملك في السعودية هو الرئيس الشرفي للجالية الدينية (المجتمع الديني). والعائلة المالكة تنحدر من أصول بدوية، لهذا فهي تنفق على البدو بسخاء (وماذا عن المساواة بين كل المسلمين!!؟). والملك وولي العهد لا يتباهيان بثروتهما داخل هذا البلد، ولا يبددانها (ولم يتمالك غري أن يعلق قائلاً: ولكنهما

يفعلان ذلك حين يكونان خارج البلد!!).

ويضيف خليل: ـ

«لا يوجد عرش طاووسي في الرياض.. ولا أحد هنا يتباهى ويتفاخر بصلف شاه إيران وتكبره..».

ثم أعلن الأمير خليل بكل الصدق الملكي السعودي أنه! ـ

«لا يوجد سجناء سياسيون في السعودية، ونحن لا نعدم ولا نغتال المعارضين السياسيين (رحمة الله عليك يا ناصر السعيد، وعليكم يا شهداء المنطقة الشرقية وكل ضحايا السجون الخفية!!!).. نحن في معظمنا من المسلمين السنّة (أي: الموالين لأمريكا والغرب!!).. إن بلدنا هو وطن الاسلام (صحيح: قبل أن تحكموه!!).. أما الإيرانيون، فمن الشيعة، ونحن نعتبرهم هراطقة منافقين (صحيح: كفاهم شرفاً أنك تعتبرهم منافقين يا سمو الأمير. فهذا أكبر دليل على صفاء عقيدتهم.. أو لم تسمع ما قاله الشاعر (البدوي) جداً حين قال: ـ

وإذا أتتك مذمتي من (عاهرٍ)
فهي الشهادة لي بأني كامل!!

وتابع الأمير الوسيم قائلاً: ـ

«وكما ترون، فإننا نختلف اختلافاً تاماً عن إيران، فالشاه وعائلته ضائعون بين ٣٨ مليون، أما نحن في السعودية فلا يتجاوز

عددنا ٦أو٧ مليون، أي بعدد سكان شيكاغو. . وإن أربعة آلاف أمير بينهم يستطيعون التواصل معهم عن قرب وبسهولة. . ».

وسأله الطبيب المذهول مرّة أخرى: ـ

«هل سيكون لكم يوماً ما مجتمع حر مفتوح بالمفهوم الغربي؟؟ فأنتم اليوم ليس لديكم انتخابات ولا أحزاب سياسية ولا دستور ولا جهاز تشريعي. . ».

وافق الأمير على هذا الكلام، ولكن معاون وزير الداخلية، علق قائلاً «ومع ذلك فحكومتنا ثابتة مستقرة، وهي كذلك منذ خمسين عاماً. فشعبنا كان أمياً وليس قادراً على استيعاب المسؤولية التشريعية (إذن وماذا عن الاسلام يا سعادة نائب الوزير!!) وكوننا لا نملك مجلساً نيابياً لا يعني بالضرورة أن نظامنا فوضوي (كلا: بل تُسيِّر المخابرات المركزية كل الأمور بانتظام، خاصة وزارة الداخلية التي كان محدثنا نائباً لوزيرها!). ولدينا مشروع رعاية اجتماعية للمسنين، لا يعترف بهم كمؤسسة لكن يقدم لهم المعونات ويخفض من قيمة فواتير الماء والكهرباء والطعام التي يدفعونها».

واقتحم الطبيب الحديث مرّة ثانية بنكتة كان قد سمعها من قبل فقال: ـ

«بمناسبة الحديث عن الديموقراطية، تذكرت قصة سمعتها

عن الملك فيصل: فقد سأله أحدهم: متى سيعطى الرجال حق التصويت والانتخاب في السعودية؟ فأجاب: حين يعطى للنساء!! ..

ألسيت هذه المقولة أسلوباً آخر لقول كلمة: لن يقع ذلك أبداً..؟

كان المجيب على السؤال هذه المرة، ليس الأمير خليل، ولكن نائب وزير التربية والتعليم.. قال:

«الزمن وحده كفيل بالإجابة على سؤالك!» فأنهى الحوار، وعاد الجميع إلى الأنخاب.. كانت الساعة قد قاربت الواحدة بعد منتصف الليل، وكان بعض الضيوف قد انسلَّ هارباً، إلّا الطبيب السائل، وممثل وكالة المخابرات، وبعض الأصدقاء المقربين. سأل فيليب وهو ينظف حلقه: ـ

لماذا لا يسمح بإقامة شعائر دينية في هذا البلد سوى الشّعائر الاسلامية؟

لم يكن السائل يدري أنه حتى الشعائر الاسلامية التي لا تروق للعائلة المالكة ممنوعة محرمة، وتنهد الأمير خليل تنهدة استياء عميقة، فأسرع معاون وزير العدل إلى الإجابة الغاضبة:

«لأننا بلد مسلم، والاسلام هو الدين الرسمي الوحيد المعترف به. عليك أن تفهم أن أي دين آخر غير الاسلام هو دين

«غير دستوري» حسب المفهوم الغربي، لأن القرآن هو دستورنا الوحيد (والدليل على ذلك ما كان نائب الوزير يفعله وهو يتحدث، فقد أفرغ كأسه في حلقه دفعة واحدة!).

همس ممثل وكالة المخابرات المركزية في أذن الطبيب قائلاً «إن القنصيلة الأميريكية في جدة تقيم احتفالاً دينياً بروتستنتياً - كاثوليكياً مشتركاً كل يوم أحد، فهمس له هو **الآخر** قائلاً: إن شركة آرامكو تقيم قداساً حاشداً كل يوم جمعة!! وأن السعوديين على علم بذلك، ولكنهم لا يتدخلون! (الطبيب غلطان: هم يتدخلون، لا لعرقلة الطقوس المسيحية، ولكن لتحريم إقامة الشعائر الاسلامية نفسها إذا كانت من النوع الذي لا يرضي آل سعود!).

وقرر الطبيب أن يسأل سؤالاً بالغ الحساسية، ويده على قلبه من الخوف: -

«وماذا عن المسألة اليهودية؟»، وأضاف أنه يعلم أن السعودية لا تعترف حتى بوجود إسرائيل، ولكنه تبين مدى خطئه الفاضح حين سمع الجواب الهادىء المطمئن من معاون وزير الإعلام الذي قال: -

«إننا معادون للصهيونية، وليس لليهودية. نحن العرب نعترف بكل الأديان التوحيدية، وليس هناك ما هو ضد اليهود

واليهودية في القرآن (وهكذا صار نائب الوزير فقيها!!) حتى ان الملك خالد نفسه اعترف أخيراً بحق إسرائيل في الوجود (هذا صحيح!!) وهناك عدد من رجال الأعمال اليهود يعملون في السعودية (أي: مع العائلة المالكة طبعاً) ويقدمون الاستشارات لنا (والمتحدث هو معاون وزير الإعلام وأحد الأمراء السعوديين!!).

ويواصل حديثه قائلاً: ـ

«كان الملك فيصل معادياً لدوداً للشيوعية. وهو لم يعارض الصهيونية إلّا لأنه كان يخشى من مؤامرة شيوعية ـ صهيونية مشتركة (هذا الكلام فيه جور على فيصل: الذي وضع روسيا وأمريكا وبريطانيا في نفس الكفة كأعداء للأمة العربية يعاونون الصهيونية!) فخوفنا الرئيسي هو من الشيوعية، لا من الصهيونية!! إن السعودية لا تعارض اليهود كيهود، لكننا نعارض إسرائيل بسبب المسألة الفلسطينية، ولأننا... عضو في الجامعة العربية، ونتمسك بالوحدة العربية (والدليل على ذلك المؤامرات الملكية السعودية ضد اليمن وليبيا والجزائر ولبنان، كما سيعترف الأمراء بعد قليل)..

وأدلى نائب وزير الخارجية بدلوه فقال:

«ان روسيا السوفيتية، وليس إسرائيل هي عدوتنا الرئيسية (لماذا؟ وماذا عن أمريكا؟) ولقد قدمنا آلاف الملايين من

الـدولارات للبلدان التي تنـاهض الشيـوعيـة (ولكن ليس للتي تعارض، اسرائيل طبعاً). والحقيقة أن الثمن الذي طلبه الملك فيصل من مصر مقابل دعمها في حرب اكتـوبر ضد إسرائيل هو أن يطرد السادات السوفييت وينهي علاقته بهم».

-قدمنا لمصر ١١ ألف مليون دولار منذ عام ١٩٧٣ (أي: ثلث ما خلفه الأمير ابراهيم لزوجاته وأولاده!!)، وكنا العـامل الرئيسي في طرد الخبراء العسكريين السوفييت من مصر. ونحن الآن نقـدم لمصر ألفي مليـون دولار سنـويـاً، ولا نعـرف مـاذا سيحدث بهذه الأموال (ربما تـذهب لآل الريـان الذين تعلمـوا حرفتهم في السعودية وطوروها في مصر).. هؤلاء المصريون... عجيب أمـرهم.. كلما زاد عطاؤنـا لهم زادت مطالبهم... إن شعب مصر يزداد عدداً وفقراً يوماً عن يوم..

-ثم إننا ندعم اليمن الشمالي بالأموال (لمقاتلة اليمن الجنوبي طبعاً) ونقدم له آلاف الملايين لكي نحافظ عـلى استقلالـه عن حكومة اليمن الجنوبي الماركسية. ونحن لا نريد للقوى الاسلامية أن تكسب المعركة في لبنان، لذلك دعمنا اليمين المسيحي، وحق اللبنانيين المسيحيين في تحطيم العناصر الاسلامية المتطرفة هناك (لا يذكر هنـا أن السعوديـة حطمت المقـاومة الفلسـطينية في لبنـان بالإضافة إلى القوى الاسلامية، وأن التعاون في هذا المجال بين أمريكا والسعودية كان على أشده. ربما اعتبر أن ضيوفه يعرفون

ذلك تماماً)...

-كان واضحاً تماماً أن السعوديين غاضبون جداً من علاقات ليبيا والعراق بالاتحاد السوفياتي. وهم يشكون بالفلسطينيين ولا يثقون بهم (ويخرجونهم من لبنان) بسبب ميولهم المتطرفة (ضد أمريكا وإسرائيل).. لكنهم يقدمون لهم الدعم المالي لإبعادهم عن الشيوعيين (وليس لتحرير فلسطين أو إزعاج حليفتها أمريكا!!). قال الأمراء الحاضرون إن السياسة الخارجية للسعودية هي معاداة الشيوعية ومحاربتها أينما كان في الشرق الأوسط (بل وفي إيطاليا ونيكاراغوا، حسب تقارير المخابرات المركزية الأميريكية التي نشرها وود وورد في كتابه المذكور سابقاً).. وما ذلك إلّا لمنع قيام الحركات الثورية في المنطقة، ومهما كلف الأمر.

فسأل الطبيب:

-هل هناك احتمال، أن تكون السعودية البادئة، كما فعلت مصر، في حوار مع إسرائيل في المستقبل، وذلك للمساعدة على حفظ الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط ولتدعيم عملية مناهضة الشيوعية؟

فأجاب نائب وزير الخارجيّة:

«عندما تحل القضية الفلسطينية، وتحصل النساء على حق

التصويت والانتخاب في السعودية!!».

قالها معاون الوزير وأفرغ كأساً أخرى من الويسكي في حلقه..

وجاء الطعام، فقطع حبل الكلام، وأحل السلام وامتدت الأيدي إلى أطباق الأرز المغطى بلحم الحملان، والممزوج بالجوز واللوز والزبيب، والمطوق بالفراريج المشوية والبيض والطماطم والخيار والبصل. وتبعته أطباق الكباب والكبسة والفراخ الممزوجة بالتوم والبصل والجزر والطماطم وقطع البرتقال... وجاء بعدها الخوخ والمشمس والبطيخ، ثم أطباق التمر المحشو بالجوز واللوز وبعدها العنب والتين والرمان.. من أجود ما تجود بها بساتين الطائف ولبنان.. وعندما وقعت عين خاروف بيد الطبيب، «زلطها» دفعة واحدة وشرب وراءها كأساً من الخمر

وانتهى الحديث والطعام والشراب، ليدخل الجميع، وينتقل محدثنا الفضولي إلى حكاية أخرى...

قال محدثنا: ـ

ـسأحدثكم عن مدى ما تشعر النساء به من الضجر في هذه البلاد. بعيد وصولي إلى الرياض بوقت قصير، اتصل بي عامل مقسم الهاتف في الساعة الخامسة من بعد ظهر أحد الأيام وقال إن الأميرة فاطمة اتصلت به هاتفياً وسألت إن كان بإمكاني أن أحضر

إلى فندق الانتركونتننتال لمعالجتها من صداع حاد. كان فندقها على طريق فندقي، فحملت حقيبتي الطبية، واستقليت باص المستشفى إلى فندق الانتركونتننتال، فلم أكن أعرف في ذلك الحين أن الزيارات الطبية الخارجية ممنوعة بموجب لوائح المستشفى.

-حين وصلت إلى الفندق وجدت امرأتين شابتين جميلتين، كلاهما في الثلاثين من العمر، ترتديان ثياباً ملونة جميلة. كانت المرأة المصابة «بالصداع الحاد» جالسة على ديوان استرخاء تقرأ إحدى المجلات. أما المرأة الثانية فكانت أختها. كانت كلاهما تعيشان في المنطقة الشرقية، وزوجتين لأميرين كبيرين من أمراء العائلة المالكة، عرفت اسميهما على الفور. قالتا لي إنهما في زيارة لعائلتهما في الرياض، ولم تكونا ترتديان الخمار..

-قست ضغط الأميرة فاطمة، السيدة الشابة المتكئة على الديوان، وفحصت عينيها وردودها الانعكاسية. كان كل شيء طبيعياً تماماً. عندها اقتربت أختها مني وقالت إنها هي الأخرى تعاني من صداع. فهل أسمح بقياس ضغطها؟ ومرّة أخرى، وجدت كل شيء طبيعياً، فأطلقت تنهدة مسرحية. بعد عدة دقائق سمعت نقراً على الباب، ودخلت إحدى بنات عمها. كانت مغطاة الوجه وترتدي العباءة الطويلة السوداء، وتحتها فستان جميل. كانت أكبر سناً وأكثر سمنة من السيدتين الأخرتين. وكان زوجها، وهو أمير أيضاً، أحد مرضاي. رفعت الخمار عن وجهها

وانضمت إلى المجموعة. وبينما كنت أعيد أدوات الفحص إلى حقيبتي قالت أنها هي الأخرى تعاني من الصداع أحياناً وسألت إن كان بإمكاني أن أقيس ضغطها. ولمعت خواتمها في الضوء الخافت حين كشفت عن ذراعها.

خطر لي فجأة أن هذا الصداع لم يكن إلّا حجة، فقد كانت هؤلاء النسوة الشابات ضجرات وكن يردن أن يتحدثن إلى شخص جديد، كأن يكون طبيباً أميريكياً مثلاً، لا يفسر الحديث معه على أنه خرق للتقاليد الإسلامية. بعد أن أكدت لهن أنهن بألف خير وأنه لا داعي للقلق مطلقاً، دعونني إلى تناول الشاي. ونادين على خدمهنّ حتى قبل أن أعلن موافقتي على الدعوة.

أثناء تناول الشاي، سألنني مرّة أخرى عن سبب صداعهنّ. نظرت حولي، إلى فخامة جناحهن، وإلى الثياب الجميلة الملقاة على أسرتهنّ، والمجوهرات على الطاولات، ومجلات آخر الأزياء على الأرض، ثم قلت:

«إنه الملل والضجر.. فليس لديكن ما تفعلنه».

«وماذا نستطيع أن نفعل؟ ماذا نعمل؟».

«إننا بحاجة إلى مترجمات في المستشفى.. لماذا لا تعملن كمتطوعات؟».

«متى تبدأ العمل في المستشفى؟».

«في الساعة الثامنة صباحاً!».

ـ لكننا لا ننهض من الفراش قبل الظهر.

كنت أعرف جيداً أنه لن يسمح لهن بالعمل في المستشفى... فمكان المرأة في البيت.. وواجب المرأة هو أن تريح زوجها وعائلتها.. وليس أن ترضي نفسها...

وماذا بعد الملل والضجر في حياة الأميرات زوجات الأمراء؟

هذا ما تكشف عنه حكاية الطبيب الأخيرة... ولكنه يحكي لنا، قبلها، حكاية الأمراء الذي يملون... من زوجاتهم..

يقول الدكتور غري: ـ

«حين لبيت دعوة زميلي الدكتور كمبتون وذهبت إلى مكتبه عرفني على امرأة شابة، ممشوقة القد، شقراء اللون، زرقاء العينين، حمراء الشعر. كان اسمها مادلين يامين. كانت في الثالثة والعشرين من العمر، وقد اكملت دراستها في كلية الطب في بلجيكا. لكنها لن تمنح الدكتوراه في الطب إلّا بعد قضاء عام واحد في التمرين تحت إشراف طبيب اختصاصي. قال الدكتور كمبتون إن والدها رجل أعمال، وأن مادلين أمضت معظم اعوامها في المغرب والشرق الأوسط.. وقالت هي أنها تتكلم العربية والفرنسية وبعض الانكليزية. وحين حذرتها سكرتيرة الدكتور

كمبتون بأن من الخطر عليها أن تخرج إلى الشارع بثوب قصير وذراعين مكشوفتين، أجابت ببساطة: وماذا أعمل؟ الطقس حار جداً هنا!!».

وهكذا وضعت مادلين تحت إشراف الدكتور غري، وأوكل إليها معالجة بعض النسوة في المستشفى، وبدأت تعمل معه في عيادته.

- وانتشرت الحكايات في المستشفى بسرعة، تقول إنني على علاقة بسيدة شابه، وأنها أوروبية أيضاً. والحقيقة أن علاقتنا كانت علاقة صداقة وعمل، بل وعلاقة أب بابنته. فسخرنا من الأقاويل ولم نعرها أي انتباه.

- لكن السعوديين كانوا ينظرون إلى مادلين من زاوية مختلفة أكثر تحدياً. إن امرأة لها شعر أحمر وعينان زرقاوان هي قطع نادر في هذه البلاد، وستكون حتماً محط مزاحمات حامية الوطيس. كان أول طالبي التقرب منها مدير فندق اليمامة المهترىء، حيث كنت أقيم. كنت قد شكوت إلى ذلك المدير عدة مرات من حقارة غرفتي التي كان حرها لا يطاق لأن جهاز التكييف كان معطلاً. في بادىء الأمر قال إنهم أوقفوه لأنه (جهاز التكييف) لم يكن ضرورياً في ذلك الجناح من الفندق الذي كنت فيه. وفي المرّة الثانية قال إنه قيد التصليح، وفي المرّة الثالثة قال إنه لا أمل في إصلاحه، وأنه لا

توجد أية غرفة أخرى متوفرة. وفي إحدى الأمسيات استدعاني إلى مكتبه وطلب مني الجلوس وقدم لي بسيجارة فرفضتها شاكراً وقلت انني لا أدخن السجائر.

ـ اقترب مني وقال هامساً: ربما سيكون بإمكاني أن أؤمن لك غرفة مكيفة الهواء.. تلك الغرف قليلة نادرة، ولكني سأحاول...

ـ كان قد درس في المعهد الفندقي في كورنيل، وكانت لغته الانكليزية ممتازة.. وقال وما يزال يهمس: أن الأمر يعتمد عليك..

ـ وماذا تعني؟

أطفأ المدير لفافته ونهض واقفاً:

ـ تلك الطبيبة الشابة التي تعمل معك في المستشفى... أود الاجتماع بها.. هل تستطيع ترتيب ذلك؟

ـ قلت له: ان حياتها الاجتماعية من شأنها.. ثم إنك متزوج. وأنا أعرف أطفالك.

ـ وما الفرق؟ فصديقتك ليست مسلمة، وليس هناك من مشكلة إذن! الغرفة التي اخترتها لك بديعة.. والأمر متروك لك..

ـشكرته وقلت إنه ما باليد حيلة، فظهر الاستياء على وجهه، ثم قال: ربما غيرت رأيك بعد فترة من الزمن..

ويضيف الطبيب قائلاً:

«ولكني لم أغير رأيي، ولم أحصل على الغرفة المكندشة!!».

ويتابع قائلاً: ـ

«بعد ذلك جاء دور رئيس النادلين في فندق الانتركونتننتال... ذهبت مساء أحد الأيام إلى هناك مع صديقي رون لامبري. فلم تكن زوجتانا قد وصلتا بعد، وكنا قد قررنا أن نمتع النفس بوجبة شهية في مطعم أنيق، هو أفضل ما في الرياض..

اقترب مني رئيس النادلين وقال: اسمح لي بأن أختار وجبتك... وكانت وجبة رائعة حوت كل ما لذّ وطاب، حتى الفريز كان من فرنسا، وقدم لنا «شمبانيا» خالية من الكحول، مع كل طقوس الشمبانيا الكحولية...

ـهمس رون: انتظر حتى ترى الفاتورة!! فلا يستطيع تناول الطعام هنا سوى الأمراء ومن معهم أموال الأمراء..

«ناديت على الرئيس وهنأته على الوجبة، ثم طلبت الفاتورة».

ـالوجبة مجانية، مع تمنياتي لكم . .

ـ صعقني الخبر، وزاد من سعادتي حقاً فقال الرئيس: أنا سعيد لأنها أعجبتك . . . آمل أن تحضر معك الطبيبة حمراء الشعر لتتناول وجبة عشاء هنا، ضيفة عليّ، فإنني أتوق للاجتماع بها . . .

ـ أطلقت كلمات متلعثمة غير واعدة، ثم شكرته . وحين كنا نغادر المطعم . لاحظت أنه لم يكن يوجد فيه سوى امرأة واحدة في قاعة الطعام الكبيرة المملوءة بالضيوف . كانت تتناول وجبة مع أميريكي، افترضت أنه زوجها . تذكرت أن الرجال في العربية السعودية لا يرافقون زوجاتهم في المحلات العامة أبداً . لكن هذا لا ينطبق على النساء الأجنبيات غير المسلمات اللواتي يعاملهن الرجال السعوديون بالأسلوب الذي يروق لهم .

ـ حدثت مادلين عن كل الإثارة والصخب الذي اثارته بين السعوديين، فقالت: كل هذا لأن شعري أحمر، ولأنني أجنبية . الطلب علينا كثير والتنافس أشد . فقلت لها: لغرض واحد فقط .

ـ استمرت بالعمل معي في العيادة، وكانت طالبة ممتازة مجدّة تتقدم بسرعة كبيرة . . .

ـ وفي صباح أحد الأيام، بعد بضعة أشهر، طلبت مادلين مني أن أعاين مريضاً كنت قد عالجته من قبل . كان المريض هو الأمير خليل (صاحب الخطبة الرنانة عن التقاليد والاسلام والقيم

الاسلامية العريقة. . وأيضاً صاحب دعوة السكر والدعارة). . .
كان قد سمع هو أيضاً بمادلين حين كان يزور زوجته في المستشفى. وكان أكثر إبداعاً من السعوديين الآخرين في تدبير الأمور، فطلب موعداً في العيادة لإجراء «فحص عام»، وكان يعرف أن مادلين ستراه قبلي لتأخذ منه المعلومات الطبية الضرورية.

«عندما أصبحنا لوحدنا قال الأمير: كل شيء على ما يرام في عالم الحب والغرام. . أنا أعلم أنك لن ترضى بتأمين لقاء بيني وبينها، فقررت حل الأمور بنفسي. . إنها امرأة تأسرالألباب. . ».

قال الطبيب له:

«إن أي شخص يملك شريط «الحلق العميق» في مكتبته في البيت قادر على فعل أي شيء».

«كانت تلك حفلة عظيمة» قالها خليل ضاحكاً ورحل. . .

«بعد حوالي شهر من ذلك اللقاء، انتقلت مادلين من شقتها المتواضعة في سكن العازبات في المستشفى، إلى شقة فخمة في ضواحي الرياض، اشتراها الأمير الثري جداً (المؤمن بمساواة جميع المسلمين في السعودية) خصيصاً لها. وكانت سيارة ليموزين يقودها سائق خاص تأتي بها إلى المستشفى كل صباح، وتبقى بانتظارها، تحت تصرفها، حتى انتهاء وقت الدوام. صار الجميع

يعرفون حكاية علاقتها بالأمير. وكان البعض يشعر بغضب شديد مكظوم. وبالتدريج ابتعدت مادلين عن حياة المستشفى الاجتماعية.

«حين عادت من إجازتها التي استمرت أسبوعاً، والتي قضتها بصحبة الأمير خليل في. . . إيران (الشاه) رأيت من المناسب أن أحدثها عن تصرفاتها بصراحة. فقد وضعها كمبتون تحت إشرافي، وكنت بهذا مسؤولاً عنها. وكانت زوجتي قد التقت بمادلين وأحبتها، لكن زوجتي لم تكن ترى أن مسؤوليتي عنها تمتد إلى حد التدخل في حياتها الجنسية. لكني كنت مصمماً على مفاتحتها بما أشعر، وجاءت الفرصة المناسبة حين قدمت لي هدية من إيران، كانت عبارة عن علبة قلم رصاص زُيِّنت ورسمت باليد». قلت لها:

«أنت تعلمين أن للأمير خليل زوجتين، وليس له أية نية في الزواج منك. . . وإلى جانب ذلك، فالزواج بغير مسلمة ممنوع قانوناً. .».

أجابت مادلين. .

«ربما سأصبح مسلمة، فأصير بذلك زوجته الثالثة». . قالتها وهي تحاول إغاظة الطبيب الذي رد بقوله:

«إن علاقتكما كلها مبنية على الجنس، وأنت تعلمين ذلك».

فقالت: -

«هم ممتعون في الفراش... وهذا ليس عشيقي السعودي الأول..».

«هل تفعلين ذلك من أجل الجنس أم من أجل الذهب والحلي؟».

«من أجلهما معاً... وأنت لا تفهم النساء الأوروبيات».

وقال الطبيب في محاولة أخيرة يائسة: -

«ماذا يكون رد فعلك لو كان لك ابنة تتصرف كما تتصرفين؟».

«ما كنت أتدخل في حياتها!!».

-ولن أتدخل في حياتك أيضاً... إن فارق الجيل كبير جداً عليّ.

ويتابع الطبيب المهزوم قائلاً:

-إن العلاقات بين الأمراء السعوديين والنساء الأجنبيات أمر يعرفه الجميع. حتى إن مطلقة أميريكية تعمل في القسم الفني في المستشفى أقامت معرضاً في شقتها للهدايا التي تلقتها من عشيقها - أو عشاقها - السعوديين. وكان بينها سجاجيد عجمية، وأساور ذهبية، ومجوهرات أنيقة غالية الثمن. وهناك ممرضة كندية

كانت تعيش «على المكشوف» مع مستخدمها (رب عملها) السعودي. وحين عادت إلى بلادها أقام السعودي علاقة مع زميلتها التي كانت تعيش معها. ويبدو أن رب العمل هذا كان معجباً بمهنة التمريض، فلا يترك ممرضة حتى يغوص بأخرى..

-أما الأمير بدر، ابن عم الأمير خليل، فقد بدأ يتقرب من ممرّضة أميريكية. كان مخطوباً في ذلك الحين لأميرة سعودية كان يغازلها.. على الهاتف طبعاً... وفي هذه الأثناء كان يغازل الممرضة الأميريكية وجهاً لوجه. ويشتري لها الهدايا ويتقرب منها ويطلب ودها. كان فاحش الثراء، فاستجابت الممرضة لإلحاحه. وحين أخبرتها أن الأمير لن يتزوجها، لأنه مخطوب إلى أميرة، بكت الممرضة وقالت: لم يحدث بيننا شيء، ولن يحدث شيء..

-وتزوج الأمير بدر بأميرته بعد ثلاثة أشهر، وكان احتفالاً طناناً كالعادة، ولكني لم أدع إلى حضوره..

هذا عن ضجر الأمراء ومللهم من زوجاتهم.. فماذا عن ملل الأميرات..

ملل الأميرات :

يحدثنا عن ذلك الدكتور غري في قصته الأخيرة فيقول في

فصله الأخير الذي جعل عنوانه :

الحياة وراء أسوار القصور

ـ**بعد** فترة من الزمن حضر إلى مكتبي الشاب دلال (دلال ابن الدكتور غندور الطبيب الخاص للأمير ابراهيم، وبعد أن توفي الأمير رحل الدكتور غندور إلى فرنسا وهناك مات متأثراً بمرض السرطان). وكان معه شاب آخر.

ـ**قال دلال**: حين كنا في باريس كان والدي يتحدث عنك كثيراً، وكان يعرف أنك ستكتب في يوم من الأيام كتاباً عن بلادنا، وطلب مني أن أقدم لك كل مساعدة ممكنة. لقد كان يحبك فعلاً. وهآنذا مع صديقي جميل، أتينا لنخبرك بكل شيء . . .

ـ ثم عرفني على جميل. كان شاباً طويلاً وسيماً متناسق الجسم، في الرابعة والعشرين من عمره، بني العينين، أبيض الأسنان. . وله شارب أسود أنيق.

ـ**تابع دلال** حديثه قائلاً: لقد ربينا أنا وجميل معاً وعشنا معظم أعوامنا في منزلين متجاورين على أرض تابعة للقصر (قصر الأمير ابراهيم)، وقريباً جداً من القصر نفسه. .

كان والد جميل مسؤولاً عن موظفي الأمير في عقاراته وأملاكه

الواسعة في منطقتي حرد ونجد.

«سألت دلال عن والده، فقال إنه غادر المستشفى بعد عدة أسابيع ثم انضم إلى عائلته في مرسيليا حيث مات.. وقال دلال إن الأمير ابراهيم خلّف تركته كلها لزوجاته وأولاده، وأنها ـ التركة ـ قدرت قيمتها بـ ٣٢ ألف مليون دولار. لم تترك أية وصية لأي إنسان آخر.. لكن الملك تكفل بنفقات علاج والده، وخصص لوالدته راتباً طوال حياتها، كما خصص لدلال وشقيقه راتباً يتقاضيانه حتى سن السادسة والعشرين.

سأل الطبيب دلال: ومن حدث الملك عن والدك؟

أجاب دلال: صديق اسمه الدكتور رشاد فرعون ـ رفع للملك استرحاماً باسم والدي.. كان الدكتور فرعون مستشار الملك فيصل ثم مستشار الملك خالد، وكان صديقاً لوالدي... العائلة المالكة كبيرة جداً، والعديدون من أفرادها، مثل الأمير سلطان والملك خالد، كرماء بالغو الكرم.. والآن.. أدر آلة التسجيل يا دكتور!!».

قالها دلال وقرب كرسياً جلس عليه قريباً من الطبيب ومن آلة التسجيل، ثم تابع قائلاً:

«وسنتحدث كما كنا نتحدث حين كنا نتناول الشاي في غرفة

والدي في المستشفى».

ـ شغلت آلة التسجيل وقدمت لجميل كرسياً يجلس عليه. .

ـ توقف دلال قليلاً، كما لو كان يستعد لإلقاء خطبة معدة مسبقاً. . وبعد لحظات من التردد انطلق في حديثه، قال: بعضنا يعتقد أن إعتاق العبيد والجواري الذي جرى قبل خمسة عشر عاماً كان انطلاقة لثورة جنسيّة في هذا البلد. . . لكن في ذلك الوقت، (قبل العتق) لم تكن توجد باغيات أو عاهرات. . أما الآن فلدينا الكثيرات منهن. . الوضع بين النساء والرجال سيء، جداً، والكل يشكو، ولكن النساء يشكين أيضاً ويتذمرن أكثر من الرجال. . . سقى الله أيام الجواري والإماء. . فقد كانت الحياة عندها أكثر قرباً من تعاليم الاسلام.

تدخل الطبيب هنا قائلاً:

ـ ولكن الرق ألغي قبل عقد من الزمان، ولا أستطيع أن أصدق أنك تحبذ الرق في هذا العصر. .

فرد دلال معلقاً: ـ

ـ كان نوعاً مختلفاً من الرق. . . فقد كنا نعاشر جوارينا معاشرة جنسية، ولم يكن يتقاضين مالاً مقابل تقديم أنفسهن. لم يكن عاهرات. كان باستطاعتهن الانجاب وكان الرجال

يتزوجونهن أحياناً ويعتقوهنّ وكانت الزوجات يفضلن هذا النظام لأنهن كنّ قادرات على التحكم في الوضع. أما الآن فالبلاد تعج بالعاهرات والبغايا، والرجال يطاردوهن باستمرار، والزوجات غير راضيات عن هذا الوضع: ـ

يقول الدكتور غري:

ـ وجدت تكرار دلال لكلمة «باغيات» و«عاهرات» مؤذية نوعاً ما، خاصة ما أطلق عليه اسم «العاهرات المجانيات» فسألته: وما العاهرات المجانيات؟؟

«فقال دلال: هن نساء ساقطات أو يسهل الوصول إليهن. ونستطيع أن نعاشرهن جنسياً دون مقابل. نحن نسميهن: عاهرات مجانيات. أما «العاهرات الحقيقيات» فهن اللواتي يتقاضين الأموال والهدايا الثمينة. نحن لدينا النوعين في هذه البلاد. . . إن الخطر الحقيقي يكمن في أن الرجال يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون جنسياً، ولذلك فبعض الزوجات يشعرن بأن لهن الحق في أن يفعلن ما يشأن أيضاً، والسبب الجوهري لهذا هو الطريقة التي يعيش بها الزوجات والأزواج في هذا البلد».

«هنا توقف دلال، كان متوتر الأعصاب مهتاجاً، وبدا وكأنه على وشك الإفصاح عن سر رهيب، سر يؤلمه كثيراً. . بعد قليل تابع دلال الحديث قائلًا: ـ أجد واجباً عليّ أن أخبرك بأن

العديدات من النساء يطاردن جميل ويطاردنني أيضاً: بعضهنّ أميرات».

«هنا تدخل جميل قائلاً: كلانا يعاني من هذه المشكلة. اللواتي يطاردننا هن من «البغايا المجانيات» أو النساء الساقطات اللواتي يجرين وراءنا لا لشيء إلّا للمتعة والتسلية. وهن يفعلن ذلك لا من أجل المال ولا من أجل الحب، بل من أجل الجنس فقط. بعضهن ثريات فاحشات الثراء».

هلع قلب الطبيب وسارع الى آلة التسجيل قائلاً:

«سأوقف آلة التسجيل.. أنتما تخوضان موضوعاً بالغ الخطورة، ويمكن أن يقطع رأساكما عقاباً على هذا..».

سارع دلال إلى تهدئة اضطراب الطبيب الهلع:

«لا.. لا توقف الآلة.. فنحن لن نذكر أسماءً».

فسأل الطبيب: -

«وهل هن فتيات شابات؟».

أجاب جميل: لا: هن إما متزوجات أو مطلقات، وبعضهن أمهات أطفال يكبرننا سناً. كل ما في الأمر أنهن غير سعيدات مع أزواجهن، ويردن أن يفعلن ما يفعله أزواجهن. ليس منهن من هي عذراء..

«وكيف يتصلن بكم؟».

«عن طريق الهاتف، أو بواسطة رسول أو سائق يثقن به، أو بواسطة شخص لا يعرف القراءة ولا الكتابة».

ويعلق الطبيب هنا قائلاً: ـ

«أخبرني دلال وجميل أن معظم هؤلاء النساء هن من «النساء العصريات السعوديات» اللواتي تلقين علومهن في الغرب، ويجدن صعوبة بالغة في السكوت على خيانة أزواجهنّ. وبما أن الطلاق صعب، فهنّ يعوضن عن هذا بالسعي للمعاشرة الجنسية مع الشباب».

ثم سأل الطبيب: ـ

«ولكن المرأة إذا ارتكبت جريمة الزنا فإنها تقتل بسبب العار الذي تلحقه بعائلتها. ألا تعرض هؤلاء النسوة أنفسهن لخطر كبير بهذا؟».

رد جميل قائلاً: ـ

«لا. . إذا كن ذكيات. . فلا بد من وجود أربعة شهود على وقوع المعاشرة الجنسية حتى يمكن اتهام المرأة بالزنا، وهذا شيء صعب جداً».

وأضاف جميل قائلاً إن بعض النساء الشابات، وقد هدهن

توبيخ الضمير، يعترفن طواعية بارتكاب الزنا، فيفقدن حياتهن، ولكن هذا أمر نادر الوقوع.. ويضيف جميل: -

«قبل فترة وجيزة ألقوا القبض على عاشق داخل القصر مع إحدى زوجات الأمير ابراهيم. انهالوا عليه بالضرب ولكن لم يقتلوه لأنه من قبيلة بالغة الأهمية والنفوذ. وقد أنذرت عائلته الأمير بأن «النفس بالنفس»، فلم يجرأ الأمير العجوز على قتل عاشق زوجته، خشية أن يلقى أحد أبنائه نفس المصير... وقد أنكر الرجل والمرأة معاً ارتكاب جرم الزنا. فلم تعاقب الزوجة لأنه لم يكن هناك شهود، فلابد من وجود أربعة شهود يكونون حاضرين أثناء العملية الجنسية، وليس بعدها.. والشهادة الظنية غير مقبولة.. وإذا عجز الشهود عن الإثبات يتعرضون هم للجلد ثمانين جلدة..».

وعاد دلال يكرر حكاية الرق. قال إن والده كان يعتقد بأن إلغاء الرق ونظام الإماء والجواري قد سبب اضطراباً أخلاقياً وجنسياً بالغ السوء في السعودية.. وتابع قائلاً: -

«حين كان الرق مباحاً، كان للأمير ابراهيم ما يزيد على الثلاثين جارية وخليلة، بالإضافة إلى زوجاته الأربع.. وكان الأمير ابراهيم يفضل النساء الأجنبيات. كانت أصغر زوجاته إيرانية، حيث اشتراها الأمير بمائتي قطعة ذهبية وتزوجها بعد ذلك

حين أنجبت منه أبناءً ذكوراً. وأضاف دلال: كانت زوجته المفضلة، وحين مات كانت إثنتان من زوجاته اللواتي بقين بعده من الخليلات أو الجواري السابقات أيضاً. وقد ورثت كل واحدة منهن ألف مليون دولار..».

وقال جميل: حين كان الأمير ابراهيم شاباً، كانت عائلته تشتري الإماء صغيرات وتربيهن له حتى يصبحن شابات يانعات ثم ترسلهن للأمير كجاريات يستمتع بهن. وكان سن الاستمتاع هذا بين الرابعة عشرة والخامسة عشر من عمر الفتاة.

وسأل الطبيب: ـ

«وماذا كان يفعلن في القصر.. بالإضافة إلى المهمة الرئيسية طبعاً؟».

أجاب جميل: ـ

«كن يخدمن الأمير، يقدمن له طعام الإفطار، ويكوين له ثيابه.. والحقيقة أنهن لم يكن لهن عمل أهم من تقديم المتعة الجنسية للأمير في فراشه...».

وتساءل الطبيب مندهشاً، وبشيء من الحدة التي تجاهلها ضيفاه:

«لا شك أن سرقة فتاة صغيرة من أهلها وبيعها جارية ليس

أمراً هيناً ولا عادلاً».

لم يلق الطبيب جواباً على ذلك، لكن جميل تابع حديثه وكأن الطبيب لم يقل شيئاً:

ـحين كنت صبياً صغيراً، كنت أشاهد الجواري الصغيرات الجميلات يقفن في الحدائق، وكأنهن بعضاً من زهورها وورودها. كان يؤتى بهن من جميع أنحاء العالم الاسلامي، وكن من ألوان متعددة، فكنت ترى سوداوات البشرة من الحبشة، وزيتونيات لون الجلد من مصر وإيران، والشقراوات من مراكش وسورية (وهذا من فضل الشيخ طيب الذكر يوسف ياسين، طبعاً، الذي ورد اسمه في مقدمة هذا الكتاب)..

وسأل الطبيب مرّة أخرى: ـ

«لا بد وأن عدداً من زوجات الأمير كن أصغر سناً منه بكثير. أنتما حدثتماني عن عشيق واحد. ألم يكن هناك عشاق آخرون؟».

وكان هناك صمت. طويل بدا محرجاً للزائرين. ثم نطق جميل بهدوء: ـ

«أنا عشيق الزوجة الصغرى. الإيرانية التي اشتراها الأمير بمائتي قطعة ذهبية. اسمها فلوى».

يقول الطبيب الهلع من الرعب.

«وامتدت يدي على الفور لأوقف آلة التسجيل وأنهي الحديث... ولكن شعرت بأن ما أسمع هو عينة وشريحة من حياة المجتمع السعودي في نهاية حقبة من الزمن وبداية حقبة أخرى، وأن ما يجري قد يكون له أثره على المستقبل..».

«وسرعان ما صبَّ دلال الزيت على نار مخيلتي فألهبها حين قال: لم يكن جميل سوى أحد عشاقها، فقد كان لها عشاق آخرون كثيرون..».

وسأل الطبيب: ـ

«هل كانت هذه العلاقات قائمة أثناء حياة الأمير؟».

أجاب جميل: ـ

«نعم.. ولكن لا تنسى أنها كانت في الخامسة والثلاثين من العمر، وأن الأمير كان يناهز التسعين».

وقال الطبيب لجميل: ـ

«كان الأمير فاحش الثراء واسع النفوذ.. ألم تكن تقامر بحياتك وحياتها أيضاً؟».

قال جميل:

«كنـا بالغي الحـرص. لم نكن نتقابـل إلا في بيتي أو بيت دلال».

«وهل ما تزال العلاقة قائمة؟».

«نعم!!».

«وعائلتك وأهلك على علم بها؟».

«نعم.. كلا عائلتينا تعرفان: عائلة دلال وعائلتي..».

قال الطبيب:

«ولكني لا أستطيع أن أتصور كيف بدأ هذا، خاصـة إذا وضعنا بعين الاعتبار الفصل المتشدد وعدم الاختلاط بين النساء والرجال..».

«إذن فسأريح خيالك من عذابه.. كانت زوجات الأمـير إبراهيم جميلات وبقدر ما كن جميلات كن ضجرات يعانين من الملل وهن حبيسـات القصر طوال اليـوم. في بعض الأحيـان كـانت إحداهن أو الأخرى تـأتي لزيـارة والدتي أو والـدة دلال وتتناول الشاي معها».

«وفي أحد الأيام، عدت إلى البيت من السوق، فـوجدت فلوى هناك تتحدث إلى والدتي. شعرت شعوراً غريباً.. فلم أكن قد رأيتها منذ سنوات، منذ أن كنا أطفالاً صغاراً، كأخوين..

لقد ولدت أنا ودلال في رحاب قصر الأمير وكنا نستطيع أن نذهب إلى هناك حينما نشاء وإلى أي مكان نرغب لأن لنا «إخوة رضاعة» كانوا يعيشون هناك».

قام جميل إلى النافذة وأرسل نظره بعيداً صوب الصحراء. ثم تابع حديثه فقال: ـ

«وبعد فترة من الزمن، جاءت فلوى إلى بيتنا. كنت أحضر دروسي الجامعية. وكانت أمي قد ذهبت إلى القصر لشأن ما، بينما أبي كان في عمله. حضّرت فلوى الشاي وبدأت تسألني عن غرامياتي وحياتي الجنسية. وقد أدهشني ذلك وشعرت بحرج كبير. . ».

قال الطبيب: ـ

«أعتقد أن النساء يجدنك جميلاً جذاباً».

لم يعلق جميل، بل تابع حديثه عن فلوى زوجة الأمير: ـ

«قلت لها إن هناك عدداً من النساء يطاردنني ويطاردن دلال أيضاً، خاصة النساء المتقدمات في السن نوعاً ما. وأخيراً وبعد عدة أسئلة طرحتها حول علاقاتي الجنسية، قلت لها: وماذا تريدين مني؟ فقالت: أنت تعرف تماماً ما أريده منك. . . وهكذا بدأت علاقتنا. . صارت تأتي إلى دارنا حين يكون أبواي خارج البيت، أو كنت ألتقي بها في بيت دلال».

سأله الطبيب: ـ

«هل كانت الزوجات الأخريات يعرفن شيئاً عن علاقتك بفلوى؟».

فأجاب جميل: «نعم، لكنهن حافظن على السر لأنه كان لبعضهن عشاق أيضاً. وكانت الزوجات يحمين الواحدة الأخرى... ولكل زوجة مقرها الخاص ومنزلها في القصر، كما أن حراسها وخدمها مخلصون لها يحافظون على أسرارها... تذكر أن عمر الأمير كان يزيد خمسة وأربعين عاماً عن عمر معظم زوجاته، وكان يعاملهن كالحيوانات تماماً. الوقت والمكان الوحيد الذي كن يلتقين به كان الفراش. ويمكنك أن تتصور الوضع، فكل ما كان يريده منهن هو الجنس وإنجاب الأولاد الذكور».

وهنا علق دلال قائلاً: ـ

«كانت النساء السعوديات يستخدمن للتوليد والإنجاب فقط.. أما اليوم، فان نساءنا يحسدن النساء الغربيات على احترام الرجل الغربي لهن ومعاملته لهن باعتبارهن مساوين له في الحقوق والواجبات.. المشكلة أن الرجال لا يستطيعون مجاراة التغييرات الاجتماعية المتسارعة التي تحدث في العربية السعودية منذ ثلاثين عاماً. نحن لم نستطع أن نستوعب التغييرات.. إننا نفقد عقلنا على ما أعتقد.. لهذا بدأت النساء السعوديات المتزوجات يتخذن

عشاقاً لهنَّ. . . فهن يواجهن واقعاً جديداً مختلفاً تماماً لا عهد لهن به. . ».

وهنا علق دلال قائلاً: ـ

«لا تستطيع أن تلوم المرأة لوحدها. فزوجة الأمير كانت أمية تماماً، وكل ما تعلمته من دروس الحياة جاءها من الأمير نفسه. وقد علمها زوجها أن تتصرف كعشيقة وخليلة، وهكذا كان. يجب ألّا ننسى أنها كانت في الخامسة عشرة من عمرها حين بدأ الأمير يعاشرها، وكان هو في الخامسة والسبعين».

وهنا تدخل جميل مرّة أخرى فقال: ـ

«الواقع أنه كان لفلوى عشاق كثيرون أثناء حياتها في القصر. لقد كانت أمة مشتراة، وظلت تتصرف كذلك حتى بعد أن تزوجها الأمير».

وقال جميل: إن أول عشاقها كان شيخاً فاحش الثراء كان يعمل في قطاع البناء في الهفوف. كان شاباً يافعاً ويظهر أنه وقع في غرام فلوى حين كانت في التاسعة عشرة من عمرها، وقد اغدق عليها الهدايا وكان يريد أن يتزوجها. واستمرت علاقتهما عدة سنوات.

وسأل الطبيب: ـ

«ولماذا لم يشترها الشيخ من الأمير ابراهيم؟».

فأجاب جميل: ـ «**لأنه كان** مرتبطاً معه بعدة مسائل تجارية، وكان يتحاشى إثارة شكوك الأمير نحوه. ثم إن فلوى كانت تعلم حق العلم أن الأمير لا يمكن أن يبيعها لأنها كانت قد أنجبت له ولداً ذكراً، وكان يخطط للزواج منها إن هي ولدت له أولاداً ذكوراً آخرين. وفي النهاية صارت ترفض مقابلة الشيخ لأنها بدأت تشعر بأن المخاطرة كبيرة جداً».

وأضاف **جميل**:

«وبعد عامين، أنجبت فلوى صبياً آخر، فقرر الأمير أن يتزوجها، وهكذا طلق أكبر زوجاته عمراً، ليتسع المجال «الشرعي» لفلوى التي أصبحت زوجته المفضلة. وقدم لها من الخدم أكثر بكثير مما كان لدى الزوجات الأخريات، حتى إن البعض صار يناديها بلقب الأميرة. لكن الأمير إبراهيم لم يكتف بذلك. وكان يريد أولاداً آخرين مع أنه كان يقترب من الثمانين. وقدمت له فلوى صبياً آخر، لكن من أغلب الاحتمالات أنه لم يكن من صلب الأمير، وقد اعترفت لجميل بذلك. فقد اتخذت لها الآن عشيقاً جديداً، لم يكن هذه المرّة سوى أحد أبناء الأمير نفسه!! وكان هذا الابن في الأربعين. . كان ترتيب اللقاءات أمراً هيناً. ولكن بقي السر ضمن **العائلة**. .».

وقال دلال: ـ

«العلاقة الجنسية بين المرأة وأولاد زوجها محرمة في القرآن،

ومحرمة أيضاً العلاقة بين امرأة وأبناء والدها من زوجة أخرى . . ».

فقال الطبيب : ـ

«نعم ، وهذا ما نسميه نحن بمعاشرة الأخوات . . لأن فلوى كانت على علاقة بابنها لزوجها . . ».

تابع جميل حديثه فقال : ـ

«انجبت فلوى طفلاً آخر، لكن هذه المرّة بنتاً. لكن البنات لا يدخلن في حساب الذرية. وعلى كل حال فلم تكن فلوى متأكدة من هوية الأب . .

كانت آلة التسجيل ما تزال شغالة، وهنا كشف جميل عن اسم ابن الأمير الذي كان يعاشر زوجة أبيه جنسياً. ولكنه اعتذر عن ذلك قائلاً: إنها قصة قديمة. . أما القصة الأحدث فهي أن فلوى اتخذت عشيقاً جديداً بعده، وحين كان الأمير ابراهيم ما يزال على قيد الحياة. . وكان العشيق الجديد أحد مشاهير الأمراء. . ».

وهنا نهض جميل، وأتجه صوب الطبيب، ثم أطلق اسم الأمير الشهيد. .

يقول الطبيب : ـ

«صعقني الذهول، فقد كان الأمير أحد كبار الوزراء في

الحكومة، وله شهرة واسعة في الشرق الأوسط. فقلت: الحمد لله أنه ليس ولي العهد ثم استدرت فأوقفت آلة التسجيل، وأعلنت أنني سأمحي الدقائق الخمس الأخيرة من الحديث».

وقال جميل:

«فلوى متوعكة الصحة. وستأتي لزيارتك في العيادة غداً. حددت أنا لها موعداً، وأرجو ألّا يكون لديك مانع..»..

لم يكن لدى الطبيب الفضولي مانع أبداً، بل راح ينتظر متلهفاً رؤية هذه التي هزّت أبدان أمراء العائلة ووزرائها..

ويتابع الطبيب: ملخصاً ما قالته له فلوى حين أتت لعيادته في المستشفى. قالت فلوى:

«لقد عانيت من حياة بالغة القسوة والشقاء، فقد أخذوني من أبويّ وأنا في العاشرة من عمري (كيف وهي لم تؤسر ولا يجوز لأبويها بيعها حتى بموجب نظام الرق الذي سموه إسلامياً وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة!؟) ثم أخذوني إلى قصر الأمير وأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة... وأنا اليوم بلا أهل ولا عائلة، سوى أطفالي الصغار، ولا أعرف شيئاً عن والديَّ في إيران.. اللذين لم أرهما منذ خمسة وعشرين عاماً..».

بعد أسبوعين اكتشف الطبيب من التحاليل أن فلوى تعاني من فقر الدم!! أي مرض الفقراء!! طلبت فلوى، بمساعدة جميل

ودلال، من الطبيب الأمريكي أن يعطيها شهادة بأن معالجتها غير ممكنة في السعودية، وأدرك الطبيب أن الهدف من ذلك هو خروجها إلى أوروبا، حاملة جزءاً ولو صغيراً من الألف مليون دولار!! وهي، بالإضافة إلى هذه الأموال، تتقاضى الآن من خزينة الدولة أربعة آلاف ريال شهرياً، لأنها أم أمراء وأميرات!! فجمع الطبيب وطرح، ليجد أن هذا المبلغ (أي الـ ٢٠٠٠ ريال شهرياً) كافية لإطعام ثمانين طفلاً في بلاد الجياع، كالسودان وموريتانيا مثلاً!! ولكن هذه حسابات أطباء لا حسابات أمراء وعائلات مالكة. ورفض الطبيب إعطاء الشهادة لأنه أدرك أنها ذريعة لمغادرة البلاد.

لكن المدّ الغربي السياسي والاجتماعي والثقافي مستمر ويتوسع باستمرار في السعودية، حسب قول الطبيب الأميريكي، ولن يستطيع الاسلام السعو-أمريكي أن يقف في مواجهة هذا المدّ فبالإضافة إلى عشرات الآلاف من الشباب السعوديين الذين «تبتعثهم» الحكومة للدراسة في أمريكا وأوروبا، هناك ما يزيد على الـ ٣٥٠٠٠ أمريكي في السعودية، معظمهم من الضباط السابقين ورجال المخابرات والعاهرات المتنكرات بصورة ممرضات و«فنيّات»، والآلاف من الانكليز والبلجيكيين والكوريين والفليبينيين، الذين جاؤوا ليحاربوا الاسلام، وليحاربوا كل من تسول له نفسه بأن يتحدى العائلة المالكة وسياستها الاجتماعية

والسياسة والاقتصادية، ويعترف الطبيب أيضاً بأن الملك فهد هو اليوم أكثر وداً وصداقة مع الولايات المتحدة منه في أي يوم مضى. وأن العائلة المالكة ترسل أبناءها للدراسة «والتخصص» في الولايات المتحدة. ولكن الملك يصدر القرارات والمراسيم بمعاقبة النساء اللواتي لا يلتزمن بارتداء الثياب المحتشمة، حتى إن إحدى الأميرات قالت للطبيب: «**إن عائلتنا تعلمنا وتثقفنا بيد وتسترقّنا باليد الأخرى**»... والاسترقاق لا يقف عند حد حقوق النساء، بل يصل الى البؤساء اليمنيين الذين يعملون في السعودية. يقول الطبيب «إنه دعي» يوماً لمشاهدة جلد أحد هؤلاء اليمنيين - من ساكني أكواخ الطين - لأنه اتهم بسرقة بعض المأكولات من أحد المحلات!! هكذا يكون الاسلام، كما قال طيب الذكر الأمير خليل ليلة السكر والدعارة التي أحياها احتفالاً بمولد إبنه، وإلّا فلا!! والعائلة المالكة تثق تماماً بأن هذا الدين الذي يُجبر الناس على التقيد بمظاهره سيحميها من كل الطوارىء، حالياً وفي المستقبل... ولكن الطبيب يسأل: هل سيخضع المجتمع السعودي أخيراً لظاهرة الانحلال الخلقي والاجتماعي التي تسود في الغرب؟؟ هل سيقف المجتمع السعودي في وجه المدّ اللاأخلاقي الغربي الذي يروج له الأمير خليل وأمثاله، والطلاب الملكيون «المبتعثون» «يبعثون» بأفلام الدعارة إلى بلادهم قبل شهادات الدراسة، هذا إن حصلوا على هذه الشهادات بجدارة،

فمن المعلوم أن الطالب في أمريكا، يستطيع أن يشتري شهادته بعشرة آلاف دولار، بما فيها كتابة الأطروحة. وماذا تشكل الـ ١٠٠٠٠ دولار بالنسبة لأمير سعودي؟ إنها راتب شهرين يتقاضاها لأنه.. أمير؟! وتستطيع أميرات العائلة المالكة، اللواتي يرتدين العباية السوداء في الشارع، أن يسبحن في مسابح شركة «آرامكو» مع الأمريكيين الرجال والشباب. والخمرة ممنوعة على الناس، ولكن في بيوت الأمراء سراديب تضم أفخر أنواعه وأغلاها. وكذلك في بيوت الأغنياء من المقربين والحاشية، حتى إن الملك فهد كما سبق وذكرنا، يعاني من مشكلة إدمان شديد على شرب الويسكي!!

وتنتهي فترة خدمة الدكتور غري في مستشفى الملك فيصل في الرياض، ويعود، بعد ثلاثة أعوام قضاها في جمع الأخبار، إلى أمريكا عن طريق لندن، وتمضي الساعات بطيئة بين الرياض ومطار لندن، قبل أن تحط الطائرة في مطار هيترو، رأى الدكتور ما لم يعد يدهشه كثيراً.

يقول في نهاية كتابه: -

«حين اقتربنا من مطار لندن، نهض قوام نسائي ملفع بالسواد كان جالساً في الصف الأول من مقاعد الدرجة الأولى، واتجه إلى غرفة الراحة. لم أكن أستطيع تمييز ملامح وجهها لأنه

كان مغطىً بقناع سميك غطّى وجهها وكتفيها وظهرها، بعد حوالي خمس عشرة دقيقة، ظهرت من جديد فهي تلبس فستاناً حريرياً بالغ الأناقة. كانت امرأة بارعة الجمال، لكن ابتسامتها الساحرة التي أطلقتها باتجاهي كانت أروع ما فيها... عندها فكرت بسلطانة، التي فضلت عادات الشرق وتقاليده مع إدراكها، وهي بنت الزوجة الأميريكية للسديدي أنها تستطيع أن تفعل نفس الشيء، ولكنها فضلت البقاء في جوها الذي اختارته..

وبعد، عزيزي القارىء فهذا غيض من فيض جاء جواباً على السؤال الذي طرح في مطلع هذه الدراسة وهو: كيف تنفق الأموال النفطية في مملكة آل سعود. أقوى النماذج كانت ثلاثة:

١ ـ ما يحصل عليه الأمير خليل، وكيف كان ينفقه.

٢ ـ ما كان يحصل عليه الأمير ابراهيم، وكيف كان ينفقه، بما فيها تعويضات الزوجات بعد وفاته.

٣ ـ ما يحصل عليه أمراء العائلة الذين يتراوح عددهم بين ٤٠٠٠و٥٠٠٠ أمير، بحكم انتمائهم لتلك العائلة، واسلوب الانفاق الذي عرض في هذه الدراسة.

بقي أن تعرف الدخل السنوي من النفط فقط الذي تحصل عليه السعودية، نقصد العائلة المالكة، لتستطيع تقدير ما تبقى

لشعب السعودية الذي قدر الأمير خليل عـدده بستة إلى سبعـة ملايين إنسان.

تقول دراسة ظهرت مؤخراً أن مبيعات السعودية من النفط وفرت لها عائدات بلغت ٤٣٥ بليـون دولار (٤٣٥ ألف مليون دولار أي حوالي ١٥٠٠ ألف مليون ريال سعودي) خلال الفترة ما بين عامي ١٩٧٥و١٩٨٢ ميلادية، أي بمعدل ٢٠٠ ألف مليون ريال سعودي سنوياً. فلو افـترضنا أن عـدد السكان هـو سبعة ملايين نسمة، لكان معدل الدخل القومي للفرد الواحد في السنة الواحدة في تلك الفترة ٣٠٠٠٠ ريال سعودي!! أي حوالي ٢٨٠٠ ريال في الشهر، هذا إذا لم تضف العائدات الأخرى من الأعمال التجارية والصناعية والزراعية ما يقصد بمعدل الدخل السنوى هو إن هذا المبلغ، يشكل معدل الدخل لكل امرأة ورجل وطفل، وأن بعض الاحصاءات تقول إن ذلك المعدل، إذا اضيفت له الموارد الأخرى وحسب عدد السكان على أساس أنه ستة ملايين نسمة، يصل إلى ٤٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠٠ ريال. أما الميزانية السنوية العامة للدولة، لعام ١٩٧٨ ـ ١٩٨٨ فلم تتجـاوز الـ ٣٣ ألف مليون ريـال سعودي، بمـا فيها استحقـاقات الأمـراء والعائلة المـالكـة المكشوفة. أي أن هناك فائضاً سنوياً يصل إلى ١٦٧ ألف مليون ريال!! فأين يذهب هذا الفرق؟؟

لدينا بعض الأجوبة الموثقة على هذا السؤال: ـ

١ ـ ذكرت مصادر أميريكية وبريطانية موثوقة، مما اضطر الحكومة السعودية لتكذيب الخبر، أن الملك فهد يعد ثاني أغنى رجل في العالم، وأن ثروته الشخصية وصلت إلى ١٧ ألف مليون دولار. والواقع أن التكذيب الرسمي السعودي صحيح لسببين على الأقل: ـ

أ ـ ربما أرادت الحكومة السعودية أن تقول إنها إهانة للملك أن يقال إنه ثاني أغنى رجل في العالم، وأنه في الواقع أغنى رجل في العالم على الاطلاق، خاصة إذا اعتبرنا أنه يملك الحكومة والدولة وأموالها كلها التي يعتبرها هو وعائلته ملكاً شخصياً لهم. لم يقل البيان السعودي ذلك صراحة، ولكن صيغة البيان توحي بذلك.

ب ـ لا يمكن أن تكون ثروة الملك فهد الشخصية ١٧ ألف مليون دولار فقط، في حين تصل ثروة الأمير ابراهيم إلى ٣٢ ألف مليون دولار! فهل يعقل أن تكون قيمة الملك فهد معادلة فقط لقيمة سبعة عشر خليلة من خليلات وجواري الأمير ابراهيم، مثل «فلوى» مثلاً التي حصلت على ألف مليون دولار!!؟ من المؤكد أن المبلغ المقدر أقل من الحقيقة. ربما لم يتضمّن سوى المبالغ النقدية المودعة في البنوك، والمصارف التي تستطيع الدوائر الأميريكية وغيرها تحصيل المعلومات منها؛ وأن حجم ثروته الفعلية يفوق ذلك بكثير.

٢ ـ وهناك أوجه نفقات أخرى تدفعها العائلة المالكة بحماس. يقول بوب وود وورد في كتابه «القناع»، إن الصلات العضوية بين المخابرات السعودية والمخابرات المركزية الأميريكية لا تعادلها في القوّة والمتانة إلاّ علاقة هذه الأخيرة بجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد. ويقول أيضاً، كما قال الأمراء السعوديون للدكتور غري، إن السعودية، في حين تدفع بعض الأموال لمنظمة التحرير الفلسطينية «لإبعادها عن الأفكار المتطرفة والجذرية» (لا لمساعدتها على التحرير!!)، فإنها تقدم الأموال الطائلة لوكالة المخابرات المركزية الأميريكية مساهمة منها في محاربة شعب نيكاراغوا. الأرقام المعلنة عن هذه «المساهمة» لا تتجاوز الـ ١٢ مليون دولار، وهو مبلغ زهيد بمعايير العائلة المالكة، ولكن لماذا دفع من أموال الشعب السعودي؟؟ ماذا فعل شعب نيكاراغوا لإيذاء العائلة أو مصالحها؟؟ الجواب واحد وهو ما يعطيه رئيس المخابرات الأميريكية صراحة: ـ السعودية ضد الشيوعية في أي مكان في العالم، وضد الارهاب أيضاً، أي أنها حليف دائم وثابت للولايات المتحدة، تخوض حروبها وتدفع فواتيرها عند الطلب. ولو كان الأمر غير ذلك لحاربت السعودية الشيوعية في الاتحاد السوڤياتي مثلاً، أو في المواقع التي لا تخوض فيها أمريكا حرباً ضد أنظمة الحكم. ويرد تحت هذا الباب تمويل آل سعود لحزب الكتائب المسيحي في لبنان، وتزويده بالسلاح لقتل المسلمين

تحديداً، ووضع الخطط لقتل رجال الدين الاسلامي المناضلين تنفيذاً لأوامر المخابرات الأميريكية. وما هو معروف عن هذه الأنشطة قليل.

٣ ـ قام أحد وزراء دولة من دول الشرق الأقصى بزيارة للسعودية مؤخراً، وقام بجولة على المشاريع العمرانية والإنتاجية التي أنجزت في البلد، وبعد الجولة سأله المسؤول السعودي المرافق له متباهياً: ما هو شعوركم يا سيادة الوزير تجاه ما رأيتموه واطلعتم عليه؟ فأجاب الوزير الضيف ساخراً: ـ لو أننا كنا نحن منفذي هذه المشاريع، لكنا أنجزناها في نصف الوقت وبنصف التكاليف التي أنفقتموها!! فقامت أزمة دبلوماسية، وغادر الوزير السعودية شبه مطرود!!

ذلك أن الوزير لم يكن يدري أنه بقوله هذا كان يشير بأصبع الاتهام إلى كل العائلة المالكة التي يشرف أفرادها على كل هذه المشاريع، وأن المشاريع لم تكلف فعلاً إلّا ما قدره الوزير الضيف، وأن المبالغ الأخرى ذهبت إلى جيوب الأمراء كشرط أساسي من شروط منح العقود!!

هذه أمثلة قدمناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وكان أن تحولت مملكة آل سعود إلى ما هي عليه اليوم اجتماعياً، وكان الطبيب الدكتور غري أحد أولئك الذين اطلعوا.

على خفايا ما يدور بين جدار القصور، ولكنه لم يكن الوحيد، فقد كتب عن سيرة أمراء السعودية العديدون، والعديدات، الـذين اعتبروا أسلوب حياة تلك العائلة واجتماع الاضـداد في سلوكها تسفيهاً لكرامة المواطن وإهانة للاسلام، واستخفافاً بذكاء الناس. ومن الـذين كتبـوا عن هؤلاء، وعن شيـوخ النفط في الكـويت والبحرين والإمارات ودول الخليج الأخرى الكاتبة ليندا فورد، التي أذهلهـا ما رأت: فـماذا كتبت هي الآخرى عن السعـودية وعائلتها المالكة؟؟

الفصل الثالث
آل سعود
في المنظار البريطاني

بلاد العجائب

في بهو فندق المنامة في الرياض، وفي جوه المشحون بكل غريب عجيب، تنظر الصحفية الحسناء حولها فترى عدداً غير محدود من المغامرين الأجانب، يتأبطون مشاريع لعرضها على بعض الأمراء، خاصة الأمير فيصل بن فهد، الذي قرر بناء أضخم مدينة ألعاب أولمبية في العالم، فجاءه عارضو المشاريع من جميع أنحاء العالم، ولكنه لم يحضر هو، وانتظر العظماء، وقيل لهم «غداً إن شاء الله» ولكن الغد جاء يحمل لهم خبراً مفاده أن الأمير فيصل موجود في فندق الدورشستر في لندن، وأنه متوعك الصحة، ولو أن توعكها لم يعقه عن تناول وجباته في مطعم «الأنابيل» المجاور.

ويتساءل أصحاب المشاريع الذين دعوا للقاء الأمير عن سبب تجاهلهم بهذا الشكل، فلا يجدون إلّا جواباً واحداً: لا بد

أن «الـوسطاء» الـذين «أمّنوا الأوضـاع» لم يكونـوا من المستوى الملائم!!

ويطول الانتظار، ولا يجد الأجانب المنتظرون في الفندق منذ ثلاثة أسابيع ما يفعلونه سوى الاستعانة على تمضيـة الوقت مـع العاهرات اللواتي يحضرن إلى الفندق ملفعات بالملاءات السوداء، ويصلن إلى الغرف التي تنتظرهم عملاً بأوامر مدير الفندق الذي لا بد من الحصول على «ثقته» حتى يؤمن «المطلوب»!! و«مديـر الفندق» هذا هو نفس مقدم نشرة الأخبار الانكليزية في التلفزيون السعودي، لذلك كان يجني الأرباح الطائلة من وظائفه الثلاث، خاصة وظيفة تأمين العاهرات لضيوف فندق اليمامة. وقد حقق المذيع المشهور «مايك» شهرة عالمية في مجال الوظيفة الإضافيـة، حتى إن الوصايا العشر التي تقدم للزائـرات الأوروبيات اللواتي يسعفهن الحظ بالوصول إلى السعودية، والنزول في فندق اليمامة في الرياض، تضم واحدة مهمة توصي تلك النساء بعدم فتح باب غرفهن في الساعة الثانية صباحاً إذا كان الطارق هو مايك، مدير الفندق المشهور، وإلّا دخل الغرفة وأصرّ على تقديم النصائح لهن حول أسلوب التعامل مع الرجال!! والوصية الثـانية التي تقـدم لتلك النساء هي الا يلتفتن لمن يقول إن الإشاعة قـد سرت في الفندق بأنهن ساقطات يبحثن عن رجال. فمايك فقط يستطيع نشر الإشاعة، ثم مايك فقط يستطيع الوصول إلى باب غرفة امرأة ما

والطرق على بابها في الساعة الثانية صباحاً!!

أما الصحفية ليندا، فلا يطول بها الانتظار إلى هذا الحد، الساعة الحادية عشر مساء، وليندا تستعد للذهاب إلى الفراش، حين يرن جرس هاتفها. إنه أحد مسؤولي التشريفات الملكيـة، فرغ لتوه من عمله المرهق، وهو يعرض أن يزورها الآن!! تقول ليندا: نعم! فيصل مسؤول التشريفات ويعرض عليها مرافقته إلى منزل «أحد الأصدقاء» لتناول الحديث هنـاك. وتوافق ليـنـدا!! البيت قائم في شارع خلفي مظلم. يفتح «الصديق» الباب، ثم يغلقه وراءه بعد أن يرحب بضيفيه. تقول ليندا: ـ

«لم أستغـرب تناثـر مجلات الـدعارة والعـري الـبريـطانيـة والأميريكية في بيت الصديق، فقد صارت منظراً مألوفاً لدي في بيوت السعوديين الذين زرتهم! أما الصديق فقد زاد على ذلك بأن علق صور نساء عاريات على جدران الغرف، مما زاد من قوة الشبه بين تلك الغرف وصالات النوادي الليلية في لندن، خـاصة إذا توفرت أعداد من زجاجـات الويسكي، كـما هي الحال في بيت الصديق تملأ زوايا غرفته الواسعة..».

«اختفى «الصديق» وبدأ مسؤول التشريفات الملكية يفـرغ الـويسكي في جوفـه، كأسـاً بعد أخـرى. قال إن هـذه الفيـلا استأجرها عدد من الرجال المتزوجين، لتكون «مأوى عزابية» لهم

أي ليحضروا إليها العاهرات، وهن غالباً مصريات، وكـذلك المضيفـات الجويـات اللواتي يحضرن ومعهن المؤونة الكـافية من زجاجات الويسكي». . .

«وسألني المسؤول: هل يضايقك وجودك معي هنا؟ ويميل عليَّ يطلب ما لا يمكن لامرأة أن تخطىء فهمه. قلت: أبداً!! فأنا ضيفـة في بلادكم، وأنـا واثقة من أنـك لن تؤذيني، فأنـا تحت حمايتك!!».

«بهذه الكلمات أوقعت المسؤول في حيرة أخلاقية قاتلة. كنت أرى أنه يكاد يقفز فوقي ولا يستطيع الانتظار.. ثم يبتعد عني خشية أن تفضحه معالم وجهه، أو تصرفاته. يـرجوني أن أقضي الليلة هناك، ويعدني بأن يقفل على نفسه باب غرفته وأقفل أنا باب غرفتي من الداخل، فهو لا يريـد أن يعرف أصـدقاؤه مـا حصل. ولكني رفضت دعوته قائلة أن الفندق سيقلق علي!!».

«وأخيراً. . . دعاني إلى السيـارة، وأعادني إلى الفنـدق.. فتنفست الصعداء. . . وما زلت أتنفسها!!».

عقدة الذنب

تقول ليندا:

«في إحدى المرات أوصلني مسؤول سعودي كبير إلى الفندق بعد حديث عمل تبعه تناول طعام الغداء في منزله. لم تكن تلك

هي زيارتي الأولى لعائلته، وكنت أعرف تماماً أنه رجل يملك كل شيء: فهو مثقف وذكي وغني وناجح . . . ولكن حين تذهب إلى بيت ذلك الرجل، بعيداً عن عيون الناس، تجد أنك في رياض غير العاصمة، وتكتشف أن النفط الذي تفجر من تحت الأرض لم يكن كله مَنْ وسلوى من أعطيات السماء. فوراء أسوار المنازل السعودية العالية تقبع ضحايا، وزوجة ذلك الرجل هي إحدى تلك الضحايا. وستجد، كما أجد أنا، صعوبة فائقة في تقبل وجهة نظر السعوديين تجاه المرأة، فهي بالنسبة لهم إما كنز أو ساقطة، وليس هناك منزلة بين المنزلتين، حتى أنا، كنت أعامل كلعبة صينية، فلا يسمح لي بالخروج من الفندق وحيدة أبداً».

- حتى زوجة ذلك الرجل لم تعد تستطيع تحمل ذلك الوضع. وهي تقبع في غرفتها، وتعيش على السجاير والمهدئات. لم تتجاوز بعد العشرينات من العمر، ولكنها تهزل وتضعف وتتلاشى ويشحب وجهها ويصفرّ. وترى ساقيها النحيلتين وصدرها هيكلاً عظيماً تحت ثيابها الباريسية الأنيقة. حتى والدتها كانت تتمتع بحياة أكثر إنسانية في جيل مضى. صحيح أنه كان يوجد عبيد في تلك الأيام، ولكن كان للزوجة مهام تقوم بها. فلم تكن هناك مطابخ أمريكية ولا مكيفات هواء في فترة ذلك الجيل، ولم يكن هناك مجال لتلقي التعليم في الخارج، ولا معرفة بأسلوب مختلف للحياة عن أسلوب الحياة في سجن النساء المسمى «بجناح النساء».

مما لا شكَّ فيه أن الجيل الحاضر من النساء قد استفاد كثيراً من ظاهرة التقدم، ولكنه خسر كثيراً أيضاً. فزوجة هذا الرجل تطلي وجهها بالمساحيق عدة مرات كل أسبوع، وترتدي الفساتين الطويلة، وتنشر مجوهراتها على صدرها ليعرف الناس أنها ملك للمليونير، ثم تخرج مع زوجها لزيارة أصدقاء في منازلهم. وحتى هذا الحدث يعتبر شيئاً عظيماً في الرياض، رغم أن الجدران، التي يفترض أن تكون ملجأ، يمكن أن تكون أكفاناً هنا.

حدثت الزوجة الشاحبة الصحفية المتلهفة إلى السماع فقالت: «رتب والدي زواجي حين كنت في السادسة عشرة من عمري. ما زلت أذكر شهر عسلنا، حين حملتنا الطائرة إلى أوروبا. كنا نجلس كغريبين، وكنت أحس بالخجل من الجلوس إلى جانب هذا «الغريب» ولم أستطع إيجاد موضوع للتحدث معه. لم أكن أعرف شيئاً عن حبوب منع الحمل، فأنجبت أربعة أطفال في أربعة أعوام. كيف استطيع الاعتناء بأطفال وأنا طفلة مثلهم؟؟».

«أما الآن فقد كبرت ولم أعد طفلة. ولكن زوجي لا يعترف بذلك! أنا أدرك أن زوجي يعاني أيضاً. رجوته أن يدرك بأنني لست تلك الطفلة الطيبة التي تزوجها، وأنه يستطيع أن يثق بي ويطلعني على أسراره ومشاكله، ويسمح لي بمشاركته في بعض مشاكله وهواجسه. لكنه لا يريد أن يسمع، ولا يريدني أن أكبر!!».

وحين تزور ليندا عائلة أخرى، تطلب منها العائلة أن تغطي رأسها، لأنها سمراء، (يهودية!) وقد يظن الناس أنها عربية مسلمة استضافتها العائلة وقبلت بها وهي السافرة فيلحق العار بالعائلة واسمها!! وترضخ ليندا اليهودية وترتدي غطاء الرأس!

لكن الزوجة تختلف هذه المرة عن زوجة المليونير السابق. فتقول للصحفية! ـ

«أنا أدير أمور بيتي، طبعاً، فأنا أقرر نوع الطعام حين يتصل بي زوجي هاتفياً في الساعة الثانية عشرة ظهراً ليقول لي إنه سيحضر معه عشرة أشخاص لتناول طعام الغداء عندنا. أهيىء الوجبة ثم أختفي حتى لا يراني الضيوف. ثم إنني أحصل على تذاكر السفر إلى أوروبا بمجرد ان أطلبها. لكن ماذا أفعل في أوروبا؟ أذهب للتسوق، أو أجلس في غرفة الفندق ولا أجرؤ على الخروج مخافة أن يراني شخص من الرياض أسير لوحدي فينقل الخبر إلى عائلته!!».

«ليس هناك من رجل واحد مخلص لزوجته في السعودية كلها. هم لا يخونون هنا طبعاً، فهم هنا ملائكة، ولكنهم منافقون أيضاً. هذا يؤلمني كثيراً، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟؟ أنا وزوجي لا نناقش هذا الموضوع لأننا لا نناقش أي موضوع ذي أهمية. يحدث بين الفينة والأخرى أن أصرخ في وجهه، لكنه لا

يضربني، فهو لا يستطيع ذلك، لأنه إن فعل فسيكون ذلك اعترافاً منه بأنني مخلوق بشري، وليس لعبة أو طفلة!!».

وتنتقل الصحفية لحديث أجرته مع زوج تلك المرأة. يقول لها الزوج: -

«أنا أحب تلك المرأة. وهي تستطيع أن تؤذيني أكثر من أي إنسان آخر. ولكن قولي لي: ماذا يمكن أن أفعل؟ أنا أقدم لها المجوهرات فتهز بكتفيها نافرة مشمئزة. أعطيها آلاف الجنيهات لشراء الثياب من أوروبا فتضج بالشكوى لأنها لا تستطيع لبس تلك الثياب في الرياض، إلاَّ في المنزل. فأسألها: لم تشترين التنانير القصيرة إذن؟ لماذا تذكرين نفسك دائما بما لا تستطيعين أن تفعليه؟».

ويتابع الزوج حديثه فيقول: -

«أنا أعمل طوال النهار، فهل يتوجب علي أن أتشاجر طوال الليل؟ هي تقول إنني لا أحدثها. فمتى أحدثها؟ إنه جزء لا يتجزأ من عاداتنا أن نستقبل الأصدقاء في أي وقت يشاؤون. أنا لا أستطيع أن أقفل باب بيتي لأتحدث إليها. ولست أريد أن أقفل بابي، فماذا يوجد في هذه الحياة ما هو أهم من الأصدقاء والعائلة؟...».

«أنا لا أؤمن بأن عليها أن تغطي وجهها، لكني لن آتي بالعار على عائلتي بالسماح لزوجتي بأن تمشي سافرة في وضح النهار. لكني

أسمح بذلك في الليل، حين نكون في السيارة وفي طريقنا إلى بعض أصدقائنا. في تلك الحالة لا أطلب منها سوى وضع غطاء رقيق على رأسها، وعباءة طويلة ألا ترتدي النساء إيشاربات في أوروبا؟ وهل هذه تضحية كبيرة؟ قبل عشر سنوات لم يكن بامكاني حتى اصطحابها في السيارة، ناهيك عن ركب السيارة معي بلا غطاء وجه، ولم يكن بإمكاني إرسالها إلى أوروبا لقضاء فصل الصيف بعيداً عن جونا اللاهب الخانق. لماذا لا ننظر إلى تطور الأمور نحو الأفضل؟ ».

«بالطبع لا يمكن أن تعمل. ولماذا تعمل؟ فنحن لسنا بحاجة إلى المال. وعائلتي لن ترضى عن ذلك، أحياناً أشعر بأن الماضي كان أفضل من الحاضر، فالحياة الآن تزداد تعقيداً، وأنا خائف مما يجري لنا جميعاً».

ويخرج الرجل إلى المنطقة التي يبني فيها قصراً سيكلفه ثلاثة ملايين دولار..

المعمل

تقول ليندا بلاندفورد:

«حين اعتلى الملك فيصل عرش السعودية عام ١٩٦٣ وجد في خزينة الدولة ٣٧٥ ريالاً سعودياً، ووجد معها ٣٠٠٠ أمير سعودي. أما خالد، شقيق فيصل، فقد ورث مملكة وصلت

عائداتها عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ إلى مائة وأحد عشر ألف مليون ريال، لكنه ورث أيضاً عدداً من الأمراء يقارب عدده ضعف عدد الأمراء الذين ورثهم فيصل. فلا غرابة أن يطلق الناس على آل سعود اسم «المعمل»، فهم ينتجون نماذج جديدة في كل يوم، تماماً مثل معامل سيارات ديترويت في أمريكا.

وليس غريباً أن تعتبر البلاد كلها «مخزناً لشركة آل سعود»، وأن يعتبر كل فرد من أفراد العائلة المالكة شريكاً مساهماً في ذلك المخزن. صحيح أنهم يقدمون بعض فتات موائدهم للمواطنين، ولكن عدد هؤلاء المواطنين قليل جداً. الاحصاءات الرسمية تقول إن عدد السكان يتراوح بين ٧و٨ ملايين نسمة. الاحتمال الأكبر أن عددهم لا يتجاوز الأربعة ملايين. فتعداد السكان في هذه البقعة من العالم يبقى موضوعاً سياسياً بالغ السرية والحساسية. إلّا أنه مهما كانت طبيعة إنفاق الحكومة السعودية لثروتها، فإن أمراء العائلة المالكة يقتطعون حصة الأسد منها. وفي الخزينة ما يكفي لكل واحد منهم!؟

لست أدري كيف يحصل آل سعود على الأموال، ولا ما يملكون منه، ولا أين يحتفظون به، فإن محاولة معرفة هذه الأمور قد تكون مهمة محفوفة بمخاطر لا يتمناها لك صديق محب!! لكن الأموال بين أيديهم وفيرة. أما مدى ثراء الأمراء فيعتمد اعتماداً كبيراً على ما يقررون أن يفعلوا بحياتهم. بعضهم يملك الغنى

الفاحش، وهؤلاء يفضلون الراحة المطلقة، يخرجون أموالهم المتراكمة ويصرفونها ولا يعملون شيئاً..

وهؤلاء أكثر حرصاً الآن فيما يتعلق بالأسلوب الذي لا يفعلون شيئاً بموجبه!! فقد خطا «المعمل» خطوات واسعة جداً منذ أن بنى الملك سعود قصر الناصرية الشهير الذي كلف ٢٥ مليون جنيه، وبنيت فيه القصور المنفصلة لكل زوجة من زوجاته الأربع، بالإضافة إلى المنازل الفخمة لخليلاته الاثنتين والثلاثين، وبالإضافة إلى القصور السبعة والثلاثين التي بناها الأمراء مقربين لهم مكانتهم عنده. أما خلفه، الملك فيصل، فكان رجلاً متقشفاً لا يحب حياة المظاهر والبذخ. وقد استمرت تقاليده من بعده. وكانت إحدى هذه التقاليد هي الحرص: فقد عاش فقيراً ولكنه مات غنياً جداً.

وخلاصة القول أنه لا وجود لشيء يسمى «أميراً سعودياً فقيراً». بعض الأمراء لا يفعلون شيئاً ولكنهم يملكون الأراضي، ويوظفون عليها من يديرها ويحولها إلى مصدر ربح وفير. وبعض الأمراء يمارس التجارة سراً، وبعضهم يمارسها علناً. يستحيل أن يعرف أحد كم يربحون، والأكثر استحالة هو أن تعرف من يربح كم، ولصالح من!!

وهناك أمراء أقل طموحاً «يؤجرون» أسماءهم للشركات

الأجنبية لكي تحصل على العقود. لكن هذا «التأجير» غالي السعر جداً هنا. وهناك أمراء آخرون أكثر جرأة يستخدمـون أسماءهم لدعم قريب ما في أعماله التجارية، ثم يحصلون الأزباح بأنفسهم بهذا تجد مثلاً أن أحد إخوة الملك يهدد شركة بريطانية برفع دعوى قضائية ضدها، لأنه يطالبها بكمسيونه أو عمولته البالغة نصف مليون جنيه استرليني، والتي لم تدفعها الشركة مقابل حصولها على صفقة أسلحة عقدتها مع الحكومة السعودية!! وحقيقة الأمر أن الصفقة أجريت مع أخيه وزير الدفاع، وليس معه شخصياً!!

تجّار السلاح

كما يعلم الجميع، فإن تجارة السلاح في العربية السعودية هي ظاهرة فريدة من نوعها. وهي مصدر ثروة هائلة لمن يستطيع أن يقتحم عالمها ويدخل أسرارها. ولهذا كان أول من دخل ذلـك العالم هم الأمراء، ساعدهم في ذلك الصراع العائلي المرير والشك المتبادل فيما بينهم. هناك قول مأثور شائع في جميـع أنحاء شبـه الجزيرة العربية (وهو قول من المهم جداً أن تتذكره مع تلك الفكرة الأكثر تفاؤلاً: فكرة: بكرة إنشاء الله)، يقول هذا المثل: أنا ضد أخي، وأنا وأخي على أولاد عمي، وأنا وأولاد عمي ضد العالم .

هناك عدد كبير من الأمراء الكبار لم يلتق بهم حتى الآن ولا حتى كبار الوجهاء السعوديين. وهناك عدد اكبر منه لم يسمع بهم

أحد. قبل بضع سنوات، كان أحد هؤلاء الأمراء، واسمه مسعد، أكثر شهرة في القاهرة منه في الرياض حيث استهوته القاهرة لما فيها من هوايات باهظة التكاليف يجب أن يمارسها هناك. نشرت صوره الصحف الفرنسية وهو يرقص عارياً في باريس وسيفه مسلول في يده. لم تعجب النكتة ابن سعود، وهكذا فقد أحضره إلى البلاد ووضعه تحت الإقامة الجبرية. لكن الملك فيصل قدم المال لمسعد فيما بعد ليشتري منزلاً في بيروت و«يسرح على هواه». وفي عام ١٩٧٥ أصبح اسم «مسعد» اسماً سيء السمعة، ولكن على كل شفة ولسان، فقد كان ابنه هو الذي أطلق النار على فيصل وقتله، ثم قطع رأسه في ساحة عامة.

تأخر آل سعود في تحديد يوم تنفيذ حكم الإعدام (ولا شك أنهم كانوا يستجوبون القاتل استجواباً دقيقاً قبل إعدامه). وكانت تلك فترة عصيبة في الرياض، لأن الكل كان يتساءل حول ما إذا كان الإخوة وأبناء العم سينقلبون ضد بعضهم البعض، أو أنهم سيقفون متضامنين متماسكين في وجه الدنيا. لكن «المعمل» تماسك ووحد صفوفه، وسويت جميع الأمور في ظل الملك الجديد، أما بعض الأمراء المستائين الذين خلفهم فيصل وراءه فقد قدمت لهم حصص جديدة في كعكة الحكومة، وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي. هذا شيء جيد، ويبقى جيداً إلى أن تعرفوا ما هي الأمور التي عادت إلى مجراها الطبيعي المعتاد!! فقد جرت الأمور على ما يلي:

صار خالد ملكاً، وأخوه لأبيه، فهد، ولياً للعهد حيث استقامت أخلاقه وتحسن سلوكه، مما سبب الكثير من الحزن والأسى في العديد من نوادي القمار في جميع أنحاء العالم. أما شقيق ولي العهد فقد أصبح وزيراً للدفاع، ومسؤولاً عن القوات المسلحة التي تقدم لضباطها وجنودها الرواتب والامتيازات الكبيرة. لكن شقيق الملك هو الذي يشرف على الحرس الوطني، والحرس الوطني هو قوّة صاعقة شكلت من رجال القبائل الصحراوية التي يسري الولاء لآل سعود في شرايينها (والتي يقدر زعماؤها أعظم التقدير السبائك الذهبية التي يحصلون عليها مقابل إقناع رجالهم بالتطوع في الحرس الوطني).

إلّا أن قوات الجيش وقوات الحرس الوطني تبقى منفصلة تماماً عن بعضها البعض، فلا تعرف إحداها ما هي الأسلحة التي تحصل عليها الأخرى، ولا من أين تحصل عليها ولا متى. الحكومة تراقب أعداءها الخارجين والجيش يراقب البلاد، والحرس الوطني يراقب الجيش! والوسطاء يصنعون الثروات الهائلة من توريد الأسلحة لكلا القوتين. وتكون حصة الأمراء من ذلك هي حصة الأسد، وحتى كبار الضباط لا تنسى حصصهم من هذه الصفقات.

السعوديون غاضبون جداً من موقف الغرب عموماً تجاه العمولات والرشوات التي تدفع مقابل بيع الأسلحة للسعودية (مع

أنهم شعروا بالارتياح منذ أن اكتشفوا أنه حتى البلدان الغربية تغني على نفس المنوال، وتصدح بنفس الموّال). الغرب يصف صفقات الأسلحة السعودية بأنها صفقات فساد. والسعوديون لا يحبون ذلك الوصف. فهم ينظرون إلى العمولات على أنها «أجور خدمات قدمت» والرشوات على أنها «جزء تقليدي من شروط الوصاية على التجار». فالمقامات لها حقوقها!! والمقامات هنا تعني الالتزام بتقديم العطايا، وتعني أحياناً أخذ نصيب كبير من قيمة الصفقات المعقودة.

ومهما كانت ادعاءات الحكومة القائلة بأن أحداً من الأمراء لا يجني أموالاً، أو قل لا أحد تقريباً، يجنيها من هذه الصفقات، فإن قولها يبقى صحيحاً إذا فهمناه على أنه يعني أنه لا أحد يحصل على الأموال إلّا بموافقة فئة أو أمير من العائلة المالكة. فكل رجل أعمال كبير في الرياض ـ مركز الحكومة ـ داخل حتماً وعالق في نسيج عنكبوت العائلة إياها، وإلّا استحال عليه تحقيق أي نجاح. هكذا يعمل «مخزن شركة آل سعود».

فكونك تدخل عالم الأعمال، حتى ولو كان ذلك المجال هو مخزن شركة آل سعود، لا يعني أبداً بالنسبة لآل سعود، والسعوديين إجمالاً، ما يعنيه للغربيين، ولا لكل مخلوق آخر على سطح الأرض. ولم لا؟ فإذا كانت التجارة مهنة شريفة للجميع، فلماذا لا تكون كذلك بالنسبة للعائلة المالكة في السعودية!؟ ولكن

يحدث أحياناً أن تتشابك مصالح العائلة العامة والشخصية. فيكون ذلك من دواعي الأسف والحزن: صحيح أن الأسلحة هي مسألة أمن ودفاع، حسب رأي آل سعود، ولكنها تجارة أيضاً!! وفي هذا المجال يصول آل سعود ويجولون، ويخططون ويتآمرون باسم الشرعية الملكية السعودية.

ينبغي على كل من لا يزال يتذكر التحقيقات التي أجراها الكونغرس الأميريكي في تجارة الأسلحة السعودية أن يتذكر دائماً قصة تحكى على لسان الملك إبن سعود. تقول القصة إن رجلاً احتاج إلى متعهد يقدم له شحنة من مراوح التبريد، قدرها مائة مروحة. طلب الرجل عروضاً من التجار، وسره أن يجد أن أحد تلك العروض يقلّ بنسبة ٥١ بالمائة عن بقية العروض المقدمة. فقبله، وسرعان ما وصل لعنده حمار يجرّ عربة تحمل مائة مروحة من مراوح السيدات. اشتكى التاجر المكظوم إلى الملك ابن سعود طالباً انصافه. فقال الملك إن الصفقة صحيحة ومقبولة. فقد حصل على ما طلبه!! طلب المراوح، فجاءته المراوح! لم تكن عملية بارعة الذكاء، ولكنها ذكية. ليس المهم أن هذه قصة سعودية، المهم أن السعوديين يروونها! وبالطبع لم يكن بائع المراوح العبقري أوروبياً، ولكن كان سعودياً أصيلاً!!

وأول من يخطر على بال الأمر في هذا الميدان هو اسم عدنان خاشوقجي، الذي بلغت عمولاته مئات الملايين من الدولارات

من شركتي نورنثروب ولوكهيد وحدهما. عدنان الخاشوقجي لا يخطو خطوة واحدة إلّا بعلم الأمير سلطان، وزير الدفاع، وموافقته. كما أن عدنان صديق مقرب جداً من الملك فهد.

لكن عدنان الخاشوقجي لا يعدو أن يكون واحداً من عدد كبير من الوسطاء. فهناك عدد كبير من الذين تحير مصالحهم وصفقاتهم العقول، كما تفعل مصالح الخاشوقجي. لكنهم يمارسونها بحصافة وسرية أكبر. .

سيرة الخاشوقجي، خاصة في مجال الحفلات السامرة والنساء الساهرات الساحرات المتوفرات دائماً حين الطلب، لم تعد تخفى على أحد. حتى يخته محمودية، صار علماً في جنوب فرنسا. لكن باعه في عالم صفقات السلاح ليس الباع الأطول.

قليلون هم الذين يعرفون غسان شاكر ومكتبه الطائر في غروفنر سكويد بلندن، وشقته الكائنة في نفس المنطقة، ولو أنه يفضل النزول في فندق الدورشستر لسهولة التنقل والاتصال. غسان شاكر هذا رتب أكبر صفقة سلاح عقدت عام ١٩٧٥، وأكثرها مدعاة للتساؤل، وهو الذي رتب أيضاً عملية تجنيد الضباط والجنود الأمريكيين السابقين الذين كانوا يشكلون الوحدات الخاصة في حرب ڤيتنام، ووضع معهم عقوداً خاصة للعمل في السعودية، بواسطة متعهد خاص اسم شركته: شركة ڤينيل المتحدة من لوس أنجيليس. أما المهمة التي أوكلت

إلى هؤلاء الضباط فهي تدريب قوات الحرس الوطني السعودي على عمليات حماية آبار النفط وحقوله . أطلقت تلك الصفقة صفارات إنذار وأجهزة إنذار كثيرة . وطرح السؤال : هل هذه وحدة مرتزقة مكشوفة ؟ أم أنها مجرد « عوائق » و «عوارض» وأجهزة تجسس داخل السعودية؟ فإن كانت وحدة تجسس، فمن الذي يتجسس، وعلى من؟ وممن يحمي السعوديون آبار النفط: من أمريكا؟ أم من إيران؟ أم من إسرائيل؟ أم من عمليات تخريب داخلي؟ وتمت الصفقة، ولم تكتب الصحف عن غسان شاكر شيئاً، ولم يرد اسمه في تحقيقات الكونغرس الأميركي. وهذا أمر طبيعي، لأن ظهور اسم شخص ما واشتهاره سيعني أنه في طريقه إلى التلاشي والاضمحلال. ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغسان.

لا يزيد عمر غسان عن الخمسين عاماً، وهو ابن ضابط في الجيش العثماني، ومن خريجي جامعة كمبردج، التي درس فيها القانون والأدب الانكليزي، ويبلغ من نعومة المعشر أنه يستطيع أن يبيع ويروج مسحوق الغسيل عند السيدات، بصوته المثير.

لا يخفي غسان شاكر حقيقة وجود علاقات قوية بينه وبين أقوى أمراء آل سعود، ويستطيع زيارتهم في أي وقت يشاء، ومن هنا جاءت قدرته على تأمين صفقة قوات الكوماندوس الأميركية للخدمة في الحرس الوطني السعودي.

يتساءل غسان باشياء عن سبب الضجة الغربية حول مسألة العمولات، ويقول للصحفية البريطانية: «أما آن لكم أن تفهموا أن هذه هي السعودية، وليس أوروبا أو أمريكا؟؟ ماذا يفيد أن نأخذ عمولات على هذه الصفقات. الصفقة تكون بين حكومتين، وقد رتبت أمر عدة عقود كبيرة في هذا المجال. أما ما يتعلق بصفقة الوحدات الخاصة، فقد أمضيت ثماني سنوات من عمري وأنا أوطد دعائم هذه الوحدات الأميريكية في السعودية. فلماذا كل هذا الضجيج في الغرب؟! لقد أنعم الله على هذا البلد بثروة خيالية، وأحب أن أشعر بأنني أخدم ربي ووطني...

وهكذا أرضى غسان شاكر ربه ووطنه بأن أحضر قوات أميريكية خاصة إلى السعودية.

وبالمناسبة الحديث عن رضى الله على غسان شاكر تقول الصحفية إن آل سعود يدخلون الله كثيراً في شؤونهم التجارية، ولكنها لم تخدع بذلك، كما لم تخدع حين أتى ريتشارد نكسون بالكهنة والرهبان للصلاة في البيت الأبيض بينما كان يعد «خازوق ووترغيت». فآل سعود لا يجدون تناقضاً بين ما يعتقدون به وما يفعلونه، حتى إنهم بدأوا يعبدون إلهين: الله والشيطان!!

وتضيف الصحفية قائلة: كنت أثور غضباً حين كنت أسمع اسم الله يدخل في كل صفقة تجارية، حتى ولو كانت صفقة

كوماندوس أمريكيين يستأجرون لحماية آل سعود!! حتى ليشعر المرء بأنه لم تكن لتعقد صفقات أسلحة بين آل سعود وأمريكا لو لم يكن الله حاضراً عقدها!!

وبالإضافة إلى مقامه الرفيع بين آل سعود، فان غسان شاكر هو السعودي الوحيد الذي سمح له بأن يشغل منصباً رسمياً لدى حكومة أجنبية، فهو المستشار الخاص لسلطان عُمان، كما أنه وكيل شركات سجاير رينولدز، وشركة طيران الشرق الأوسط وطيران إير فرانس، بالإضافة إلى شركة سيارات روڤر البريطانية، التي كانت على قائمة المقاطعة العربية حين تسلم وكالتها، بدوافع الحاجة طبعاً!!

يقول غسان شاكر إنه بدأ من الصفر، ولم يقدم له والده سوى إسم العائلة، وأمّن هو العلاقة الجيدة مع آل سعود، فهو على صلة قوية بهم جميعاً، خاصة مع وزير الخارجية الأمير سعود.

ولكن هناك «وسطاء» آخرين غير غسان شاكر لا يمكن حتى ذكر اسمائهم في مكاتب الأمراء الذين يعرفونهم ويقومون بأعمال الوساطة لحسابهم.

تقدم الصحفية مثلاً على ذلك حكايتها مع أحد كبار الأمراء الذي قطع لها وعداً بمقابلتها وتناول طعام الغذاء معها. لكنه أمير بالغ الأهمية، وغالباً ما تجده في المطار لاستقبال رئيس دولة أو

شخصية هامة، ولكن بانتظار الوفاء بالوعد، يحيل الأمير الكبير الصحفية على مساعد سعودي آخر له، أي أحد وسطائه الذي يدعوها إلى الغداء برفقة مدير «أعمال» الأمير. تقول الصحفية:

لنقل أن اسم ذلك الوسيط هو «محمد»، فقد يتعرض للإحراج إن أنا ذكرت اسمه، خاصة وأن السعوديين لن يعجبوا بقصتي هذه. بدأ محمد حياته راعياً للأغنام في قريته، ولكنه يملك الآن قطيعاً آخر، ليس من الأغنام، ولكن من سيارات الليموزين، بالإضافة إلى عدد غير محدد من الشركات. لم أستطع تصور خطوات صعوده من عالم رعي الأغنام إلى عالم أكبر وكيل للسيارات في الرياض.

«ولنقل ان اسم مضيفنا، ومدير أعمال الأمير هو عبدالله، الذي دعا إلى حفلة الغداء مجموعة من رجال الأعمال الأميريكيين الذين أتوا لمحاولة «الاتكاء» على محمد، ليعاونهم في «الاتكاء» على عبدالله، الذي يستطيع «الاتكاء» على الأمير لإعطاء موافقته على مشروع كبير يفكرون في تنفيذه في السعودية.

«سألني عبدالله وهو يحشو فمه بقطعة لحم ضأن كبيرة: ماذا كنت تتوقعين قبل أن تصلي إلى بلادنا؟».

وقبل أن تجيب الصحفية، ينادي عبدالله على أولاده، ثم يشير إلى عصا غليظة معلقة على باب غرفة نومه. قال إن العصا

معلقة هناك لاستخدامها في ضرب أطفاله. يقولها بتفاخر عات قاسٍ وبصوت يشبه صوت نباح الكلاب! ينفجر الأطفال في ضحك عالٍ مسموع.. ويضحك الأب وهو يقول: هل صدقت ما قلت؟ كيف يمكنني أن أضرب طفلاً لي؟! انظري إليهم!! ماذا؟ هل تظنينني وحشاً؟!

«عبدالله هذا يدير استثمارات الأمير المقدرة بمئات الملايين من الدولارات. ويجري توظيف هذه الاستثمارات في نفس القطاع من الحكومة الذي يسيطر عليه الأمير سيطرة كاملة (يتضح هنا أن الأمير المقصود هو الأمير عبدالله، وقطاع الحكومة هو الحرس الوطني!! والله أعلم!). بالطبع يحصل عبدالله على حصته من هذه العقود، وهذه هي الطريقة التي ينفخ فيها بعض الأمراء السعوديين جيوبهم بدون أن يكون لهم ضلع مباشر في عملية الاستثمارات نفسها».

تقول الصحفية: «لم أدرك مدى سرية علاقة الأمير بعبدالله هذا إلّا حينما ذهبت إلى مكتب الأمير الرسمي لأترك لعبدالله رسالة شكر على استضافته لي في منزله. فما أن رأى مدير المكتب الاسم حتى خيم صمت عميق، ثم اقترب مني وقال: أنا لم أسمع بهذا الاسم في حياتي!! لهذا لم أعد أستغرب استحالة لقائي بذلك الأمير خاصة!!

الامير فواز، أمير مكة دائماً سكران

في قصر الأمير عبد العزيز الثنيان، أمير الرياض وزوج لطيفة، ابنة الملك فيصل، تجلس الصحفية البريطانية حول مائدة الطعام السخية، تتحدث إلى العائلة. ومن طاولة الطعام، ينتقل الجميع إلى الشرفة المطلة على حوض السباحة الخاص بالقصر، وهناك تفتح لطيفة قلبها للصحفية البريطانية. لكن إحدى ابنتيها تتدخل في الموضوع لتشكو من الصورة التي يرسمها الغرب والأجانب عموماً للسعودية وعائلتها المالكة. تقول الابنة: إن أول سؤال يسأله الأجانب حين تكون في أوروبا هو: هل تعيشون في خيمة؟ تبرر الفتاة هذا السؤال بأن الأجانب لا يعرفون الكثير عن السعودية وعائلتها المالكة، ثم تشير بيدها إلى حوض السباحة ومعالم الترف المحيطة بها، وكأنها تقول: أنظروا!! نحن عندنا من مظاهر حياتكم الكثير!! ثم تشكو الابنة من الصحافة البريطانية التي تتحدث كثيراً عن قطع يد اللصوص في السعودية وتقول إن تلك الصحافة التي تُشهِّر ببلادها إلى هذا الحد لا تذكر أبداً أن إثبات تهمة السرقة تحتاج إلى شاهدين يضبطان السارق أثناء السرقة، وأن قطع اليد لا يتم إلّا بعد الإدانة الثالثة لنفس السارق. هنا تتدخل لطيفة لتسأل زوجها عن عدد حوادث القطع التي جرت مؤخراً، فيجيب زوجها: حادثتان خلال الأعوام الثلاثة الماضية.. في الرياض..

لكن لطيفة، كما تقول الصحفية، لم تسأل زوجها عن تعريف السارق في الاسلام. فالجواب واضح، أليس كذلك؟ والدليل على ذلك أن زوجها وكل أمراء آل سعود لم يتعرضوا لعقاب قطع اليد مرّة واحدة!! ولماذا تقطع أيديهم، إذا كان عدنان الخاشوقجي ما يزال سليم اليدين، واللسان أيضاً، وكذلك غسان شاكر وغياث فرعون، وغيرهم!!

ميزة الأميرة لطيفة أنها تعتني بأولادها، وهو ما لا تفعله معظم الأميرات الأخريات الأكثر خصوبة، حيث لا يلتقين بأولادهن إلّا نادراً. حتى إن ڤيكي كالدويل، مثلاً، وهي مربية (خيول) الأمراء، تلتقي بأطفال الأميرات، أكثر مما تفعل الأمهات أنفسهن.

من هي ڤيكي كالدويل؟ تقول الصحفية البريطانية إن ڤيكي كالدويل «غير موجودة رسمياً»؟! فقد ذهبت إلى السعودية للتدريس فيها قبل عدة سنوات، ثم بقيت هناك، وفجأة «ظهر» اسطبل الخيول. أشار عليها محام صار عضواً في الوزارة السعودية أن تقيم حظيرة خيول في الأرض التابعة لمنزلها الكبير، وأن تستخدم هذه الخيول لتدريب صغار آل سعود على ركوب الخيل!! وهكذا صارت ڤيكي محط أنظار الأمراء والأميرات الصغار، الذين يأتون إلى ڤيكي، ترافقهم مربياتهم الأوروبيات طبعاً!!

تسأل الصحفية ڤيكي: -

- هل تلعب أمهات هؤلاء الأطفال معهم؟

- وهل تمزحين؟؟ بعض الأمهات لا يرين أطفالهن في الأسبوع مرّة. خذي مثلاً زوجة الأمير سعود بن فيصل، وزير الخارجية، وأم هذه المجموعة من الأطفال أمامك. إنها إما نائمة، أو في قصر آخر من القصور: ولكنها أفضل من غيرها على كل حال، فهي لا تعيش على العقاقير والمخدرات إن هؤلاء يعشن حياة بائسة بالرغم من كل الأموال التي يملكنها.. صدقيني إذا قلت لك أني لن أرضى بأن أكون أميرة حتى ولو دفعت لي أجراً مقابل ذلك!

وماذا عن الأميرة السنية، الجميلة المصرية التي كانت تتمنى أن تكون أميرة منذ أن كانت تلعب بألعابها في منزل أهلها المتواضع في مصر. وتحقيقاً لهذا الأمل، فقد تزوجت فوزية، الأمير فوّاز، أمير منطقة مكة، وأحد إخوة الملك!

وحتى تعرفنا الصحفية البريطانية على الأميرة فوزية زوجة الأمير فواز، تنقلنا إلى شاليه أو قصر بحري على شاطىء بحر جدّة. صاحب الدعوة هو أحد أكبر أغنياء تجار جدة، وقد هيأ مأدبة فاخرة، مع كميات وافرة من أغلى أنواع المشروبات الكحولية. ولم لا والحفلة مقامة على شرف أكبر شخصيات

جدّة، ثم إن الأمير فواز وزوجته الأميرة فوزية سيحضران الحفلة ـ المأدبة، وهما نادراً ما يحضران حفلات «العوام» أمثال صاحب الدعوة الحالي!

أما المناسبة فهي توديع السفير السعودي الجديد في واشنطن . .

ما أن يصل الأمير فواز، ترافقه عيناه الناعستان وشارباه النائمان، وكتفاه الهابطتان، حتى يمسك بتلابيب زجاجة الويسكي تمسكه بالحياة نفسها. وتتساءل الصحفية وهي تراقبه يجرع الكأس بعد الأخرى: من أين أتته الشجاعة التي حملته على الذهاب إلى مصر عبد الناصر في قمة الصراع السعودي ـ المصري. ولكن الماضي راح وولّى، وفترة الحياة في مصر كانت «سقطة» و«هفوة» لا أقل من ذلك ولا أكثر. إن فواز، حسب رأي الصحفية، هو مثال حيّ على الأسلوب الذي يمتص به «معمل آل سعود» الخارجين على طاعة العائلة والناشزين فيها. كما يستمد الفواز القوّة المعنوية، كما يفعل هذه الليلة، من مصاحبة زجاجات الويسكي ليل نهار (مع أنه، باعتباره حاكم مكة، هو المسؤول الأول عن مصادرة المشروبات الروحية وإتلافها!!)، ومن مصاحبة آخر ذكرياته المصرية، أي زوجته الأميرة فوزية.

تملك الأميرة فوزية من خصائص الملوك والأمراء والأميرات ما يكفي لمقامها ومقام زوجها مجتمعين!! فهي تمارس دورها حتى آخر التفاصيل، فتندفع داخل الغرفة وهي ترتدي فستاناً من الشيفون الأبيض، وتاجاً من الشعر الأسود الفاحم، وتمد يداً كبيرة بضة بيضاء تربع على أحد أصابعها خاتم من الألماس الثمين، ليصافحها المصافحون.

وعندما تغادر الأميرة فوزية وزوجها الحفل في الساعة الثانية صباحاً، تترك وراءها ذكريات كتفين ملكيين كبيرين يحملان ثديين ملكيين كبيرين!

ذلك أن الأميرة فوزية لا تسمح لأحد بأن يغفل عن مراقبة ثدييها. خاصة حين تستقبل النساء في حفلها الأسبوعي، وفي قصرها وغرفة استقباله الفارهة التي تشبه غرف كبار نجمات السينما العالميات. كل ما حولها من مظاهر البذخ كانت تبدو وكأنها وضعت هناك لتذكرها وتؤكد لها بأنها أميرة!! فهي تكاد لا تصدق ذلك! صحيح أن ورق الجدران الذي يغطي جدران الغرفة يستحق أن يكون في غرفة الحمام، ولكن ذوق الأميرة الملكي قرر أنه أرفع مقاماً من الحمام، فوجد طريقه إلى غرفة الاستقبال! أما لماذا كانت الورود والأزاهير من البلاستيك، فهو سؤال لم تجرأ الصحفية على توجيهه للأميرة بالغة الملوكية!!

المهم أن الأميرة تندفع داخل الغرفة، فتحيي ضيفاتها ويبدأ الحديث عن ثدييها! وباعتبارها أميرة، فإن اهتماماتها الطبية تبلغ حدود الهوس، والمراجعات الطبية بخصوص ثدييها وكيفية الاعتناء بهما تستغرق مدة «الاستقبال». ربما تعتقد الأميرة أن الحديث عن دقائق تفاصيل الثديين اللذين كانا يملآن الغرفة لا بد أن يزيد تلك الغرفة سحراً وجمالاً. وهي تؤكد أن أكبر الاختصاصيين العالميين تحسسوا الثديين ودلكوهما وأثنوا عليهما. .

ولأن هذه الحياة تحتاج إلى نهر من الأموال، فإن الأمر لا بد من طرحه. لكن المشكلة محلولة والحمد لله. فالأمير فواز هو أمير مكة. وموسم الحج على أشده والأمير مشغول كثيراً هذه الأيام، لأنه يعمل خمس ساعات كل يوم، عافاه الله، في حين أن دوامه على مكتبه لا يتجاوز الساعتين يومياً في الحالات العادية.

وهكذا فإن مشاكل تأمين المال وتدفقه تبدو بعيدة كل البعد عن غرفة استقبال الأميرة فوزية والحديث عن نهديها.

ولأن الأميرة لا تنجب أطفالاً، ولأنها تحرص على الابتعاد عن «العوام» الذين لا ينتمون إلى العائلة المالكة مثلما تنتمي هي فإنها وحيدة غالباً، ولا تزور أحداً.

وتحمد الصحفية ربها على أنها لم تضطر للقاء بالأميرة

فوزية مرّة أخرى أثناء فترة وجودها في السعودية.

الشيخ زكي اليماني.. شيخ عصري جداً

لم ينسى الشيخ زكي اليماني أبداً ما تقوله الصحف الغربية عنه. لا قبل عزله ولا بعده. قالت عنه إنه «دون جوان» محترف، لا يسافر من بلد إلى آخر إلّا برفقة فرقة من راقصات هز البطن، ونادراً ما يصطحب في رحلاته زوجته (التي انفصل عنها منذ فترة طويلة، وتزوج بأخرى أصغر منها سناً)، وقالت عنه أيضاً إنه لا يشعر بالأمان إلّا داخل السعودية. بينما لا يعيش أجواءه المفضلة عنده إلّا حين يكون في أوروبا وأمريكا.

استقبل زكي اليماني الصحفية البريطانية في منزله في الرياض، ثم أخذها معه، وأخذ زوجته الجديدة أيضاً، إلى حفلة مختلطة هناك. تقول الصحفية في وصفها للحفلة: ـ

حتى يمكن للمرء أن يصف الصدمة التي يلقاها من أي تجمع «للزمرة»، لا بد من انعطافة قصيرة نحو الماضي. كانت وزارة الإعلام السعودية قد رعت عرضاً حافلاً لمعرض عن «المملكة الغربية السعودية».. قطعت الصور النسائية من معروضات الفيلم حتى لم يبق سوى صورة امرأة واحدة غطت وجهها بقناع سميك جداً، حتى بدت ككيس توضع فيه الثياب قبل غسلها. ففي هذه العاصمة لا تكاد ترى امرأة واحدة في

الشوارع. وكنت افترض أن تحت هذا السواد القبيح يقبع قبح أكثر بشاعة، وأن النساء غير المحجبات اللواتي التقيت بهن كن حالات استثنائية..

إلى أن اصطحبني زكي اليماني إلى تلك الحفلة في الرياض.

فقد دخلت غرفة الجلوس في البيت الصغير، فوجدته يتألق بالنساء الجميلات اللواتي احترقت عيناي من رؤيتهن مجتمعات في مكان واحد. كن يرتدين أجمل الفساتين التي يمكن لأوروبا أن تبتكرها. ولم يكن هناك واحدة منهن لم تغطي المساحيق وجهها، ولولا وجود «أثواب» الرجال وأغطية رؤوسهم لكنت ظننت نفسي في أي مكان في هذا العالم تجتمع فيه النساء الثريات لابسات أحلى الثياب وآنقها!!

اللقاءات المختلطة ظاهرة جديدة في الرياض، وما يزال الخجل يعتري مرتاديها فتحتار النساء كيف تحدث الرجال، والعكس صحيح. هذا الخجل له قوّة تأثير هائلة جعلتني أن أشعر بالحرج من التحدث إلى الرجال بعد أن حضرت عدة حفلات من هذا النوع. والإحساس الجنسي يملأ جوها ويطغي على كل ما يحدث فيها بالرغم من عدم الاعتراف به والحديث عنه.

كان الخاضرون زهاء أربعين. . والحر شديد رغم وجود مكيفات الهواء، ولكن مجرد رؤية كاحل امرأة هنا قد يثير الرغبة الجنسية. . فلا ترى كاحلاً أبداً.

وتجلس النساء مع بعضهن ويبدأن الحديث والتدخين بلا انقطاع، بينما يتجمع الرجال في غرفة مجاورة للعب «البردج».

وفي زاوية من زوايا الغرفة يجلس رجل هادىء مسالم، هو الجنرال زهير، أحد كبار ضباط قيادة الجو السعودي، والمعروف، مع ضابط سعودي آخر، لدى شركة نوثروب، حيث ظل يتراسل معها بالشيفرة مدة من الزمن للحصول على عمولته منها والبالغة حوالي ٢٥٠٠٠٠ جنيه (عام ١٩٧٣؟!) من عقود صفقات الطائرات المقاتلة التي عقدتها الشركة مع السعودية.

جلست أتحدث إلى هذا الرجل بالغ اللطف والهدوء، فانضم إلينا الدكتور هشام عبد الغفار، معاون وزير الصحة، وطبيب الأسنان المعروف.

هشام متزوج من الشريفة فاطمة منديلي، التي اتخذت لها مثلاً أعلى في المظهر والأناقة جاكي أوناسيس كنيدي. كانت أول مدرسة أنثى تعمل في جامعة الرياض، وأول مذيعة سعودية، وهي من السلالة الهاشمية. . . وهذا أول ما يذكر عنها حين يذكرها الآخرون، ويذكرون أيضاً الطريقة التي جذبت

بواسطتها اهتمام إدوارد كنيذي بها حين زار الرياض. ويقولون أيضاً إنها «رجل العائلة»، فهي التي تأمر وتنهي في منزلها.

ثم تقع عيناي على ألميرا ناظر، البالغة من العمر خمسة وعشرين عاماً، أما زوجها فهو منافس اليماني الخطير، هشام الناظر، الذي كان يسعى في تلك الأيام لكسب حظوة آل سعود. أما مؤهلاته فهي انتماؤه إلى كلية فكتوريا في القاهرة، وهي المدرسة الانكليزية الداخلية التي كانت تخرج الملوك والوزراء ورؤساء الجمهوريات الذين سيحكمون البلاد العربية في المستقبل. وكان من الطبيعي أن يستدعي الناظر مستشاريه من أمريكا وأوروبا، وأحياناً مصر، لمساعدته في وضع خطط التنمية التي كان يقدمها للحكومة السعودية، والتي كانت غالباً ما ترفضها، كما رفضت خطة عام ١٩٧٦.

وعندما وضع الطعام على الموائد، شعرت بأنني لم أشاهد في حياتي كميات من الطعام توضع على مائدة واحدة كتلك الكميات التي كوموها من أجل عشاء «صغير» فالخرفان المحشية، والدجاج، والخضروات، والكباب كانت تكفي لإطعام عدة مئات من الناس.

ويرتب لي قبل الانصراف من الحفلة، موعد مع زوجة زكي اليماني، فهي مفتاح أسراره. اتفقنا على قضاء يوم كامل

معاً، ولكن ذلك اليوم لم يبدأ إلّا بعد العصر، لأن «تمام» لا تنهض من فراشها قبل ذلك الوقت.

«لم تستطع تمام أن تقرر ما ستملأ به وقتها اليوم، أو ما بقي من هذا اليوم. تقلب كتب مكتبتها فتجد كتباً عن التنجيم (قراءة الحظ) والتاريخ وأوضاع العلاقات الجنسية الحديثة العصرية، مع الصور الملونة طبعاً. وهناك كتب الفلسفة أيضاً، ولكن تمام لا تشعر بالميل إلى القراءة اليوم، فتنتقل إلى مكتبة أشرطة الڤيديو، وخاصة أفلامها المفضلة مثل: هناك فتاة في حسائي!». وأيضاً تفشل الأفلام في اجتذابتها، فقد شاهدتها عدة مرات. ولأن الرياض هي دون مستوى ذوق تمام في عالم التبضع من الأسواق، فلن تذهب للتبضع أيضاً. ماذا بقي إذن؟ نعم: تقديم النصائح للصحفية البريطانية حول الحياة ومتطلبات المقامات. تقول تمام: -

«أنا امرأة عصرية تماماً وأريدك أن تدركي ذلك تماماً. من رأيي أن الفتاة، كل فتاة، يجب أن تتعرف على شاب، وأن تتناول القهوة معه.. وأشياء أخرى. ولكن ليس أكثر من ذلك... هل فهمت ما أقصد؟ كل رجل، مهما علت ثقافته، يريد أن يتزوج بفتاة عذراء. إذا تحقق هذا الشرط، فلن يكون صعباً على المرأة العربية أن تحتفظ بزوجها.. أنتم.. في الغرب.. أقصد نساء الغرب، نسيتنَّ هذا الفنّ منذ «زمن

بعيد. . . لي صديقة جميلة، التحقت بمدرسة في أمريكا، فتوقفت عن وضع المساحيق. وقد جاء زوجها لعندي مرّة وطلب مني أن أعلمها طريقة استعمالها. هي لا تبدو امرأة بدون المساحيق. . هل تفهمين قصدي؟ أرى أنك أنت أيضاً لا تستعملين المساحيق؟».

تقول الصحفية:

«وهكذا أمضيت اليوم أنهل من نصائح تمام وخبرتها ومشورتها. وفي التاسعة تماماً، تركتني لكي تهيىء نفسها لزوجها. استغرق ذلك ساعة كاملة. . . ولم لا. . . وهي القائلة إن المرأة العربية تعرف بالغريزة كيف تقوم بالعمل المناسب لإرضاء زوجها».

«وما أن يدخل الشيخ زكي، حتى تتحول «تمام» إلى «لوليتا»، فتبدأ بمداعبته ومغازلته وإثارته جنسياً بحضوري! وسرعان ما تحوله إلى حمل مطيع. . وتستمر المغازلة والإغواء الفاضح، ثم الضحك ومصّ الشفاه لجذب انتباهه. . ». ولكن العشاء يعلن أنه جاهز، فيقطع حبل الغرام، ولا تتوانى الصحفية عن الإعراب عن أسفها لتوقف المشهد الجميل.

يسألها زكي اليماني، بين لقمتين شهيتين: ـ

ـ ماذا سيكون شعورك لو وجدت يوماً بأن عليك أن تعيشي

في هذا البلد؟

ثم تجيب الصحفية.

- لا أحب أن أكون غريبة في بلد كله غرابة وغرائب.. فقد أختنق وأموت قهراً..

لم يجب الشيخ زكي اليماني، وانتهى العشاء ليبدأ غزله مع زوجته، ومع طلوع الفجر، تتركهما الصحفية وتذهب إلى غرفتها، فزكي يسكن في جناح في نفس الفندق الذي تنزل فيه الصحفية البريطانية، وهو منزله الوحيد في الرياض.



اليهود .. وآل سعود!!

غياث فرعون . . وامبراطوريته اليهودية في أمريكا

لم يكن الدكتور غري هو الغربي الوحيد الذي أدرك أن آل سعود، رغم أنهم رسمياً في حالة حرب مع إسرائيل، يريدون أن يتخلصوا من مأزق التعامل مع اليهود بأي شكل من الأشكال. فالموقف السعودي من اليهود، كما تراه الصحفية البريطانية، يتمثل في موقف السفير السعودي السابق في واشنطن، عبدالله علي رضا، حين يكون خارج إطار مهامه الرسمية. فعبدالله يترأس شركة آل علي رضا التجارية الضخمة، وهو ـ أو شركته ـ وكيل مؤسسة هاري ونستون في السعودية (مؤسسة هاري ونستون، كما سبق وذكرنا، هي أكبر شركة يهودية لصناعة المجوهرات).

وكما هو معروف، فإن عائلة علي رضا كانت مقربة جداً للملك فيصل، وما تزال تحتل موقعها الهام لدى العائلة المالكة.

ولم يقتصر الأمر على التعامل مع اليهود في الخارج.

بل إن آل سعود سمحوا لليهود بالعمل في منشآة آرامكو

داخل السعودية نفسها، كما سمحوا لهم بالعمل في شركات أخرى داخل السعودية. وما يزالون يفعلون ذلك، رغم أن الأمر يجري بسرية تامة، مع الحرص على إعطاء مثل هذا الإذن لشركات «موثوقة تماماً». إلى أن وقعت الواقعة، فقد أخبر أحد كبار المسؤولين في آرامكو الصحفية ليندا بلاند فورد أن عدداً من اليهود الذين كانوا يعملون في آرامكو كانوا على صلة مباشرة بالمخابرات الإسرائيلية. لم تفعل الحكومة أي شيء ضدهم، وكل ما جرى هو أن الجواسيس الإسرائيليين غادروا السعودية بهدوء، و«لفلفت» الحكومتان السعودية والأميريكية المسألة بدون ضجيج. إلّا أن آل سعود صاروا أكثر حرصاً بعد ذلك في اختيار العناصر اليهودية التي يتعاملون معها، وصاروا يطلبون معلومات من أجهزة الاستخبارات الأميريكية للتأكد من أن اليهودي ليس صهيونياً نشطاً أو معروفاً على الأقل.

أما موقف آل سعود من النزاع العربي ـ الإسرائيلي، فقد اكتشفت الصحفية، كما اكتشف الدكتور غري، أنه موقف تمثيلي بحت، يهدف إلى احتواء حركة المقاومة الفلسطينية وافسادها بالمال، لإبعادها عن العمل الثوري الصادق. وقد أبلغ مسؤولون سعوديون رسميون تلك الصحفية بأن معاهدة كامب ديفيد ما كانت لتتم أو حتى تظهر إلى حيز الوجود لولا دعم آل سعود وتأييدهم، فلم يكن السادات ليجرأ على القيام بمثل تلك الخطوة

لو لم يكونوا خلفه دعماً وتشجيعاً، ولكن مكافأة أمريكا لآل سعود على هذا الانجاز لم تكن بحجم توقعاتهم، فقد ظلت الصحف والكونغرس يتحدثان عن الرشوات والفساد في السعودية، وظلت تتحدث عن معاملة آل سعود «غير العادلة» لليهود.

وتؤكد الصحفية أن معظم رجال الأعمال السعوديين متضايقون ومستاؤون جداً من ضغط الدعاية الفلسطينية التي تجبرهم أحياناً على الالتزام بقرارات المقاطعة العربية.

أما غيث فرعون فلا يأبه لهذه الاعتبارات أبداً، ويرفض طرد موظفيه الصهيونيين من مجموعة المصارف التي يملكها في أمريكا، ويقول ضاحكاً: أنا أطردهم؟! لو فعلت ذلك لخسرت أفضل موظفيّ على الإطلاق.

نساء الأغنياء

ولم تقل اكتشافات ليندا فورد أهمية عن اكتشافات الدكتور غري في مجال حياة نساء «علية القوم» في السعودية.

إن الوحدة والعزلة التي تعاني منها تلك النساء، خاصة المطلقات منهن، هي أشبه ما تكون بعزلة الصحراء، حيث يترك المرضى يموتون وحيدين فيها.

في إحدى الحفلات التي تقيمها نساء الأمراء وعلية القوم من

آل سعـود، لنفض غبـار الملل والـوحـدة، وللتغـزل ببعضهن البعض، بلغة وتعابير وحركات تظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنه هنـاك علاقـات شذوذ جنسي بينهن، التقت لينـدا بلانـد فـورد بـ «عائشة». تقول ليندا: ـ

«كانت عائشة تبدو وكأنها تملك كل شيء: المال، والسلطة، والزوج والأطفال.. بعد الحفلة التقيت بها وهي تسير وحيدة... سرنا سوية لعدة ساعات.. قالت عائشة: أنا على استعداد لكي أهب أي شيء لمن يخلصني من هذا الزوج.. أريد أن أتركه.. ولكنه لن يسمح لي بمشاهدة أطفالي، والقانون في جانبـه. إنني أكرهه... كنت عذراء حين تزوجني، وكنت أتوقعه أن يعلمني بعض الأشيـاء.. ولكن شيئاً من ذلـك لم يحـدث... في ليلتنـا الأولى.. ألقى بنفسـه علـيّ.. وانتهى كـل شيء في دقيقـة أو دقيقتين... علمت فيما بعد أنه ينام مع نساء أخريات، مرتين وثلاث وأربع مرات في الأسبوع، أما دوري فلم يكن يتجاوز المرة أو المرتين في الشهر... وحين رجوته أن يعـاملني كواحـدة من عشيقاته على الأقل.. صرخ في وجهي، ووصفني بأنني عاهرة!! تصوري أنه يرسل خليـلاته للتعـرف علي والتعـرف على مـدى جمالي... من باب الاحترام كما يقول!!».

«ولهذا فإن معظم نساء الطبقات العليـا والغنية جـداً في المجتمع السعودي يعانين من الإحباط الجنسي...».

ثم تلتقي الصحفية بسعودية أخرى، أطلقت عليها اسم نادية».

قالت نادية إن الحديث عن الزنى والاعتراف به يحتاج إلى ثقة كبيرة بمن نتحدث إليه. ولكنها اعترفت للصحفية بأنها تزني ولكن في أوروبا. اشتكت بمرارة من علاقاتها بالرجال السعوديين، الذين يسارعون إلى الاغتسال بعد العملية الجنسية مباشرة.. ثم قالت: لن أنسى المرة الأولى التي عاشرت فيها أوروبياً، ثم بقي يضمني ويشد علي بعد انتهاء العملية الجنسية، فقد شعرت بأنني أقرب إليه من زوجي، لا لشيء إلّا لأنه ضمني وأشعرني بالحنان بعد العملية... ولهذا فأنا أذهب إلى أوروبا أو أتظاهر بأنني إيطالية، وأختار من أشاء من الرجال لأنام معهم.. فأنا بحاجة إلى الجنس، رغم كل المخاطر المحتملة...

والجنس هام جداً في حياة نساء الأمراء والأغنياء السعوديين، لأن حياتهن تفتقد إلى أي شيء آخر يفكرن به أو يفعلنه.. حتى أكثر الرجال ثقافة وتفهماً يتركون زوجاتهم في حالة إحباط دائم بسبب اهتماماتهم الأخرى.. ولأنهم لا يشاركوهن في اهتماماتهم ومشاغلهم وتفكيرهم.. إلّا حين يذهب الأزواج والزوجات إلى لندن.. هناك ينقلب الرجل السعودي إلى رجل متفهم، ويعامل زوجته كما تحب.. وما أن يعودا إلى السعودية حتى يعود الزوج إلى ما كان عليه!

وتلتقي ليندا بامرأة غنية أخرى، أطلقت عليها اسم «تنسيم». قالت تنسيم:

«إن شعوبكم تحسدنا لأننا أغنياء جداً. لكننا لسنا أغنياء. فنحن لا نستطيع حتى تثقيف أولادنا وتعليمهم تعليماً لائقاً هنا. نحن شعب له كتابه «قرآنه» ولسنا شعب صرافي عملة!! فأنا محرم علي الذهاب إلى مدرسة أولادي لمناقشة مشاكلهم مع مدرسيهم. أما زوجي.. فلا وقت لديه حتى لمشاهدة الأولاد!! أنا على استعداد للانتظار طويلاً حتى تتغير الأحوال نحو الأفضل بالنسبة لي، ولكني غير مستعدة للتضحية بمستقبل أولادي...

هذه المرأة تحنُّ إلى لمسة حنان وحب من زوجها، ولكنها نادراً ما تحصل عليها، فزوجها يفاخر الآخرين بعدد خليلاته من الممرضات ومضيفات الطائرات!!

أما الممرضات المتعاقدات للعمل في السعودية، فأمامهن ثلاث خيارات: إما أن يكنّ منطقيات، حسب رأي ليندا، ويبحثن عن أصدقاء رجال من الأوروبيين، أو يعشن وحيدات ويجتهدن لتحصيل أكبر مبلغ من المال قبل أن يعدن إلى بلادهنّ، أو يكسبن «أجوراً إضافية» من النوم مع الرجال السعوديين. هذا النوع الثالث من الممرضات هو الذي يؤكد قناعات السعوديين بأن النساء الأوروبيات عاهرات يسهل الوصول إليهن.

جدة ... باريس السعودية

هذا هو الوصف الذي يطلقه البعض على مدينة جدّة، وقد تأكد للصحفية البريطانية ذلك حين اكتشفت أنَّ النساء هناك يرتدين التنانير القصيرة، ولكن ما عدا ذلك كان مأساة حقيقية. تقول الصحفية.

«. . . هذه الباريس السعودية مشلولة تماماً. تقول الإشاعات إن هناك جهازاً لإزالة القمامة وتنظيف المدينة، لكن معظم سكانها يعتمدون على الماعز والكلاب، بدلاً من عمال التنظيفات، لإزالة أكوام القمامة من الشوارع والمنازل. وهناك تعبير شائع في جدّة، يقول: اليوم هو دور الغرب، وليس المقصود بذلك هو رياح الغرب. . . بل المقصود هو مقسم الهاتف في القسم الغربي من جدّة، الذي قطعت خطوطه بكاملها، أو نزلت عليه فأس عامل ما. فربع الخطوط الهاتفية في جدة تكون معطلة دفعة واحدة في أغلب الأحيان. .

«وقد استطاع كبار تجار المدينة الالتفاف حول هذه المسألة،

خاصة بالنسبة للمكالمات الدولية، التي يستغرق الحصول عليها أربعة أيام إذا كانت مع لندن، وستة أيام إذا كانت مع نيويورك. فهم على علاقة شخصية مع عمال المقاسم الدولية. ويأتي هؤلاء العمال بمشاكلهم إلى التجار، وأهمها المشاكل المالية طبعاً، فيسارع التجار إلى حلها، وتتم الاتصالات الخارجية على الفور!! وجدة كلها، رغم كبر حجمها، تعمل على أسس العلاقات الشخصية البحتة. سألت أحد الأمراء - التجار الذي يـدير استثماراته من لوكسمبرغ الآن، لماذا لا يدير أعمالـه من أوروبا بشكـل دائم. فأجاب: أشعر بأنني وحيد مجهول في أوروبا... وأفضل العمل في جدّة، حيث يعرفني الناس، بالرغم من سوء أحوال المقاسم الهاتفية. لا تذكري اسمي، لأنه لا يجوز لي أن أنتقد الحكومة... وآل سعود لا يجوز انتقادهم..

وهذا يعني أن الرسائل الشفهية هي وسيلة الاتصال الوحيدة في جدة في أغلب الأحيان، وهذا مما يزيد من حركة السير على الطرقات زيادة نحيفة، يزيد من صعوبتها أن الشوارع بلا أسماء، وخدمات البريد معدومة، باستثناء صناديق بريـدية غـير آمنة، والمـدينة عـديمة التخـطيط إجمالاً... فهي مـدينة من العصـور الوسطى!

لكن الأربـاح هائلة في جـدّة، خـاصـة أربـاح المتعهـدين الأجانب، لذلك يطرقون أبوابها باستمرار رغم مآسيها. والأرباح

من الضخامة بحيث أن أحد مساعدي أحد كبار الأمراء، والذي كان قبل بضع سنوات يعمل «قوّاداً» في باريس، يحصل، مثلاً، على «عمولة» قدرها ١٠٠٠٠٠ ريال للحصول على توقيع سيده الأمير على عقد يحضره أجنبي. كان هذا مبلغاً مقبولاً قبل عدة أعوام، أما الآن، فإن نفس «القوّاد» يفكر مرتين قبل أخذ توقيع سيده على العقد إذا كانت عمولته هو تقل عن المليون ريال!! هذا ليس خيالاً إنه حقائق حدّث القواد الصحفية عنها!

جدّة... وحفلاتها الصاخبة الدائمة

حين يتحدث كويتي أو بحراني عن استمرار الفصل بين مجتمع «الحريم» ومجتمع الرجال، فإنه يقولها لتسجيل موقف لا أكثر ولا أقل. أما حينما يتحدث سعودي عن ذلك، فإنه يعني ما يقول. في الكويت والبحرين، ترك الاستعمار الطويل آثاراً اجتماعية دائمة، والأجانب وجدوا هناك منذ أمد طويل، مما أدى إلى اضمحلال التقاليد وانمحائها تدريجياً. أما الوهابية السعودية فما تزال تضيق الخناق على حرية الإنسان وحياته.

لن تجد مكاناً في العالم يمارس فيه الإنسان حياتين متناقضتين تماماً كما تجد في السعودية خذ مثلاً الحكم الملكي المطلق، فقليلة هي البلدان التي ما يزال فيها مثل هذا الحكم قائماً حتى الآن، والسعودية هي واحدة من تلك البلدان القليلة. وأنت ترى النفاق

واضحاً في ازدواجية إدارة دفة حكم البلاد، هذه الإزدواجية المنافقة هي أكثر ما تكون ظهوراً في جدّة، بحيث لم يعد مثقفوها يقبلون بما أطلق عليه «أسلوب الحياة السعودية».

فما هو أسلوب الحياة السعودي هذا؟ هل هو «شلل» الرجال والنساء وهي قليلة في الرياض كثيرة جداً في جدة، الذين يسهرون ويرقصون ويسمرون مع بعض؟

لنتحدث عن «شلل» الكبار في جدّة: الأمراء والتجار وكبار الأغنياء. هناك شلة ينتمي إليها مأمون تامر وزوجته ليتا. مأمون يملك أكبر سلسلة صيدليات ومخازن أدوات تجميل في جدة. تكفي نظرة واحدة إلى منزله لتقنع المشاهد بأن هذا الرجل يملك الملايين. ولم لا، وكل النساء يصبغن جلودهن ووجوههن بأغلى ما في العالم من مساحيق وعطور. تقول ليندا: -

«حين كنت أسلم على من في غرفة الاستقبال في منزل مأمون، شعرت وكأنني كلب أطلق له العنان في حديقة عامة. فأتنقل من رائحة عطرة إلى أخرى... جوي.. لاير.. تيمب وكاليشي وغيرها.. وأنظر إلى حوض السباحة عبر النافذة فأرى خميلة رائعة من الجنان الخضراء تحيط بالبركة الكبيرة الزرقاء.. في جدة.. يبدو صاحب المليون دولار فقيراً جداً..

وخلافاً لما تشاهده في الرياض، فإن نساء جدة الثريات

يرتدين الفساتين الشفافة الناعمة، والقصيرة، وأحياناً تكون قصيرة إلى حد لا تظن معه إلاّ أنك في لندن!!

تشير أمرأة إلى امرأة من عائلة علي رضا، تلك العائلة التي حصلت على وكالة هاري ونستون اليهودي، فتقول لليندا: لا بدّ أنه يطير فرحاً، وقد علمت أن هاري ونستون باع في أسبوع واحد ما قيمته ستة ملايين ريال من المجوهرات، هنا (في جدة) وفي الرياض..

أما الويسكي فحدث ولا حرج.. فهو يفيض هنا كالأنهر الجارفة. فالمسكرات تعتبر أمراً طبيعياً في جدة؛ والناس تسهر صاخبة؛ رجالاً ونساءً، ويشربون ويطربون بدون قيود. تسترق ليندا السمع في زاوية من زوايا الغرفة الواسعة، فتسمع امرأة تتحدث لأخرى عن امرأة ثالثة تزني مع رجل في لندن، ولكن لا تسمع شيئاً عن من تزني مع من هنا في جدة!! لأنك في جدة، والناس بحاجة إلى بعضهم البعض ليتكتموا على أسرار بعضهم البعض!

وتقترب امرأة أخرى من الصحفية البريطانية لتحدثها عن الخليجيين الذين يخربون لندن؟! وتضيف قائلة إنها شخصياً تنزل في فندق الدورشستر حين تكون في لندن، لكن الخليجيين ينزلون في فندق غروفز هاوس، لذلك تضطر الإدارة إلى تبديل ورق

الجدران بعد رحيلهم!! إن هذا لأمر مشين حقاً!! هؤلاء النسوة الخليجيات اللواتي يجلسن في بهو الفندق وهن يرتـدين الملاءات السوداء التي تغطيهن من القـدم حتى قمة الـرأس، يحيط بكل واحدة منهن دستة من الأطفال نصف العراة!! وحين يرحل هؤلاء عن الفندق، يبدو وكأن جراداً قد غزاه ثم رحل عنه!

هذه أهم مواضيع البحث التي تتناولها أحاديث أغنياء جدّة.

أما حديث الطب والتداوي، فلنيس أقـل تشويقـاً مما رواه الدكتور غري في كتابه: تقول إحدى سيدات المجتمع الجدّاوي الراقي: -

أزواجنا يتظاهرون بالصحـة والفحولـة، إلى أن ترفضهم مضيفة جوية، ثم ثانية، ثم ثالثة، بعدها يهرعون إلى العيادات الطبية والجنسية في هارلي ستريت في لندن.

والنساء من علية القوم في جدة يخرجن إلى السهرات مـع أزواجهن، خلافاً لما هو عليه الحال في الرياض. كما أنهن ألغين الحجاب منذ زمن طويل، ولم يبق من التقـاليد والـتراث إلّا ما يعشعش في عادات وأذهان المسنين من أهل المدينة.

أغلب الـزوجـات في المجتمـع السعـودي، الجـدّاوي من الأجنبيات، فليتا تامر يونانية وما تزال متمسكة بدينها المسيحي.. وعائلة علي رضا، رغم أن منها سفراء وأصحاب بنوك وأصدقاء

لابن سعود ثم لفيصل، فإن الجدّاويين ما يزالون يصفونها بأنها «بلا أصول». وكل ما في الأمر أن العائلة جاءت من إيران قبل عدة أجيال، ولكنها جدّاوية الأصل، كانت قد رحلت من جدة إلى إيران ثم عادت إليها!! زوجة علي رضا الأولى كانت أميريكية، والثانية لبنانية، وتعيش حياتها على هواها بلا رقيب ولا حسيب، لا يحد من حريتها إلاّ ترفها والمقام العالي، فهي لا تقود سيارة، لأن هناك أسطولاً من السيارات يقوده جيش من السائقين ينتظر إشارة من أصبعها الرقيقة. وهي لا تعمل.. ولكنها تشغل نفسها بما يأتي بالسعادة والرضى إلى قلبها الرقيق!

وحين عين زوجها سفيراً للسعودية في واشنطن بكت المسكينة وحزنت لأن حياتها وحريتها التي تتمتع بها في جدة ستصبح مقيدة في واشنطن!! فلن تسمح الظروف هناك بطبع القبلات على الخدود، ولا بلف الذراع على الخصر كما يحدث في جدّة!

ولم يكن زكي اليماني أول سعودي يرسل ابنته لوحدها إلى كاليفورنيا للدراسة، ومعظم الرجال في جدة يختارون زوجات لبنانيات وأردنيات ومصريات ليتخلصوا من جحيم تقاليد العائلات السعودية.

وحين نسمع الضجة الكبرى التي أقامتها الصحف البريطانية ولم تقصدها حين شوهد وزير الاقتصاد السعودي وهو يشرب نخباً

مسكراً في أحد فنادق لندن، نكتشف أنها ضجة مفتعلة حقاً، لا مبرر لها، كما تقولُ الصحفية العارفة فالكل يشرب الويسكي في حفلات جدّة، هكذا علناً وبدون خوف!

تبدأ الوليمة، فترتب المواد حول بركة السباحة، وهناك تلتقي الصحفية بعبد العزيز سليمان. عبد العزيز في سن الرجولة المكتملة.. ذو عينين ناريتين، ورئيس لامبراطورية تجارية تحرك عدة مئات من ملايين الدولارات سنوياً. وعبد العزيز نجدي كان والده وزير مالية ابن سعود لفترة طويلة من الزمن، وهو الذي وقع اتفاقية النفط الأميريكية السعودية المشهورة عام ١٩٣٣. وعبد العزيز وضع عقوداً لبناء عدد من الفنادق الدولية (انتركونتننتال) الضخمة في جدة والظهران وجبيل والقاهرة. لكن قبل أن يبدأ الحديث تنضم زوجة عبد العزيز اللبنانية إلى الحلقة، وسرعان ما تنتهي الوليمة!

يعرض عبد العزيز سليمان وزوجته على الصحفية توصيلها بسيارته إلى فندقها، وعلى الطريق تشاهد الصحفية منزل عبد العزيز ذي العشرين غرفة، والمسور بأسوار عالية، تحيط به طرقات محفرة قذرة كريهة الرائحة، وأزقة ومنازل يميزها الفقر المدقع... وتتذكر ليندا الملايين من الدولارات فتشعر بأن الهواء مشبع برائحة ملايين الدولارات الحرام التي يجري «تصحيح تاريخها وسيرتها» في جدة.. فتنظف الدولارات ولكن تبقى رائحة

الحـرام العفنـة تعبق في هـواء جـدة، لا يخلو منهـا في ليـل أو نهار.

المخابرات والتعذيب

قـال الأمير «خليـل» وأصدقـاؤه من الأمراء في تلك الليلة الليلاء، إنه لا يوجد سجناء سياسيـون في السعوديـة. لكن ما علمته ليندا الصحيفة يؤكد أن خليـل وزمرتـه لم ينطقـوا بكلمة صدق واحدة.

تقول ليندا:ـ

«في الكويت التقيت برجـل أرسله رجل آخـر إليّ بعد أن أمضى أربعة أيام يقلب احتمالات الخطأ في الثقة بي. فقد التقى عبد العزيز معمر بي وأمضى معي ساعتين في محاولة للاطلاع على ما يجري في السعودية. كان يريد التحدث بأي ثمن. عيناه نصف ضريـرتين، وعقله مشـوش مضطرب، وكـان له منـظر حيـوان متوحش برّي كسر قفصه وخرج منه لتوه.

قضى معمر إثني عشر عاماً في زنزانة منفردة في الهفوف في السعودية. ثم اطلق الملك خالد سراحه. ولكن ظلمة الزنزانـة الحـالكـة تـركتـه شبـه أعمى، حيث بقي طـوال المـدة مكبـلاً بالسلاسل. . . لكن ماذا كانت جريمته؟ لا أحد يعلم، ويقـول

معمر إن أحداً لم يخبره بجريمته طوال فترة التوقيف. قالوا إنه يحمل «أفكاراً إصلاحية»، ولم يقل أحد إنه كان يتآمر على آل سعود، فما كان ليبقى على قيد الحياة لو كانت التهمة من ذلك النوع.

في عهد الملك سعود، كان معمر يشغل منصب السفير السعودي في سويسرا، وحين تسلم فيصل مقاليد الأمور، استدعاه من هناك وأمر بالقاء القبض عليه وزجه بالسجن بدون محاكمة. أخلي سبيله بلا مقدمات بعد موت فيصل.

قال معمر إنه كان يوجد في نفس السجن في الهفوف حوالي سبعين سجيناً مثله، وسجن الهفوف هو واحد من سجون المملكة العديدة. وقد اختفى معمر، كما ظهر، فجأة، ولم يترك في ذاكرة الصحفية البريطانية سوى صورة الألم والمعاناة. إن السنوات التي سرقت من حياة معمر هي قصة الوجه الآخر، الوجه السري، للسعودية. فجهازها السري له باع طويل في عالم القسوة الوحشية والقتل.

تقول ليندا:

«إن أجهزة الأمن هي جزء لا يتجزأ من طبيعة الحياة وأسلوبها في السعودية. غبي من يعتقد بأن مهام هذه الأجهزة تنحصر في فتح فجوات في الصحف اليومية، حيث تظهر كلمة «إسرائيل» أو صورة امرأة. صحيح أن هناك جيش جرار من

موظفي مراقبة الصحف والمطبوعات يقرأون كل شيء، لكن مهمة أجهزة الأمن تشمل مجالاً أوسع من ذلك بكثير، وتتراوح بين اختطاف رجال من أمثال معمر وبين مراقبة العمال القادمين من الخارج الذين قد يجلبون معهم أفكاراً تزعج آل سعود. ويحظى اليمنيون بأكبر نصيب من هذه المراقبة، فهم يجتازون الحدود ويحضرون إلى السعودية لبناء القصور والفيلات لأهلها، وربما يدفعهم فقرهم لتبني أفكاراً ثورية. وقد كان هذا الاحتمال موضع قلق عظيم لآل سعود، حتى إنهم استصدروا فتوى من علماء الدين الوهابيين للسماح بوضع صور النساء على جوازات السفر. وقد وافق علماء الدين الوهابيون على ذلك لأن آل سعود كانوا يخشون من تسلل الثوريين اليمنيين إلى السعودية متخفين بلباس النساء!! ثم إن آل سعود حلوا الأمر حلاً جذرياً، حين قرروا منع العمال اليمنيين من اصطحاب زوجاتهم إلى السعودية!!.

يستحيل معرفة أو تقدير عدد شبكة المخبرين في السعودية، ولكن ما لا يستحيل معرفته هو أن أي يمني يصبح موضع شبهة يطرد على الفور من البلاد. وقد ساهم هذا الأجراء بالإبقاء على «السعودية للسعوديين»، أو بالأحرى، لآل سعود!! آمنة مطمئنة، بين أيديهم، ونفطها يتدفق بأمان إلى بلدان الغرب!!

لكن التناقض السعودي الأكبر يكمن في حقيقة أن رئيس المخابرات السعودية والأمن القومي فيها لا تجري في عروقه قطرة

دم سعودية واحدة. إنها لمفارقة يصعب هضمها، ولكنها حقيقة واقعة.

فكمال أدهم ، الذي سيطر على أجهزة الأمن ردحاً طويلاً من الزمن ، هو مزيج ألباني - تركي - فكيف وصل إلى هذا المنصب الهام ؟ الجواب على ذلك هو أن كمال هذا هو أخو الملكة عفت، زوجة الملك فيصل . وخلال عهد فيصل كان كمال أقرب المقربين إلى الملك ، وحين تسلم الملك خالد الحكم ، حاول أعداء أدهم الإطاحة به ، ولكنهم فشلوا ، وظل متحصناً بمكانته القوية ، يدعمه في سلطته كل جهاز وكالة المخابرات المركزية الأميريكة .

وقد انضم كمال أدهم إلى شقيقته عفت بعد زواجها من فيصل مباشرة ، وربته كإبنها . فكيف إذن نستغرب وصوله إلى ذلك المركز الهام ؟

أهم مميزات شخصية كمال أدهم أنه متكتم شبحي ، يجول العالم دون أن يسمع به أحد .

ولكن يخطىء من يتصور أن رحلاته تتعلق بالمهام الأمنية والرسمية ، فلكمال أدهم امبراطورية تجارة وأعمال تمتد إلى مختلف أقطار العالم الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة والغرب ، كما يدير جزءاً كبيراً من ثورة الملك فيصل وزوجته .

أهم منجزات كمال أدهم كانت خطته لاغتيال جمال عبد الناصر في أواخر الخمسينات ، حيث قدم لعبد الحميد السراج ، رئيس المخابرات العسكرية السورية ، شيكاً بمبلغ مليوني جنيه لتنفيذ العملية . وقد استلم عبد الحميد السراج الشيك وسلمه لعبد الناصر !!

بعد عبد الناصر ، صار كمال أدهم صلة الوصل بين آل سعود وأنور السادات ، كما أن كمال يملك منظمة خاصة به في السعودية تتجاوز صلاحياتها كل المسؤولين الرسميين ، وله صلاحية اتخاذ القرار دون الرجوع إلى أحد . ومن جملة فروع منظمته محكمة الارتباط بالولايات المتحدة ، مؤسسة جريدة الشرق الأوسط ومطبوعاتها التي تصدر في لندن .

كمال أدهم يعيش خلف أسوار تبدو وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية ، أسوار أسرار تجمع بين الثراء الفاحش والغموض المقصود . حدائق قصره ملاعب دائمة الخضر ، يشرف على العناية بها فرقة « صاعقة » من اختصاصيين النباتات والأزهار . أما أرض القصر فرخام بديع ، وأما الجدران فبيضاء ناصعة ، والسجاجيد صينية تغطي ما لا يغطيه الرخام .

يجلس كمال في منزله مسمراً إلى جهاز الڤيديو الذي لا يتوقف عن العمل ، وبين حين وآخر يقترب من كمال أحد أعوانه ، ويهمس في أذنه شيئاً ما ، فلا يزيد كمال عن الابتسام الهادىء ،

إنه جزء من تركيا التي أنبتته ، يجمع بين مظاهر الأسد المريض المتلاشي الذي يراقب امبراطوريته الواسعة تتمزق وتتلاشى ، وبين المكر والدهاء والقسوة التي يحاول بواسطتها أن يبقى على ما تبقى من تلك الامبراطورية المتلاشية .

يدير كمال جهاز الفيديو ليعرض على الصحفية البريطانية فيلماً عن ابن أخته ، الذي قرر كمال أدهم دفعه إلى منصب وزير الخارجية السعودية بعد أن اكتشف فيه مواهب السياسي البارع . إنه الأمير سعود بن فيصل . بناءً على نصيحة كمال أدهم يظهر الأمير سعود على التلفزيون الأمريكي ، ليس في زيه الوطني ، ولكن في ثياب أوروبية أنيقة . يقول كمال إنه هو الذي درس شخصية سعود وقرر أنه « قطع نادر » يجب استغلاله ، وأن يستغل مظهره في تحسين صورة آل سعود ومملكتهم في عيون الغرب ، فكان أن أشار عليه بأن يظهر بالمظهر الذي يؤدي إلى تلك النتيجة ، وأن يرتدي الأزياء الغربية بالتالي . ولكن أدهم يشعر بخيبة الأمل والاستياء لأن الأمير سعود قرر إلقاء خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة باللغة العربية ، فجاذبيته تصبح أكبر بكثير حين يتحدث بالانكليزية ، خاصة وأن كمال هو الذي يضع ملامح الخطاب ويقرر محتوياته ، بعد استشارة رؤسائه في واشنطن !!

وينتهي شريط الفيديو بقصيدة مدح وإطراء يلقيها شاعر

البلاط كنعان الخطيب ، الذي كان حاضراً شخصياً أيضاً .
كنعان الخطيب كان له مقامه الرفيع عند الملك فيصل ، فهو الذي ربى خمسة من سفراء السعودية وثقفهم في الجامعة الأميركية في بيروت . وهو الذي اعتمده بول غيتي ، صاحب الملايين الذي لا يدري ما يفعل بها ، ليكون ممثله في جدّة ، وهو الذي أتى إليه آرستوتل أوناسيس يطلب منه مساعدته في الحصول على عقد لشحن كل نفط السعودية إلى الغرب ، ولكن وكالة المخابرات المركزية الأميركية اعترضت ، ففشل أوناسيس ! وهو الذي عمل شريكاً لمليونير النفط التكساسي الأميركي هـ . ل . هنث قبل أن يأمره آل سعود بالعودة إلى السعودية والعمل في خدمة فيصل ، حيث بقي معه حتى وفاته . أما عمله مع الملك فيصل فكان مهمة . . شاعر البلاط !! ومهام أخرى . . قال للصحفية البريطانية أنه قرأ كتب كارل ماركس ، لا لشيء سوى للتعرف على مركب النقص في شخصية ماركس !

وتنتقل الصحفية البارعة إلى « رجل الأعمال » فؤاد رزق ، الذي كان ضيف كمال أدهم في ذلك المساء . فؤاد رزق لبناني ناعم جداً وثري إلى أبعد حدود الثراء ، ويعرف كيف يقبل الأيدي بلباقة المحترف ، وكيف ينظر إلى كمال أدهم كما ينظر حاجب المدير إلى مديره . ثم تنتقل ليندا إلى ڤيليب تراد ، وهو صديق آخر لكمال كان حاضراً . إن ڤيليب يبدو بالغ الأهمية حين

يكون بعيداً عن الحضرة **الأدهمية** ، ولكنه الآن يقوم بدور مقدم المسكرات على البار !

أما محمد العشماوي ، أحد أعوان كمال أدهم غير البارزين ، فهو وكيل سيارات رولز رويس وستتذ، أغلى سيارة في العالم . محمد العشماوي لا يبيع سيارات ستتذ المغطاة بالذهب ، ولكنه يقدمها هدايا لأبناء الملك خالد . .

وتعود الصحفية إلى شاعر البلاط ، كنعان الخطيب . تسأله عن منزله ، فيقول لها إنه أجره مؤخراً ألى إحدى السفارات . الأجرة السنوية كانت ١٧٥٠٠٠ريال ، ولكنه نادم على ذلك ، فقد ارتفع الأجر إلى ٢٥٠٠٠٠ريال بعد بضعة أشهر .

هذا عن أمور كنعان الخطيب المالية ، أما محمد العشماوي ، فأوضاعه المالية أفضل قليلاً . محمد العشماوي يقرض الأفلام وأشرطة الفيديو ، التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع السعودي ، وخاصة الجداوي . إنه يملك مكتبة هائلة من أشرطة الفيديو ، وهناك تلتقي **الصحفية** به ، فتجد عنده مضيفة جوية « غير محددة الهوية » . تشعر الصحفية أنها وصلت في وقت غير مناسب !! ولكن محمد العشماوي سرعان ما يأخذها إلى بيته ، مع المضيفة الجوية ، لتعريفها على زوجته الألمانية وأطفاله ، ودعوتها إلى وجبة من الخواريف المحشية .

محمد العشماوي لا يحب الكلاب ، فهي محرمة في الاسلام ، حسبما قال للصحفية ، ولكن زوجته تحب الكلاب ، وقد أحضرت معها كلباً من بلادها .

تقول ليندا ، صحيح أن الاسلام يمنع المسلمين من اقتناء الكلاب ، ولكنه يمنعهم أيضاً من لبس الحلي الذهبية والساعات والأزرار الذهبية . يبدو أن كل إنسان في جدة يملك مجموعة من الساعات الذهبية ، لا ساعة واحدة ، أما العشماوي فيملك منها ما يكفي لفتح مخزن بكامله !! فمن قال أن محمد العشماوي سيكتفي بوكالتي سيارات ومكتبة لتأجير الأفلام ؟! لا . . لم يكتف بذلك ، فإمبراطوريته الخفية المليئة بعجائب الصفقات كبيرة بقدر ما هي غامضة مبهمة .

خذ مثلاً عقده مع مطار جدة . فهو يزود بالوقود نصف عدد الطائرات التي تهبط هناك ، وهذه كمية تصل في موسم الحج إلى مليون غالون يومياً . أما سبب اكتفائه بتزويد نصف طائرات المطار في جدة فهو أنه يملك امتياز شركة شل فقط ، بينما يملك « امبراطور آخر » امتياز شركة موبيل . هذا العقد فقط يزوده بما يكفي من المال لفتح بيوت في ميونيخ وبيروت ، وأربعة قصور في جدة . أما مكتبة أشرطة الفيديو التي تشرف على إدارتها سكرتيرة أميريكية بالغة الإغراء ، فهي لتأمين « الأفلام الخاصة » لأصدقائه « المقربين » .

فأفلام الدعارة والجنس هي المادة التموينية الكبرى التي يزود بها محمد العشماوي هؤلاء الأصدقاء . وهو يقدمها لهم بالمجان طبعاً ، خاصة لأولئك الأصدقاء الذين كانوا زملاءه في كلية فكتوريا في القاهرة ، والذين يحتلون الآن مناصب الملوك والأمراء والوزراء وكبار رجال الأعمال .

بعد استضافة الصحفية ، يرسلها محمد العشماوي إلى حفلة أخرى في سيارة رولز رويس . إنها حفلة عيد ميلاد أحد كبار القوم ، والأنخاب جارية ، وأفلام الدعارة والجنس ، هدية من محمد العشماوي ، جارية أيضاً بلا انقطاع . .

امبراطورية بن لادن

تلتقي ليندا بلاندفورد بموظف حكومي بسيط ، حتى إنها ليرق قلبها من رؤيته يخرج الريالات القليلة من جيبه ليدفع فاتورة المشروب الذي تناولته معه في إحدى المقاهي الفخمة . ولكن مع الريالات القليلة خرجت ألماسة صفراء ساحرة اللون من عيار ثلاثة قيراطات ، ثم خرجت أيضاً حجرة ماركيز بيضاء وزرقاء ، وخاتم سوليتير من عيار خمسة قيراطات . الموظف الحكومي إذن تاجر الماس .

قال له إنه يواجه بعض المشاكل مع عمال البناء الذين يعملون لديه . لا . . ليس في بناء منزل له ، فذلك أمر قد تم

منذ زمن بعيد ، ولكنهم يعملون في بنـاء أبنية عـلى بعض قطع الأرض في جدة والمدينة التي « وهبها » الملك فيصل له ! فلا بد لكل من يتسكع على أبواب القصر فترة كافية من الزمن من أن يحصل على هبـة ما مقـابل خـدماتـه الطويلة والمخلصـة للعائلة المالكة . ومن يعمل في الحكومـة يمكن أن يصل إلى القصر . . أحياناً . . .

ثم ان مظهر الإنسان السعودي ، في ذلك الزي الموحد ، لا يعبر عن الثروة التي يملكهـا ، خاصـة إذا كانت من هبـات آل سعود . ولا حتى الساعات والأزرار والأساور الذهبية التي يملكها الرجال ويرتدونها تعبر عن حجم الثروة التي يملكـونها . . فربمـا تكون الساعات والأزرار هبات من أولياء النعمة أيضاً . .

من هؤلاء المحظوظين سليم بن لادن ، الذي لم يكن يخطط أبداً للعودة إلى السعودية ، فقد كان يقضي أحـلى الأوقات مـع أصدقائه في انكلترة ، حيث كان يتحدث بلهفة عن أمنيته في أن يصبح طبيباً . كان ذلك في عام ١٩٦٦ ، حين كان والده أغنى متعهد بناء ومنشـآت في السعوديـة ، وكان هـو يحضل الأمـوال والعائدات التي جناها والده من بناء القصور .

مات بن لادن الأب في حادث تحطم طائـرة ، فعاد سليم مرغماً إلى السعودية ليتولى أعمال والده ، ويكون نائباً لـوالده في

الوصاية على اخـوته وأخـواته . كـانت أمه تنتـظر ولادة إحدى الأخوات ، أما الأختان الأخريان ، فلم تكن عينا سليم قد وقعتا عليهما من قبل .

لا يمكن أن يخـطر على بـال أحَد يـرى سليم بن لادن أنه مليونير . شاهدته الصحفية في منزله على شاطىء جـدّة ، تلك المنـطقـة التي لا يملك فيهـا الفيـلات إلّا أصحـاب المقـامــات والملايين ، يجلس قرب حوض السباحة بثيـاب البحر ، هيكـلاً عظمياً نحيلاً حتى لتظنه لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر . وهو في السادسة والثلاثين !

الشيخ سليم بن لادن ، الذي منح نفسه لقب « شيـخ » بعد أن أصبح المسؤول عن عائلة أبيه وأعماله ، لم يكن يريد العودة إلى السعودية أبداً . فما ذنبه إذا كان والده المليونير الكبير ، والذي بدأ حياته كعامل بناءٍ بالمياومة ، مات وهو في السابعة والأربعين ، وخلف وراءه امبراطورية بلغ عدد عمالها ٥٠٠٠ عامل ؟ لكن لم يكن المال هو الـذي أعاد سليم إلى جـدة ، بل هي المسؤوليـة التقليدية تجاه العائلة ، فهو الذي يجب أن يقرر الآن المدارس التي سيذهب إخـوته إليها ، والأمـوال التي سيسمح لهم بصرفهـا ، والأزواج الذين ستقبل بهم شقيقاته . والده كان أمياً ، ولكنه بنى ثروة لم تكن تخطر على بال أحد . أما سليم فيريد أن يعيش حياة هانئة ممتعة ، بعيدة عن هموم جمع المال . .

ولهذا فهو يقضي ستة أشهر من كل عام في الخارج ليس دائماً لأمور تتعلق بالعقود والأعمال ! فلديه أربع طائرات خاصة ، يتنقل على ظهرها من مكان إلى آخر ، ويقود طائراته بنفسه ، حتى إنه بدأ يعلم زوجته فنون الطيران . صحيح أنه لا يحق لها قيادة السيارة في السعودية ، ولكن ليس هناك ما يمنعها من قيادة الطائرة :

وسليم بن لادن يحب الموسيقى الغربية كثيراً ، لذلك فهو من المداومين على الحفلة الموسيقية التي يقيمها السفير الهولندي في جدة مساء كل يوم اثنين . وغالباً ما يذهب إلى حفلات الاستقبال الرسمية وهو يحمل آلته « الهرمونيكا » ليعزف عليها !! فقد أقام أحد كبار رجال الأعمال الأميريكيين حفلة كبرى على شرفه ، ولكن ذلك الأميريكي أصيب بصدمة حين تحول خطاب سليم إبن لادن المقرر ، فجأة إلى عزف على آلته المفضلة !!

يقول سليم : ليس لنا أن نفخر بأي شيء ، نحن الأجيال الشابة ، فقد ورثنا عن آبائنا كل شيء جاهزاً ، ونحن نتمتع بثمار جهودهم .

يملك سليم مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية ، كما يملك عدة أخوات يبحث لهن عن الأزواج المناسبين . وهو يملك القدرة على حل جميع الصعوبات ، إن لم يكن بالمال فبالعزف على

آلة الهرمونيكا!! ،

الوداع يا آل علي رضى !!

أحبت الصحفية البريطانية عائلة علي رضى ، حتى إنها تتمنى العـودة إلى السعوديـة ، لا لشيء إلّا لـلاجتـماع بهـا والتحـدث إليها . .

تقول ليندا بلاندفورد :

« على الجانب الأيسر لطريق مكة المتجه إلى هناك من جدّة ، يشاهد المار من هناك بوابتين هائلتي الحجم ، تنفتحان على شارع محاط بالأشجار اليانعة وينتهي بقصر منيف تنفتح أمامه بركة ماء شلالاتها لا تتوقف عن تدوير المياه الراقصة ! وحول القصر ينتشر عدد آخر من المنازل الأصغر كان يشغلها أفراد العائلة المتزايدين باستمرار . .

ذلك هو قصر آل علي رضى . . يخيم عليه في الصباح الباكر ذلـك السديم الجـداوي الصيفي ، ويتحرك مـع شروق شمسه الساطعة عدد من الخدم ،كانوا يوماً عبيداً للعائلة ، يهيئون وسائل الراحة لمن لم يستيقظوا بعد . فهم لا يستيقظونَ.قبل العاشرة ، حين يتوافدون إلى موائد الإفطار العديدة المعدة لهم . .

واليوم يوم عـطلة اسبوعيـة ، لذلـك تستعد العـائلة كلها للذهاب إلى مقرها الآخر على شاطىء البحـر ، وفي نفس تلك

المنطقة المحرمة على من لا يملك الجاه والملايين . يتحرك الطعام أولاً ، تتبعه شاحنة كبيرة محملة بالمياه العذبة . . . لكن فهد ، ابن العائلة البالغ ثمانية وعشرين عاماً من العمر ، غاضب متبرم ، ويفكر بعدم الذهاب إلى البحر ، لأنه سمع بأن مولد الكهرباء الخاص بالقصر معطل ، فهل يمكن أن يذهب فهد إلى البحر ثم لا يجد ماءً ساخناً لأخذ « دوش » بعد السباحة ؟!

لكن المسألة تسوّى ودياً ، وينطلق الركب ، ومعه الصحفية البريطانية . منطقة « الكريك » منطقة بديعة حقاً ، ليس فقط لنظافة مياه بحرها ، وللأسماك الجميلة التي تسبح فيها ، ولكن لأنها المنطقة التي لا يدخلها إلّا أصحاب القصور الحالمة التي بنوها هناك ، للاستحمام والاستجمام ، ثم طوقوها بأسوار عالية تمنع الآخرين حتى من مشاهدة البحر الجميل . « فالآخرون » هؤلاء لا يستطيعون شراء أرض هناك لا بالمال ولا بغيره ، لأن جزءاً كبيراً من المنطقة ملك لشقيق الملك الذي بنى قصراً كالقلعة فيه ، ومع أنه ترك جزءاً آخر كشاطىء « مباح » فإنك لن ترى سعودياً يتمشى هناك !

ويملك فهد جزءاً آخر من الشاطىء ، بنى عليه أيضاً قصراً أو قلعة ، سمها ما شئت .

أما ما تبقى من ذلك الشاطىء الجميل فتملكه بضع عائلات من علية القوم ، مثل عائلة علي رضى ، التي بنت هناك مجمعاً

مؤلفاً من عدد من المنازل والشاليهات ، يتوسطها منزل كبير قريب من شاطىء البحر ، وكل هذا يخضع لإشراف محمد علي رضى ، سفير السعودية (السابق) في واشنطن ، ووكيل شركة هاري ونستون اليهودي حين ينتهي من عمله الرسمي كسفير . . فالسفارة شيء . . ووكالة الألماس والجواهر اليهودية شيء آخر ، لا علاقة له بالسفارة !

عائلة علي رضى غنية جداً ، طبعاً ، ووكالاتها في جدة تشمل ، بالإضافة إلى وكالة هاري ونستون ، وكالات أخرى كثيرة ، ولكن ألماس أحمد علي رضا ـ هاري ونستون ، يدر على العائلة المستورة أرباحاً خيالية . فقد شاهدت الضحفية عقداً من الألماس في خزانة أحمد تبلغ قيمته ثلاثة ملايين دولار.. أكد لها أنه سيباع قبل نهاية الأسبوع !

معظم زوجات العائلة من الأجنبيات ، لذلك فإن بعض أفراد العائلة هم نصف ـ أمريكيين ، لأن الرجال يحبون الأمريكيات كثيراً ويتزوجونهم أكثر . خذ مثلاً زوجة السفير محمد علي رضى الأولى ، فقد كانت أمريكية ، ثم تزوج بعدها بلبنانية ، وربما كان هذا سبب تعيير العائلة بأنها بلا أصل ، مضافاً إليه سبب آخر ، هو أنها ، كما ذكرنا ، كانت في إيران . لكن الحقيقة أن الروابط التي تربط بين آل علي رضى وآل سعود جعلتهم أكثر سعودية من أنقى الدماء النجدية .

هـذه هي العائلة التي تجمعت في هـذا اليوم لـلاستحـمام والاستجمام على شاطىء البحر ، فاليوم يوم راحة ، تتوقف فيه الأعمال والهموم المالية . .

أطفال وأولاد العائلة كثيرون . من المعروف أنهم قـادرون على الشجار والعراك وارتكاب جرائم القتل بحق الآخرين دون أن يخشوا عقاباً أو طائلة قانونية ! ! ولكنهم يطيعون كبارهم طاعة عمياء .

وهم الآن يلعبون ويمرحون كما يحلو لهم ، وتنطلق الصحفية إلى حضن البحر مع النساء السابحـات من عائلة رضى ، بينـما الأم ، حياة ، تلعب الطاولة مع أخريات لا يسبحن . . . ما أحلى مـوكب النساء هـذا ، غـير الأم طبعـاً يـذهبن إلى ميـاه البحـر للسباحة ، وهن يتعلقن بأذيال ثياب الاستحمام حياءً . . . إلى أن يصلن حافة الماء . ما تزال سباحة النساء أمام الرجال ، حتى ولو كان الرجال أهلهن ، أمراً جديداً فيه مخاطرة . . لكن نساء عائلة علي رضا يسبحن تحت رعاية ومراقبة رجالهن .

أما في المساء ، فهناك الفيلم الذي لا بـد من مشاهـدته ، يعرض على شاشة بيضاء ، هي في الواقع جزء من الجدار طلي بالدهان الأبيض . لم نذهب إلى الفراش إلّا بعد الساعة الثالثة صبـاحاً ، ولم يكن تـلاطم الأمواج هـو الذي جلب النـوم إلى

عيوني ، لكنه طنين مكيف الهواء . وعند الفجر يتحرك جمع إلى البحر للقيام برحلة صيد بحري قبل طلوع الشمس وقبل أن يشتد حرها . أما بقية العشيرة فتبقى في فراشها إلى وقت متأخر . فاليوم الجديد سيكون يوم راحة واسترخاء آخر ، لا يقطع رتابته سوى أربعة وجبات ، وخمس صلوات . فعائلة علي رضا عائلة متدينة تؤدي فرائض دينها بعفوية ودون ادعاء . فترى أفرادها ينشرون سجاجيدهم الصغيرة ويبدأون بالركوع والسجود في أوقات متباينة ، وليس جميعهم في نفس الوقت ، بينما غير المصلين يستمرون في أعمالهم الأخرى كما وكأن الوقت ليس وقت عبادة . كانت هناك امرأة لم تصل طوال النهار وعندما سألتها عن السبب ، قالت أنها في العادة الشهرية ، قالتها وكأنها أمر عادي تماماً ، بدون حرج ولا تردد » .

وتقول الصحفية البريطانية معلقة على هذا :

« إن هذا الأمر هو تذكير حاد لنا على ضعة مركز المراة في مجتمعهم . وهو مركز زاد من وضاعتها ، بالنسبة لحياة خاصة ، عدة مآسي متوالية : فبالرغم من المرح والتألق الذي يملأ وجهها ، لا تبدي اي ألم أو مرارة من الماضي . ولكن في ذلك الماضي ، كانت حياة الزوجة الأولى والوحيدة لمحمد ، عماد العائلة المقيم حالياً في باريس ، حيث يعمل سفيراً لآل سعود فيها . هي ما تزال زوجته . . . رسمياً . ولكن في فترة الخمسينات ، تزوج

محمد بزوجة أخرى اسمها همسة (أو حمصةHamsa) وخلافاً لحالة الكثير من النساء في تلك الحقبة السعودية من الزمن ، لم تستطع حياة تقبل مقاسمة امرأة ثانية لها زوجها ، وهكذا عاشا منفصلين . ولكن ليس بعيداً جداً عن بعضهما ، فقد بقيت في منزل في موقع على طريق مكة ، أقامت فيه مع أطفالها من زوجها محمد ، بينما استقر هو وزوجته الجديدة (همسة)، في المنزل المجاور له مع أولادهما .

ابن حياة البكر مات موتاً بطيئاً وهو تحت العلاج من مرض اللوكيميا في المستشفى الأميريكي . مات قبل عامين . أما كيف مات فحكاية لا تنسى : في أحد الأيام شعر بتحسن ، فنهض من الفراش ، وأخذ زوجته (وهي إحدى بنات عمه ، فزواج بنات العم عادة متبعة في عائلة علي رضا) ، وإحدى شقيقاته وممرضته إلى مطعم لتناول الغذاء . ثم مات في اليوم التالي : أما المأساة الثانية فكانت حادثة اصطدام السيارة في باريس . فقد قرر السفير محمد أن يأخذ بعض أفراد عائلته إلى شاطىء البحر في فرنسا . لكنه صدم شجرة على الطريق . قتلت زوجته الثانية همسة ، التي كانت جالسة بجانبه على الفور . كما أن ابن حياة الثاني كسرت عنقه . وكانت هناك ابنة متبناة معهم ، انشقت جمجمتها ، بينما ابنة همسة الصغرى ، التي كانت تشاهد كل ما جرى ، فلم تصب بسوء .

« لن يكـون بإمكـان المرء أن يفهم أي شيء عن العـربيـة السعودية إلّا إذا علم وأدرك تلك القوّة التي تبقي على عائلة محافظة مثل عائلة علي رضا متماسكة مـترابطة . إن هـذه القوّة هي من الصلابة بحيث جعلت حيـاة الزوجـة المهجورة ، تقـوم بنفسها بتمديد ضرتها وغسلها قبل الدفن . .

الجزء الثاني



الفصل الرابع

قطر

ذلك الحاضر الغبي ..

والماضي المشبوه

قال عبد الله الطريقي يحدثني عن الجو «المخملي» الخليجي في الكويت : حين كنت وزيراً للنفط ، قمت بزيارة لمدة يوم واحد الى قطر لأقابل الأمير . فقدم لي حقيبتين مملوءتين بساعات رولكس والملابس الحديدية ! وبعد أن اضطررت لمغادرة العربية السعودية ذهبت لمقابلة نفس الأمير . لم يعطني ولا حتى خمس دقائق من وقته : كان خائفاً حتى الهلع . ولم لا؟ فرجال الحكم والسياسيون وقادة الدول يتوافدون اليوم لمقابلة أمير تلك البقعة الصغيرة شبه المجهولة : أوليست تلك نكتة مضحكة ؟ !

كان الطريقي يفور غضباً لسماعه بأن ليو بولد سنغور، رئيس السنغال والشاعر المشهور الذي فاز شعره بالجوائز الدولية الكبيرة، قد أعاد ترتيب الجدول الزمني لجولته بأكملها بما يتلاءم مع رغبة الأمير ، سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني . أما الرئيس (أو الذي كان رئيساً) عيدي أمين فيصل حاملاً كشكول التسول . ولكن الأبهة

أقل رنيناً ، فهو يصلي لكي يحصل على ما لا يتجاوز الـ ١,٧ مليون جنيه استرليني ، وهكذا كان ، فقد قرر الأمير أن ذلك المبلغ هو كل ما يستحقه الرئيس . الحقيقة أن الشيخ خليفة يطمح لأن يكون زعيماً ذا أبعاد عالمية (وهذا ما يفضل المترجم الفوري أن يترجمه بقوله : إن الشيخ مدرك لمكانه في التاريخ) . ولقد نجح الأمير نجاحاً باهراً . على تلك الطريق ، حين أقام الرئيس جيسكارديستان حفلة استقبال على شرفه في قصر الإليزيه . ثم هو يسعى الآن للوصول الى نفس الحظوة ونفس النجاح في أمريكا . وذهب في رحلة خاصة الى انكلترة . ولفّ ودار حول القصر الملكي هناك ، أملاً بدخوله . لكنه أعيد الى بلاده بخفي حنين . وأخذ الأمير يتعلم اللغات ، ولكنه كان يزوغ عن الدروس ثم حقق بعض النجاح ولكن على مجموعة من اسطوانات لينغوافون سُجلت خصيصاً لحسابه .

هذا النابوليون القزم يحكم رابية رملية أقل مساحة من الكويت ، وسكانها لا يتجاوز عددهم عُشر سكان الكويت أيضاً !! مرّ بأعوام مراهقة بائسة مشبوهة ،وبالرغم من إصابته بمرض الشقيقة والتهاب الجيوب الأنفية المزمن ، وبالرغم من النقص الواضح في علومه وثقافته ، فإنه يشغل نفسه من الصباح الباكر حتى المساء ، متنقلاً تحت حراسة بالغة الفخامة من مشروع الى آخر ، ويا ويل موظفي التلفزيون إذا عرض برنامج لم يرق

له ، إذ سرعان ما يمد يده الى الهاتف ويتصل بالمسؤولين عن البرنامج لاعناً ساباً مؤنباً !! ويشكو من انعدام برامج التسلية المحببة له في شهر رمضان ، ولو أنه تأخر ، لحسن الحظ ، عن مشاهدة برنامج وثائقي أعد عن «تاريخ قطر» ، ولم يكتشف إلّا متأخراً أن الموسيقى المرافقة للشريط كانت مقطوعة «الخروج» التي تصور هجرة اليهود وتشتتهم .

والأمير السعيد لا يبتعد عن حرسه الشخصي ولا لحظة واحدة ، حتى حين كان يتنزه في حديقة هايد بارك في لندن . فهذا الأمير المهووس والصلف المتجهم الوجه يعاني من عقدة الأمن . ويمكننا أن نتفهم هذا حين نعلم أن جدّه ظل يعده بالعرش مدة طويلة من الزمن ، ولكن العرش وقع في يد ابن عمه الطماع الشره ، أحمد . ورضي خليفة على مضض بمنصب وزير المالية والنفط ، حتى عام ١٩٧٢ ، حين وصل الى علمه أن ابن الأمير أحمد يعد لائحة اغتيالات أطلق عليها اسم «قائمة الموت» وان اسمه كان في قمتها . ثم انعقد «مجلس العائلة» وأجبر أحمد على الإستقالة ومغادرة البلاد . أما ابنه فيعيش في إيران «الشاه» عبر الخليج ، وهناك كان ، حتى وقت قريب ، يلقى مباركة الشاه الكريمة المضيافة كمدمن على المورفين والمخدرات . (فقد استحال على أي دولة عربية أن تقبله ، حتى للعلاج ، ولكن الشاه ، ولأسبابه الخاصة ، قبل به واستضافه وأوسع عليه) .

وهكذا وصل العرش الى يد الشيخ خليفة ، وهـو في قمة الإنتصار والإعتزاز . وجمع حولـه زمرة من عـائلته ، عـائلة آل ثـاني ، لم يكن من أفرادهـا أشخاص وجهـاء مثل أخيـه وزيـر الخارجية ، مثلاً ، لأنه منافس ومزاحم خطير . فكل ما كان يريده من هذه العصابة هو زمرة مؤيدة يعتمد عليها ، وتتكـل عليه ، ويقدم هو لها الأموال .

كان قد اقترن بزوجته الجديدة الأولى قبل خمسة عشر عاماً ، وكانت سيدة شابة متعلمة من بنات عمـه . ولكن الأمير لسـوء الحظ ، كان مشغولاً جداً فلم يعلن على شعب قطر ما إذا كانت الزوجة «قـد ظهرت» (أي أعلن عن الـزواج رسمياً) . ونسـاء الطبقات العليا ما زلن يزرن زوجته السابقة . وقد أمر ابنه الأكبر وولي عهده بالعودة فوراً من كلية ساند هيرست الحربية البريطانية لكي يصبح قائداً للجيش . واسترجع ابنه الأصغر من جامعتـه الأمريكيـة وعينه وزيراً للمالية . لكن هذين الولدين لا يمارسان سلطة فعلية ، فالسلطة الحقيقية كلها مركزة بيدي نابليون القزم نفسه ، يمارسها من مكتبة - القصر أو قصره - المكتب في عاصمته الدوحة .

لا يخطىء الزائر مكتبه ، فهو علامة مميزة ، وكل باب من أبوابه ينفتح على غرفة خالية غير مؤثثة ، تتسـع لحوالي خمسمائة شخص . ويعمل في قصره حوالي أربعـين شخصاً (ولـو أننا لم

نعذهم !) أما جناح سموه ففي الطابق الثاني ، لكنك تلتقي بمساحات فارغة كثيرة قبل أن تصل الى هناك .

بعد قصر سمو الأمير ، تجد عاصمته نفسها ، التي تذكرك بمخزن لبيع الألبسة في فترة التخفيضات (الأوكازيون) ، وتكاد تخطىء رؤية شوارعها الصغيرة وبيوتها ، التي بدت وكأنه لا يسمح لها بالإرتفاع الى علو قصر آل ثاني ، باستثناء وزارة المالية ، ومتحف قطر الذي بني خصيصاً لإرضاء ذوق سعادة الأمير . .

والحقيقة أنك تتعلم الكثير عن الإختلافات والفوارق بين بلدان الخليج من الطريقة التي يحيي فيها هؤلاء ماضيهم .

ففي السعودية التقيت بعالم آثار أمريكي قدمت له الحكومة ٨٠٠ مليون ، لا لشيء سوى ليجمد التاريخ الذي ينهمك الجميع حالياً في تدميره . أما في البحرين ، فهناك متحف أيضاً ، ولكن السائق الحكومي الذي نقلني الى هناك لا يعرف الطريق إليه ، وقد أكتشفت فيما بعد أنه لا يعرف ما هو المتحف !! وحتى الناس الذين سألهم لم يعرفوا الجواب ! ولم أتمكن من الوصول الى المتحف أبداً ، أما المتحف الحقيقي الذي زرته فقد كان منزل الشيخة حياة الخليفة ، التي كان يظنها عمال الآثار رجلاً ، ولم يكتشفوا أنها امرأة إلّا حينما لاحظوا صباغ التجميل على أظافرها .

وها أنا في قطر الآن ، وفي الدوحة ، تلك المدينة التي تشبه

لعب الأطفال . . لا وجه لها ولا معالم !!

وإذا يبدا لكم المستقبل سخيفاً ، فإن الماضي يستحيل تصديقه هنا ، أتعرفون ما هو متحف قطر التاريخي ؟ إنه بيت الشيخ خليفة القديم !! فيه تجمعت سيرة طفولة الشيخ ، وهو محج الزوار ، وذكريات والده الذي يحبه حتى العبادة ، كما كان يحبه قبل أن يموت . وهكذا ، ولأن ماضي قطر لا يتعدى سيرة آل ثاني ، فقد كان ذلك «المتحف» هو أول شيء قرر الأمير بناءه بعد توليه العرش . وفي ليلة افتتاح المتحف قرر سمو الأمير أن يتزوج بابنة عمه ، من باب الإحتفال بافتتاح [المتحف] !

وأما القيم على هذا المتحف الذي تكلف بناؤه مليوني جنيه استرليني ، فبريطاني ، بالطبع ، من النوع الذي يحكم به العرب عادة ، وسمو الأمير تحديداً .

وزيارة هذا المتحف ، أي منزل والد سمو الأمير ، واجب مفروض على كل رئيس دولة يأتي لزيارة الأمير ، تماماً كقبر لينين في موسكو ، وقبر الجندي المجهول في البلدان الأخرى .

وأهم ما في المتحف هي صور سمو الأمير في أوضاع مختلفة ، يصافح الزائرين ، من الرؤساء وطالبي التقرب الدولاري ، الذين يبدون ، في الصورة ، صغار الحجم دائماً بالمقارنة مع سموه !!

وأينما نظرت وتجولت في المتحف ، تجد قطعة فنية ترحل معك دائماً ، هي القطري الوحيد الذي تشاهده هناك ، سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

ولكن قطر الوهابية تختلف عن السعودية الوهابية أيضاً ، وتقول مؤلفة الكتاب البريطانية إن الفضل يعود في ذلك لوجود البريطانيين مستعمرين في قطر . ورغم أنها لا تتحدث عن فضل بريطانيا في استمرار وجود مثل هذا الأمير على رأس السلطة ، وهو الذي تصفه وكأنه مهرج السيرك ، فإن الكاتبة البريطانية تذكرنا بفضل بريطانيا على «نساء قطر» اللواتي لا يعملن فقط ولكن يقدن السيارات أيضاً ، مما حلّ مشكلة العلاقات الحسنة جداً في السعودية بين نساء الثراء وسائقيهم المخلصين . وقد سرنا كثيراً أن تجد الكثير من الويسكي والخمور الأخرى مباحة للجميع ـ من الأجانب ومن هو على علاقة بهم ـ شريطة أن تعرف كيف تطلب من مديري الفنادق الفخمة هناك «إذن الدخول» وتعرف أيضاً كيف تجد طريقك الى البار والمصعد المخفي الذي يوصلك إليه في فندق البنتاهاوس في الدوحة .

ولكن الدوحة تثير قرف الكاتبة ، لأنها ، كما تقول ، مدينة ذات طابع إسلامي إذا ما قورنت بالكويت والبحرين ، كما أن أميرها الحالي يشن حملة على الرذائل المفضوحة . في الماضي كان آل ثاني ورعاياهم الأغنياء ، يتمتعون علناً بكل ما هو مباح وما هو

غير مباح ، أما الآن ، فقد عاد آل ثاني إلى الطريق الوهابية ـ السعودية ، أي أنهم يحاربون الرذائل العلنية ، ولكنهم يمارسونها بين جدران قصورهم . .

ولهذا أحزن الكاتبة البريطانية أن تكتشف أنه لا توجد «حياة اجتماعية» للقطريين طبعاً ـ في الدوحة . حتى الأوروبي يتوجب عليه أن يكون بالغ الحرص ، والذي يمسك به وهو يحاول تقديم المسكرات الى قطري يطرد فوراً من البلاد ، ولأن بيع المسكرات صار ممنوعاً ، فقد أعطت حكومة قطر إذناً لإحدى السفارات الأوروبية لتوزيع الخمور وبيعها لمن لم تحرم عليه من الأجانب المقيمين هناك .

أما القطريون في لندن فهم مشهورون بشيء واحد : إذا أجرت لهم منزلاً أو شقة أو حتى غرفة في فندق ، فكن على ثقة بأنهم سيتركونها خراباً يباباً (الكاتبة البريطانية هنا تشير على مؤجري العقارات البريطانيين ، كما يبدو ، ألّا يؤجروا القطريين إلّا ما هو يباب خراب قبل أن يسكنوه ! وبريطانيا ـ ولندن خاصة ـ فيها الكثير من هذه العقارات وأصحابها ! !)

وتضيف الكاتبة قائلة إنه لا يوجد مليونيرية كثيرون في قطر ، لأن عدد سكانها قليل . ومن هؤلاء المليونيرية السلطان عيسى . ذهبت لتناول القهوة مع زوجته ، فوجدتها قلقة مضطربة

لأن الأثاث الذي اشترته من لندن لم يصل بعد . اشترت الأثاث من محلات وارنغ أنده جلو(waring & Gillow) ، وقد أخبرها أحدهم قبل قليل أن هذه المحلات تتعامل مع إسرائيل وأنها على قائمة المقاطعة العربية ، وأن الأمور ، لذلك ، ليست على ما يرام .

أما ابنتها شريفة فترفض رفضاً باتاً لبس «البرقع» الذي ترتديه الكثيرات من النساء في قطر ، حتى ان بعضهن يغطين وجوههن بأكملها ، وهذا ينطبق بصورة خاصة على النساء المتقدمات في السن . أما الإبنة الثانية للأمير ـ أو السلطان ـ عيسى ، وهي مفتشة في وزارة التعليم مع أنها لا تتجاوز الثالثة والعشرين من العمر، فقد اقتحمت الباب وهي ترتدي تنورة (ميني سكيرت) . لا تكاد تستر شيئاً ، بل أنها من النوع الذي يوقف حركة المرور في ميدان البيكاديللي بلندن . وتدخل الإبنة الثالثة ، جهينة ، البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً ، والتي تحضر لشهادة الدكتوراه في القاهرة . لونت أظافرها باللون القرمزي ، وكشفت عن كل أنوثتها بلا حساب !! أما الرابعة ، فحتى اسمها على الموضة ، وهو هارلا . ولأنها ما تزال طالبة في المدرسة ، فقد كانت مضطرة للبس الزي المدرسي الأزرق الطويل ... .

وفي الطابق الأعلى اقتحمت الكاتبة خلوة الإبن المدلل ، محمد ، الذي يستعد لتولي أعمال سلطان (وأعمال سلطان هي وكالة

رولز رويس ، ووكالة محركات وشركة بناء ، وهلم جرا) ، وهو يبتعد لهذه المهمة بكل جد . أما الأب فمسمر أمام شاشة التلفزيون ، كالعادة .

وحين تعود الكاتبة الى لندن تجد رسائل الدعوة من شريفة وبناتها يدعوانها لزيارتهن في منزلهن الفخم في لندن . الأم مشغولة برحلات المعالجة الى عيادات هارلي ستريت المشهورة : موعد مع طبيب الأسنان ، وموعد مع طبيب الروماتزم ، وما بينهما زيارات عديدة لمحلات وارنغ آند جيلو ، ولتمت المقاطعة العربية بقلبها ، ولتحيى البضاعة الإسرائيلية !! فقد قررت السيدة شريفة شراء منزل أكبر من منزلها الحالي في لندن ، وقررت شراء أثاثه من تلك المحلات، حيث لا تصلها يد المقاطعة العربية ، ولا تمنعها من التمتع بشراء أفخم الأثاث من محلات أصدقائها الإسرائيليين، وهي المحلات المفضلة لديها .

والحقيقة أن السيدة شريفة لم تخرج في هذا عن أعراف عائلتها الحاكمة في قطر . فتلك الدولة (سبحان الله ! إنها دولة !) . . كانت من أول الدول العربية التي أغرقت البضائع الإسرائيلية أسواقها في السبعينات وأوائل الثمانينات . وأهل الحكم فيها قوم أذكياء ، لا يربطون أبداً بين المواقف السياسية المعلنة وبين المصالح التجارية للعائلة . وما ستر ويه الصفحات التالية ، والذي لا يصدقه عقل أو ضمير ، ليس سوى تقيد حرفي

بهذا الفصل الكامل بين الأمرين . . .

فلنبدأ القصة من أولها . وعنوانها «شركة ألماس الخليج المحدودة » . ووراء العنوان قصة أغرب من الخيال .

في صيف عام ١٩٨٥ ، جاء الى لندن ، كالمعتاد ، رهط من كبار شيوخ عائلة آل ثاني ، حكام قطر ، ووصل معهم أحد الشيوخ الشباب ، هو ابن أخ وزير خارجية قطر . من المعروف عن الشيخ الشاب أنه يحبّ النساء والشراب أكثر مما يحب القمار فهو شاعر حساس مرهف المشاعر . . ولأنه بهذا القدر من رهافة الإحساس فهو يحب المال الذي تحبه الجواهر التي تحبها النساء اللواتي يحببهن الشيخ الشاعر . ولتسهيل أسباب الوصول إلى أهم حلقات هذه السلسلة ـ النساء ـ استأجر الشيخ ـ كعادته ـ سائقاً مع سيارته الفخمة ، ونزل في جناح فخم أيضاً في فندق «الرويال لانكستر هوتيل» في لندن . وسارت الأمور على أحسن ما يرام ، الى أن وقع ما لم يكن متوقعاً . .

لم يكن السائق يعلم أنه مراقب ، ليس من قبل أي جهاز أمني ، ولكن من قبل فلسطيني جاء من القدس المحتلة قبل عدة اشهر ، واسمه «أبو ناصر» . عندما وصل أبو ناصر إلى لندن في أوائل عام ١٩٨٥ ، كان يربط بنطاله بخيط من القنّب ، ويشكو من القلّة والجوع ، ورغم محفظة السامسونايت الأنيقة التي كان

يحملها حين نزل من طائرة «العال» الإسرائيلية ، ادعى أنه ، رغم فقره المدقع، قدم الى لندن خصيصاً لجمع التبرعات من المحسنين الفلسطينيين لدعم إحدى الجمعيات الخيرية العاملة في الضفة الغربية المحتلة . ولأن جمع هذه الأموال يحتاج الى «رسائل توصية» فقد توجه أبو ناصر الى مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وطلب منه التوصيات . يبدو أن مدير مكتب المنظمة لم يعطِ رسائل توصية بل اكتفى بتقديم التوصيات «الهاتفية» ، وقامت بينه وبين «أبو ناصر» علاقات وصلات قوية حصل منها الأخير ، بالإضافة الى التوصيات إياها ، على مكسبين : أولهما أن أحد حرس ومرافقي مدير المكتب وجد «عملاً إضافياً» لدى أبي ناصر ، وصار حلقة وصل بينه وبين مدير المكتب . وثانيهما أن مدير المكتب عرف «أبا ناصر» على محام فلسطيني معروف في لندن ، خاصة في مجال العمل من أجل قضية فلسطين . . . المقدسة على قلبه قدر قداسة علاقته المتنامية مع أبي ناصر ، جامع التبرعات ، فصار محامي جامع التبرعات . . وصديقه الحميم . أما لماذا احتاج أبو ناصر إلى محام ، وعلى هذا القدر من الشهرة ، فستكشفه الأحداث التالية . .

يحاول السائق أن يجلب النوم الى عينيه بعد أن عاد الى بيته صباح أحد أيام صيف ١٩٨٥ ، وبعد ليلة حافلة بالسهر على راحة الشيخ الشاعر القطري . يجد صعوبة . يطبق عينيه مرة ثانية

وثالثة ، ويكاد ينجح رغم صياح طفليه اللذين كانا يطالبانه ببعض المال ، وكان يطلب منهما الإنتظار قليلاً حتى يفتح الشيخ محفظته . لم يكن السائق المسكين قد حصل على مليم واحد من شيخ آل ثاني .

فجأة رنّ جرس الهاتف . . قفز السائق من فراشه ورفع السماعة . .

ـ آلو . . . مين !؟

ـ أنا صديق لأحد أصدقائك في قطر ، وهو الذي أعطاني رقم هاتفك . .

ـ أهلاً وسهلاً . . الإسم الكريم ؟

ـ أبو ناصر . . أنا من القدس . . حضرت الى لندن قبل مدة ، وأنا بحاجة الى مساعدتك !

ـ أين التقيت بصديقي الذي أعطاك رقم الهاتف إذن ؟

ـ تلك حكاية طويلة ، سأقصها عليك حين نلتقي ، وآمل أن يكون ذلك قريباً . . الآن مثلاً . .

ـ ولكني لم أنم دقيقة واحدة طوال الليلة الماضية

ـ أعرف ذلك . . ولذا يجب أن أراك !!

ـ ولكن . .

ـ أنا بانتظارك في المقهى الكائنة في الطابق السفلي من فندق لانكستر . . صاحبك الشيخ لا ينزل الى هناك ، فلن يرانا !!

اقتحم خيال السائق نصف النائم مزيج محير من الشك والقلق وحبّ الاستطلاع ، بدد النوم ، أو الرغبة فيه ، من عينيه ووجد نفسه يقول ، دون تفكير :

ـ سأكون عندك بعد نصف ساعة . . ولكن كيف سأتعرف عليك . .

ـ لا تزعج نفسك . . سأقدم لك نفسي . . أنا أعرفك جيداً . .

طار النوم نهائياً ، وطارت معه سيارة السائق المذهول باتجاه مقهى فندق اللانكستر . أوقف سيارته في مكان بعيد لكي لا يراها الشيخ الشاعر إذا خطر له أن ينظر من النافذة ، وكان هذا أمراً مستبعداً على أي حال ، لأن عدد الكؤوس التي احتساها الشيخ في الليلة السابقة ، وجمال وجه وجسد «سوزي» ، صيد الأمس ، كانا كفيلين معاً ببقائه في فراشه حتى المساء . . ولكن الحيطة ضرورية ، فمن يدري ما قد يحدث ؟!

اقترب السائق من بوابة المقهى ، نظر حوله قبل أن يدخل ، ثم قفز بخطوات سريعة الى داخل المقهى

ـ أهلاً أبو باسل !! تفضل إجلس !!

كان يجلس إلى طاولة قريبة من الباب رجل يناهز الخمسين من العمر ، سمين كبير البطن أصلع الرأس تقريباً إلّا من بضع خصلات استقرت فوق أذنيه ، وكـان اسمر اللون ، قصيـراً ، يرتدي بدلة لم تلمسها مكواة منذ زمن بعيد ، وتحيط بقبة قميصه ربطة عنق سقطت عليها بضع قطرات من عصير الطماطم لم يحاول إزالتها . .

ـ تفضل يا أبا باسل . . تفضل

ـ شكراً . . وجلس الإثنان . .

ـ الداعي أبو ناصر . . من القدس . . جئت الى هنا لجمع التبرعات ، وأنا أجد صعوبة بالغة في ذلك . .

ـ أهلاً أبا ناصر . . تشرفنا . . وماذا تريدني أن أفعل . .

رشف أبو ناصر قهوته من فنجان كاد يختفي كله بين شفتين غليظتين تكوم فوقهما شاربان لم يكونا أقل حجماً من شفتيه ، ثم نادى على النادل وطلب فنجان قهوة عربية لأبي باسل . . ثم ثبت عينيه المحمرتين في عيني أبي باسل ، وقال بصوت هادىء واثق .

ـ علمت من أشخاص كثيرين أن علاقتك بشيـوخ الخليج قوية ، وأنهم يثقون بك ويحبونك و . .

ـ إنني أسعى لكسب رزق أطفـالي . . وأنـا أملك سيـارة

أؤجرها لهم ، مع نفسي ، خلال الصيف . .

رسم أبو ناصر ابتسامة ذات مغزى على شفتين كانتا مموهتين بالشاربين الكثيفين . .

ـ نعم . . نعم . . ولهذا أردت أن أراك . . الواقع . .

ـ ولكن إذا كنت تعتقد بأن أمثال هؤلاء يقدمون التبرعات . . فأنت مخطىء واهم . . واهم جداً يا أبا ناصر . .
ـ أنا لست من الذين يتصرفون بناء على الأوهام . . كنت أريد أن أقول لك أنني حصلت على رقم هاتفك من أناس يقيمون هناك في لندن ، وهم الذين ذكروا قريبك في قطر . . تمويهاً . . لأنهم لا يريدون أن أكشف عن هويتهم . . فهم ذوو مقامات . . عليا . .

وابتسم أبو ناصر ابتسامة حجرية أخرى . .

ـ أنت تزداد غموضاً يا أبا ناصر . .

ـ لا . . أبداً . . سأكون معك صريحاً جداً ، لأن علاقتنا لا يمكن أن تكون وطيدة إلّا بالصراحة . . والثقة !!

ـ طبعاً . . طبعاً . .

رشف أبو ناصر ما تبقى من قهوته ، وأخرج لفافة تبغ قدمها لأبي باسل وأخرى لنفسه . . أشعلهما ، ثم انتظر حتى ابتعد النادل عن طاولتهما التي وضع عليها قهوة أبي باسل ، وانحنى عبر

الطاولة حتى كادت شفتاه تلامسان وجه رفيقه . .

ـ أريد أن تعرفني على الشيخ . .

ـ لماذا ؟

ـ لأنني عندما أتيت الى لندن ، كنت أحمل معي حقيبة مملوءة بالألماس المصقول !! من القدس طبعاً . .

ـ لكن الفلسطينيين لا يملكون . .

ـ دعني أنهي كلامي . . قيمة الألماس نصف مليون جنيه استرليني . . وهو الآن في صندوق حديدي في أحد بنوك لندن . . النصف مليون جنيه هي سعر الجملة . . أما القيمة عند البيع فتصل الى ١,٥ الى ٢ مليون جنيه . . أريد أن أعقد صفقة مع الشيخ لبيعه الألماس . . يجب أن أبيعه وإلّا كان حسابي عسيراً . .

ـ ومن سيحاسبك ؟

ـ أصحاب الألماس . .

ـ ومن هم . .

ـ لا يهم . . أخذت صفقة مماثلة الى مصر عبر سيناء ، ولكن حرس الحدود المصرية أوقفوني وفتشوني ، ولم أستطع التخلص والعودة الى القدس إلّا بعد أن رشوت الحرس بثلاثة آلاف

دولار . . أصحاب الماس لا يصدقونني . . وقد أرسلوني الى لندن لبيع الألماس للشيوخ العرب . . وهم يراقبونني هنا . .

ـ ولماذا تخضع لهم بهذا الشكل . .

ـ عائلتي وأولادي في القدس . . أخاف عليهم . . وأنا غارق حتى قمة رأسي مع تجار الألماس . .

ـ من يعرف عن وجود الألماس معك ؟

ـ أنت أول من يعرف !

ـ وماذا عن الذين أعطوك رقم هاتفي ؟

ـ قلت لهم إنني أريد جمع التبرعات . . وأنني بحاجة الى من يوصلني الى شيوخ النفط . .

ـ ولكن . .

ـ حصتك خمسة بالمائة من قيمة المبيعات !! توقف أبو باسل وحاول أن يحسب المبلغ الذي سيكون من نصيبه من المليوني جنيه . عجز عن الحساب خاصة بعد أن اخترقت أفكاره صورة طفليه وأمهما وهم يتضرعون إليه لكي يعطيهم بعض المال لشراء ثياب للطفلين . .

ـ ولكن . . ما . . أقصد . . يصعب طرح الموضوع . .

ـ لماذا ؟ أنت إنسان ذكي وستسنح لك الفرصة المناسبة . .

آمل أن تسنح لك مساء اليوم . سوزي جميلة جداً ، ولا بد أن يكون الشيخ مسروراً وممتناً لك . .

احمرّ وجه أبي باسل . أراد أن يترك الطاولة ويخرج . . لكن شيئاً ما أقعده عن ذلك . .

ـ لا يا أبا باسل . . لا . . . أقصد أعذرني . . أنا آسف . . لكن نحن نعرف هؤلاء الـ . .

أراد أبو باسل أن يسأله عن الفرق بينه (بين أبي ناصر) وبين هؤلاء الـ . . ولكن ، وللمرة الثانية ، أقعده شيء ما . .

ـ حاول الليلة يا أبا باسل . . خمسة بالمائة من مليوني جنيه تعادل مائة ألف جنيه ، وأنا أدفع نقداً . . لا شيكات ولا إيصالات . . !! كيف حال ابنك ، المحروس باسل ، وشقيقته ؟

ـ بخير والحمد لله !! ولكن تعرف أيضاً أن لي ولدين ؟!

ابتسم أبو ناصر وقال

ـ ليحفظهما الله لك . . أنا عندي خمسة أطفال !!

ـ حفظهم الله لك . .

سادت فترة صمت . . . وخطرت على بال أبي باسل عدة أسئلة . . لم يسألها . . ولم تجد جواباً . . سأل نفسه : ما العلاقة بين جمع التبرعات وبيع الألماس المصقول في لندن ؟ كان يعرف

تماماً من هم تجار الألماس، ليس في القدس وحدها ، بل وفي جميع أنحاء العالم ، فهم على شفة كل أمير وأميرة سعودية وخليجية إلتقى بهما . . حيّره اللغز . . استمر الصمت بضع ثوان ، ثم قطعه أبو ناصر . .

ـ متى سنلتقي بالشيخ الشاعر ؟

ـ في السابعة مساءً . . إذا استيقظ . .

ـ خذ رقم هاتفي الخاص . . الناس يعرفون أنني أقيم في فندق من الدرجة التي لا رقم لها . . والغرفة محجوزة باسمي للتمويه . . أنا مقيم في شقة في «مي فير» . . هذا عنوانها . . ورقم الهاتف هو رقمي الخاص في تلك الشقة . .

يمكنك أن تتصل بي في أي وقت . . وأنا بالإنتظار . .

وقف أبو ناصر ، فوقف أبو باسل . . مدا يديهما مصافحين . . وقبل الإفتراق قال أبو باسل . .

ـ تعرف عني كل شيء . . ولا أعرف عنك شيئاً . .

ـ سبتعرف الكثير . .

ـ وماذا أقول للشيخ عنك . .

ـ قل له . تاجر ألماس مصقول بأرخص الأسعار !!

وشدَّ على يد أبي باسل ، وفي لمحة البصر ، خرج من

المقهى ، واختفى !!

وقف أبـو باسـل عند بـوابـة المقهى يحـاول أن يستجمـع أفكاره . . ولكنه عجز عن التفكير . . وحتى عن القيادة بشكل سليم . . وكاد يصدم بسيارته سيارة أخرى لـولا مهارة السـائق الآخر . . وصل إلى بيته ، وانسلّ في فراشه وبدأ مغازلة النوم . . سألته زوجته أين كان ومن الذي استدعاه . . قال : سأحدثك عنه بعد أن استيقظ . . أين الأطفال ؟ .

ولم يسمع أبو باسل جواب زوجته ، فقد أتاه النوم سريعاً هذه المرة . .

بعد ثلاثة أيام كان أبو ناصر وأبو باسل والشيـخ الشاعـر يحيطون بسوزي الشقراء التي خلبت عقل الشيخ وخرقت جيوبه . وكانوا يجلسون في زاوية هادئة من غرفة الإستقبال الكبرى في فندق «الرتذ» ، بعيداً عن الأنظار . أفرغت سوزي كأس الشمبانيا في جوفها دفعة واحدة ، فاستغل أبو ناصر الفرصة وتحدث باللغـة العربية الى الشيخ . .

ـ سيدي . . كما تعلمون . . موضوعنا بالغ السرية حبذا لو جلسنا لوحدنا . . أقصد . . على انفراد . .

ـ ماذا . . ؟ هل تريد أن يتركنا أبو باسـل ؟ حسناً فليكن ذلك .

اضطرب أبو ناصر قليلاً . .

ـ المقصود يا سيدي . . المقصود . . ربما نقلت من ألسنتنا بضع كلمات قد تفهم هذه الجميلة منها شيئاً !!

ـ ماذا . . سوزي تذهب ؟ ولكن . .

ـ أمرك يا سيدي ! أردت فقط أن نكون أكثر حذراً . .

نظر الشيخ الى سوزي نظرة عاشق ولهان ، ثم ضم صدرها الى صدره ، فمالت عليه . وبينما كان يقبلها قبلة طويلة امتدت احدى يديه الى قفاها ، فدفعت نفسها وضحكت ، وعندها أدخل يده تحت قفاها . . (وساعدها على النهوض) . . لم يقف هو طبعاً

ـ كم الساعة الآن يا سوزي ؟

ـ الثامنة . .

ـ اذهبي الى الجناح . . في الفندق . . خذي حماماً ساخناً . . وسأكون عندك في العاشرة . .

ذهبت سوزي ، وتحولت الجلسة الشاعرية الى جلسة عمل . : بدأ الشيخ :

ـ حدثني أبو باسل عنكم كثيراً . . وأنا مسرور بلقائي بك . . هل يمكن أن نرى البضاعة . .

ـ في أي وقت تشاؤون يا سيدي . . ولكن . .

ـ دعنا من «ولكن» هذه . . كم الثمن

ـ قبل أن تروها ؟!

ـ أبو باسل هو الكفيل . . ـ سآتي بها غداً . . وسنتفق على السعر . .

ـ إن كنت مصراً . . **فأت** بها الآن . : أو فلنذهب نحن إليها !!

ـ أنا رهن إشارتكم . . فلنذهب الآن !!

فتح أبو باسل عينين مشدوهتين . .

ـ ولكنها في صندوق حديدي في البنك !!

ـ كان ذلك قبل ثلاثة أيام . . ولكني حسبت حساب رغبة معالي الشيخ !!

لم تكن المسافة بعيدة بين فندق «الرتذ» وشقة أبي ناصر في «مي فير» . فمشى الثلاثة حتى وصلوها سيراً على الأقدام . الباب الخارجي مغلق . لمس أبو باسل بضعة أزرار بسرعة ، فانفتح الباب ، ودخل الجميع . وصلوا باب الشقة فوجدوا هناك رجلاً ضخماً هائلاً يقف على الباب ، تعرف عليه أبو باسل على الفور :

ـ أبا خليل !! ماذا تفعل هنا ؟

- أعمل عند أبي ناصر في المساء ! راتب منظمة التحرير لا يسد الرمق !!

- وهل يعرف مدير المكتب بذلك ؟

لم يجب أبو خليل ، لأن أبا ناصر كان قد ضغط على بضعة أزرار أخرى وفتح باب الشقة ، فدخلها الثلاثة ، وبقي «أبو خليل» عند الباب . ظهرت معالم الدهشة والإعجاب على وجه الشيخ الشاعر ، أما أبو باسل فلم يكد يصدق ما رأته عيناه . حتى الشيخ لا تتوفر له مثل هذه الشقق الفاخرة . سأل الشيخ . . .

- كيف حصلت على مثل هذه الشقة ؟ بحثت كثيراً عن شقة مثلها هنا فلم أوفق . . .

- إنها تابعة «للشغل» يا سيدي !!

- أتقصد . . أنها ملك للشركة ؟

- لا أعرف بالضبط ، ولكن أصحاب الألماس هم الذين دبروها . .

وسارع أبو ناصر الى جدار لم يكن يبدو عليه ما يوحي بأنه غير ذلك ، ثم أخرج من جيبه آلة صغيرة وضغط على أزرارها ، فتحرك الجدار ودخل في فتحة داخل جدار مجاور ، وانكشف أمام

الجمع صندوق حديدي كبير . . عالج سره أبو ناصر فانفتح هو الآخر ، ثم أخرج منه محفظة سوداء أنيقة ، سرعان ما انفتحت بناء على أوامر من شيفرة سرية أخرى .

ـ هذه هي البضاعة يا سيدي !!

ـ لكن لسان الشيخ كان قد شلَّ لما رأى ، فلم ينطق بكلمة واحدة !!

ـ هل أعجبتكم ؟

هز الشيخ رأسه . إحدى الماسات كانت بحجم زجاجة عطر صغيرة .

بعد فترة نطق الشيخ :

ـ كم الثمن ؟

ـ مليونا جنيه استرليني يا سيدي . الشركة لا تقبل الشيكات. تتسلمون هذه الحقيبة ونتسلم حقيبة مشابهة تضم المبلغ . .

ـ هذا كثير يا أبا ناصر !!

ـ إنها قطع نادرة يا معالي الشيخ . والشركة مصرّة على هذا السعر . . فالتكاليف باهظة أيضاً . .

ـ أفضل أن أتحدث الى مسؤولين أكبر منك في الشركة . .

ـ لماذا ؟

ـ لأنهم قد يتهاودون في السعر . ولأن لدي مشروعاً آخر . .

ـ وما هو ؟

ـ قلت لك إنني أود التعرف على رئيس الشركة . .

ـ حالياً أنا رئيسها !

نهض الشيخ وتوجه صوب الباب .

ـ لا تتصل بي بعد الآن . . مدير الشركة أو لا شراء . .

كان أبو ناصر قد سبقه الى الباب وقد فتح يدين ضارعتين وغطّى العرق جبيناً ذليلة ، وقال وخنقة الدموع في حلقه :

ـ يا معالي الشيخ . . مولاي . . اعذرني . . لم أقصد الإهانة . . اجلس وسأحدثك بكل شيء . . تفضل يا سيدي . . تفضل . .

عاد الشيخ أدراجه ، ثم جلس قبالة محفظة الألماس وأطال النظر الى ما فيها . التفت فجأة الى أبي باسل فوجده مسمراً في مكانه وعيناه على المحفظة ، ولكن بدا وكأنه لا ينظر الى ما فيها ، بل عبرها . . عاد أبو ناصر الى الظلام :

ـ سيدي . . تعرفون أن أصحاب الألماس سيطلبون مني

سبباً لإرسال المدير الى هنا . .

ـ قل لهم . . إنني سأشتري هذا الألماس ، وسأنشىء شركة معهم . . لتغطية منطقة الخليج والسعودية بأكملها ! هل هذا يكفي لظهور مدير الشركة . .

انهال أبو ناصر على الكرسي المقابل ، وبدا ساهماً يبحث عن جواب . . فجأة اعتدل في جلسته وراح يتحدث وكأنه شريط مسجل . .

ـ أصحاب الألماس يا سيدي يهود إسرائيليون ، مركزهم الرئيسي في القدس ، ولهم مقر كبير في نيويورك هم . . مافيا منتشرة في كل مكان . . و

اسمع ياولد!! لا تكرر هذا الكلام مرّة أخرى. . . . لا يهمني إن كانوا يهوداً إسرائيليين أم شياطين!! أنا لم أسمع هذا الكلام منك ولا من غيرك !! فهمت ؟! أنا أتعامل مع شركة الماس . وكفى !! وماذا يفيدهم ان يكونوا إسرائيليين . ولكن . . مرة أخرى . . أقول أنا لم أسمع ما قلته الآن ولا أعرفه . . فهمت . .

ـ **فهمت يا سيدي . . فهمت . .**

لاحت من أبي ناصر التفاتة الى أبي باسل . . كان العرق يتصبب من على جبينه ، وخيل لأبي ناصر أنه رأى دموعاً في عينيه . . ولكنه لم ينطق بحرف واحد . . لكن المتحدث كان الشيخ الشاعر : ـ

ـ أنـا هنا لمـدة أسبوع . . وأريـد أن أنهي كل شيء قبـل مغادرتي لندن . .

ـ ما رأيكم يا سيدي أن نلتقي «بمحامي الشركة» ونتفق على كل التفاصيل ، ثم استدعي المدير من نيويورك للتوقيع . . .

ـ موافق

ـ سأتصل بكم في أقرب فرصة . .

في الإجتماع الذي عقد بين يومين ، والذي حضره أبو ناصر ومحاميه ، الذي لم يكن سوى ذلك المحامي المدافع عن القضية الفلسطينية في بريطانيـا ، وأبو بـاسل ، والشيـخ الشاعـر ، تمّ الإتفـاق على أن صفقـة الألماس الحـالية تعتـبر جزءاً من أعـمال الشركـة ، وعـلى قيـام شركـة تسمى «شركـة ألمـاس الخليـج المحدودة » . اتفق على أن يكون شركاؤها في الخليج وأصحـاب فروعها الشيخ آل ثاني الذي حضر الإجتماع . . وأحد كبار الأمراء السعوديين الـذي سيكون المسؤول عن فـروعها في السعـودية . واتفق على تقاسم أرباح المبيعات في الخليج والسعودية مناصفة بين الشركة الأم والأميرين ، وحين طالب أبو باسل بأن ينص عقـد الشركة على حقه المقدر بخمسة بالمائة من الأرباح ، رفض الشيخ حتى ذكر اسم أبي باسل في العقد ، وتدخل أبـو ناصر ومحـاميه لإقناع أبي باسل بأن حقه «في ذمتهما» . . حتى بالنسبة للصفقـة الحالية ، أصر الشيخ عل عدم ذكر اسم أبي باسل ، السـائق

الصغير ، لكنه وعده بخمس سيارات مرسيدس من المانيا ، هدية شخصية منه . فسكت أبو باسل مكرها كارهاً . قدر رأس مال الشركة في الخليج والسعودية بثمانين مليون دولار ، وسلمت للشيخ أرقام هواتف في إسرائيل ونيويورك ، وذكر له اسم الشخص الذي سيصل في اليوم التالي من نيويورك لتوقيع العقد . وبالفعل ، نقل المسكين أبو باسل الجمع الى مطار هيترو في اليوم التالي والتقى الأمير وأبو ناصر ، يرافقهما الشيخ وأبو باسل ! ! بشخص وصل على ظهر طائرة خاصة من نيويورك ، كان يرتدي بنطالاً وقميصاً قصير الكمين ويدخن السيجار . لم يتوجه القادم من نيويورك الى مدينة لندن ، بل عقد الجميع اجتماعاً معه في أحد الفنادق القريبة من المطار ، ووقع عقد إقامة الشركة بصفته محامي الشركة الأم وبالنيابة عنها ، وأبرز وثائق تؤكد هويته ، وتؤكد أنه مواطن إسرائيلي من مواليد نيويورك . . ووقع المحامي الفلسطيني أيضاً بالنيابة عن أبي ناصر . . بينما وقع الشيخ العقد نيابة عن نفسه وعن الأمير السعودي (والوزير الهام) . لكن أحداً لم يشاهد الأمير السعودي في حين يقول أبو باسل ، الذي استطاع حفظ الأرقام الهاتفية التي تبودلت بين الطرفين ، أن فاتورة الهاتف التي سددها الشيخ الشاعر للفندق بلغت أكثر من ألفي جنيه، وأنه كان يطلب منه مغادرة غرفته حين كان يتحدث على الهاتف .

لم يحصل أبو باسل على السيارات الخمس ، ولا حتى على

عجلة سيارة واحدة ، وصار الشيخ يرفض استقباله . يقول أبو باسل إنه انفق كل مدخراته في ذلك الصيف على تكريم أبي ناصر ، وأنه لم يقبض أي مبلغ لقاء مرافقته للأمير في ذلك الصيف . لذلك قرر مطالبة أبي ناصر باستحقاقاته ، وبدأ أبو ناصر يتهرب منه ، فلجأ الى المحامي ، فقال له : أنا محامي الشركة وأفعل ما تقوله الشركة . وفي إحدى المرات التي نفذ فيها صبره توجه الى شقة أبي ناصر في «مي فير» وضغط على زر الجرس الخارجي . رد عليه صوت نسائي من الداخل . .

ـ من ؟

ـ أنا . . أبو باسل . . هل أبو ناصر موجود . .

ـ انتظر لحظة . .

وانتظر لحظة ، ثم تناهى اليه الصوت النسائي مرة أخرى . .

ـ لا . . غير موجود . .

ضرب أبو باسل رأسه بيده : هذا الصوت . . إنه مألوف تماماً . . إنه يعرف صاحبته . . فرك جبينه مرة أخرى . . ثم قال . .

ـ هل ترك لي رسالة ؟

ـ كلا . . لم يترك أي رسالة .

ـ ومتى يعود ؟؟

ـ لا أدري . .

ـ شكراً يا سوزي !! قولي له إنني أتيت لزيارته ، وسأعود ثانية .

ـ عفواً أبو باسل !! مع السلامة !!

استدار أبو باسل صوب سيارته ، فرأى سيارة «بي أم دبليو» فخمة تقف بجانب الشقة . أبو باسل يحب السيارات الفخمة ويحلم باقتنائها . لذلك وقف ينظر الى تلك السيارة ويتفحص مميزاتها ، ولكنه كان يفكر بشيء آخر . . القتل !! أبو ناصر لم يضحك عليه فقط ، بل ضحك على الشيخ أيضاً !! حتى سوزي جزء من الخطة !! بدأ يفكر بأسلوب قتل أبي ناصر ، وبعد الخطة . . خطر على باله ولداه وزوجته . . . من أجلهما فعل ما فعل . . إذا دخل السجن فماذا يجنون . . لا بد من خطة أخرى لا يكون هو المنفذ لها . . استئجار قتلة . . ولندن تعج بهم !! وبأرخص الأثمان . . سيبحث عنهم وسيستأجر واحداً منهم . . فجأة سمع فتح باب خلفه . التفت فرأى أبا ناصر وسوزي يخرجان من باب الشقة الخارجي ، ورأى جزءاً من جسد «أبي خليل» يختفي وراء الباب الذي انغلق . .

ـ ولكن سوزي قالت إنك غير موجود !

ـ لم تكن سوزي تعلم بوجودي !!

ـ أنا قادم لزيارتك . . دعنا ندخل الشقة مرة أخرى . .

ـ ولكن عندي سهرة هامة . .

ـ عد الى داخل الشقة . . وأرسل «سوزي» مندوبة عنك الى السهرة . .

ـ كيف تسمح لنفسك بالكلام معي بهذه الطريقة ؟ من تظن نفسك ؟

ـ السائق أبا باسل . . ولكن عد الى الداخل . . هذا إذا كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة . .

ـ وتهددني أيضاً ؟

ـ فتح الباب وأطل «أبو خليل» :

ـ ماذا ؟ هل ما زلتما هنا ؟

ـ تعال يا أبا خليل وخلصنا من «هذه الورطة» اقترب أبو خليل من الثلاثي الواقف هناك ، وعندما ميز وجه أبي باسل تغيرت لهجته

ـ ماذا ؟ أبو باسل هنا . .

ـ نعم يا أبا خليل . . وأريد أن أتحدث الى أبي ناصر . . وهو يرفض . سوزي . . خذي مفاتيح السيارة وشغليها !!

اتجهت سوزي الى سيارة الـ بي أم. دبليو وفتحت بابها وشغلت المحرك . .

ـ والآن أريد أن أذهب . . سأراك مرّة أخرى . .

ـ لن تذهب قبل أن نتحدث . .

ـ أبو خليل !! خلصني منه !

لكن أبا خليل اضطرب وتلعثم . . ثم توجه بسؤاله الى أبي ناصر :

ـ لماذا لا تريد أن تتحدث مع أبي باسل ؟

ـ **لأنني على موعد هام . .**

ـ ما قضيته حتى الآن في الشجار معه كان يكفي للحديث الذي يريد أبو باسل أن يحدثك به . .

ـ ماذا يا أبا خليل ؟ وهل «حنَّ الدم»؟؟ ! ثم التفت أبو ناصر الى أبي باسل وقال :

ـ أعرف كل ما تريد أن تقوله . . حقوقك مكفولة حسبما

ورد في عقد الشركة . .

ـ ولكن عقد الشركة لم ينص على أي حقوق لي . وعدتني أنت بخمسة بالمائة من الأرباح . .

ـ ولكننالم نبع الألماس !! بل أصبح جزءاً من رأس مال الشركة !! اسمع يا أبا باسل . . أنت لك أطفال . . فلا تحرمهم منك !!

وتوجه الى السيارة ودخلها ، فسارعت سوزي الى الإنطلاق بها .

تابع أبو باسل السيارة حتى اختفت ، ثم التفت الى أبي خليل : ـ

ـ هل تعرف ماذا يجري هنا ؟

ـ لا . . أنا حارس شخصي براتب

ـ وهل يعرف مدير مكتب المنظمة أنك تقوم بهذا العمل الإضافي .

ـ أنا لم أحدثه عن الموضوع . .

صعد أبو باسل الى سيارته ، وقادها ونظرات دهشة بلهاء تلاحقه من وجه أبي خليل . في اليوم الثاني نفذ فكرة أوحى له بها وجود أبي خليل في شقة أبي ناصر . توجه الى مدير مكتب المنظمة

وحدثه بكل شيء . . وبكافة التفاصيل . . أرغى المدير وأزبد وقال انه يريد المعلومات المفصلة كتابة، مع أرقام الهواتف السرية، ليعطيها الى «القيادة»، لتلقن هؤلاء «الأمراء والشيوخ» درساً لا ينسونه! بعد أيام قليلة، سمع أبو باسل أن مدير مكتب المنظمة طرد «أبا خليل» من عمله في المكتب. ثم أتى أبو خليل نفسه لزيارة أبي باسل ، حيث أبلغه بأن أبا ناصر طرده من خدمته في نفس اليوم !!

فهم أبو باسل أسباب الطرد المزدوج الذي تعرض له أبو خليل وتفهمه ، ولكن الذي صبره ولم يستطع فهمه هو ما رآه بعد أسبوع تقريباً . فقد دخل أحد المطاعم الراقية برفقة «أمير» آخر ولشد ما أدهشه، وصعقه ، أن رأى مدير مكتب المنظمة وزوجته والمحامي الفلسطيني الوطني والمدافع عن قضية فلسطين وقضية «شركة الماس الخليج المحدودة» في آن واحد ، رآهم يتناولون طعام العشاء ويضحكون ويسمرون كما يسمر أعز الأصدقاء . . اقترب أبو باسل من طاولة المدير وحيّاه ، دون أن ينظر الى المحامي !

- ايه يا أبا باسل . . هل كتبت المعلومات المفصلة وأتيت لي بأرقام الهواتف . . لقد حدثت أبا عمار عن الموضوع . . فلا تحرجني . . أريد المعلومات بسرعة . .

- لقد حدثتك بكل ما عندي . . . .

ـ كتابة يا أبا باسل .. كتابة ..

ـ اكتبها أنت ..

واستدار أبو باسل وخرج من المطعم .. عند الباب ، وقبل أن يغلقه وراءه سمع «فرقعة» ضحكة عالية . التفت الى الوراء فرأى مدير المكتب والمحامي الوطني جداً ينظران اليه ويضحكان !!

هنا نتذكر تلك الحفلة الصاخبة بدعارتها وسكرها وما جرى فيها من حديث عن القيم والمبادىء والسياسة التي أقامها الأمير خليل للدكتور غري في مقره في الرياض ، وتحدث فيها عن رسوخ دعائم الإسلام والعائلة المالكة والحب لأمريكا والتعامل مع اليهود ، وقول أحد الأمراء أن آل سعود يدفعون الأموال لمنظمة التحرير ، لا من أجل التحرير ، فهذا مطلب لا يخطر على بال آل سعود ، ويبدو أن المنظمة تخلت عنه ، ولكن من أجل أن تبقى المنظمة بعيدة عن «الأفكار الجذرية» أي بعيدة عن السبب الذي من أجله قامت وقدمت ما يزيد على الربع مليون شهيد منذ عام ١٩٦٥ .

وسواء كان أبو ناصر عميلاً للمخابرات الأردنية ، كما قال مدير مكتب المنظمة في لندن ، أو عميلاً للمخابرات الإسرائيلية وأصحاب الألماس الإسرائيليين، كما قال هو نفسه ، فإن موقف آل

ثاني ، وأبناء عمهم أمراء آل سعود ، من الألماس الإسرائيلي ، لا يختلف عن موقف السيدة «شريفة» من الأثاث الثمين الذي اشترته من لندن : فالموقف واحد والمنبت واحد ، والكلام واحد : نحن لم نسمع ولا نعرف . . أنت لم تقل لنا هذه بضاعة إسرائيلية ! هل فهمت ؟ ! فهمت يا سيدي !! فهمت !! ثم تتم الصفقات ، ولا أحد سمع ولا أحد دري . .

وسيكون الفضل لآل سعود وآل ثاني في تحرير فلسطين يا منظمة التحرير !!



الفصل الخامس
إمارات الشيخ زايد
والزوائد الاخرى

وتقفز الكاتبة دون مقدمات الى الإمارات العربية المتحدة ، لتخبرنا بأن والد الشيخ زايد وصل الى السلطة بأسلوب تقليدي يتلخص بأنه دعا الحاكم شقيقه الى حفلة عشاء في مساء يوم من عام ١٩٢٢ ، وأثناء تناول الحاكم ـ الشقيق ـ الطعام، أطلق عليه والد زايد النار من الخلف وقتله .

لكن سلطان ، والد الشيخ زايد ، سرعان ما لقى حتفه ، وتولى السلطة بعده شقيق آخر اغتيل ، حسب العادة ، عام ١٩٢٨ . هذا هو نمط العائلة الحاكمة ونمط علاقاتها ومدى محبة أفرادها بعضهم لبعض . وهكذا الى أن يصل الى سدة الحكم الشيخ شخبوط ، الشاب البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً ، فيصبح شخصية اسطورية ، أكثر ما فيها أسطورية: أنه كان يحتفظ بعائدات النفط في خزانته على صورة أوراق نقدية (بنكنوت) ، فغذتها الفئران وقضمتها (وهل يمكن هذا ؟ !) ، وهو الذي أراد أن يحمي شعبه من الأذى بمنع أي شكل من

أشكال التطوير الإقتصادي أو التجاري !!

وحين قرر الانكليز أن وقت شخبوط قد حان ، وأنه يجب أن يولي الأدبار ، تم ذلك ، ولكنه لم يصف جسدياً كالمعتاد ، لأن والدته كانت قد أخذت عهداً من أبنائها بألا يقتلوا بعضهم بعضاً ، فأعلن تنازله عن العرش . وصعد أخوة زايد الى سدة السلطان عام ١٩٦٦ (يطلقون عليه هناك اسم : صقر الصحراء) ، وما يزال الصقر طائراً حتى يومنا هذا . .

والشيوخ في أبو ظبي ، والشيوخ فقط يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون . وهم حقاً يفعلون : تحدثنا الكاتبة ليندا عن حادثة وقعت في مطعم الفندق الذي نزلت فيه في أبو ظبي ، حين وقعت عيناها على شيخ من هؤلاء متقدم في السن كان ينظر نظرة شهوانية ظاهرة الى فتاة صغيرة تجلس الى طاولة أخرى قريبة من طاولته ، فتهرب الفتاة الى غرفة صديقة لها ، **توقعاً** واحتساباً للخطر الدائم . فهي تعرف جيداً أن أياً من أفراد العائلة المالكة إذا أراد شيئاً ما ، ولو كان هذا الشيء فتاة أجنبية يستطيع أن يطلب البوليس ويطلب منهم إحضارها إذا شاء !!

وتتساءل ليندا : وماذا يتوقع المرء من هؤلاء ؟؟ هم من صنع الإنكليز الذين لم يكن همهم طوال فترة وجودهم الطويلة هنا سوى الإبقاء على الأمور هادئة في منطقة الخليج حتى تسهل

سيطرتهم عليها ، فلم يفكروا في عمل أي شيء بناء ، وما أن غادروا المنطقة حتى نسوها ونسوا حكامها ولم يعودوا يتذكرون سوى نفطهم وأموالهم ـ أي أموال الحكام ونفطهم ـ فتركوا زايد يسرح ويمرح لأنهم ظنوا أنه سيكون رجلاً حسن السلوك ـ تجاههم ـ متعاوناً معهم سيبقي أموال البلاد تحت سيطرتهم، وليفعل بعد ذلك ما يشاء!! لم يترك الإنكليز هناك مدرسة واحدة، ولا متعلماً واحداً. أما الشيخ زايد فقد بنى طرقات، خاصة الطريق من أبو ظبي الى العين ، حيث يحتفظ بعدد من زوجاته في تلك الواحة ، كما يحتفظ بشقيقه المخلوع، الشيخ شخبوط..

والمتحف ، كما كل وسائل الاعلام ، تضج بالنعيق مدحاً وتعظيماً للشيخ زايد ، حتى ليحسبه السامع مزيجاً من حكمة سقراط وحنكة فردريك العظيم السياسية . القليلون يتحدثون عن عدد العقارات التي اشتراها في بريطانيا ، في لندن ، وسسكس ، وحتى في اسكتلندة ، ومن هذا الذي سيحسد الشيخ الكريم على امتلاك مقر أو مقرين في الباكستان؟ ألا يستحق الرجل المكافح إجازة شهرين سنوياً يقضيها في باكستان ليصيد الغزلان . ثم إن صقوره التي تبلغ قيمتها ملايين الدولارات . . ألا تستحق أن تمارس هوايتها المفضلة ، هواية الصيد ، وأن تبرز مواهبها في هذا المجال ؟ والحقيقة أنه بزَّ حاكم قطر على المستوى الدولي ، فسفاراتها يغدق عليها بلا حساب ، حتى إن إحدى تلك

السفارات ، (وأغلب الظن أنها سفارته في لندن ، أيام كان سفيره فيها طيب الذكر مهدي التاجر) حصلت على لقب الدكتوراه (PHD) . ولكن بمعنى آخر . فهذه الحروف هي الأحرف الأولى لكلمة دكتوراه فلسفة في اللغة الإنكليزية ، ولكنها أيضاً الأحرف الأولى لكلمات انكليزية ثلاثة أخرى هي : دائرة الدعارة والتحشيش !! . . . وبالطبع فإن الشيخ زايد لا يمكن أن يعرف بذلك ، ومن هو ذا الذي سيجرأ على أن يقول أن زايد يعرف شيئاً كهذا؟؟ وهل يعقل أن يستحي مهدي التاجر بنفسه؟! إنه تلميذ سيده !! وحين خطفوا شقيقه في لندن . وطلبوا مليوني جنيه لإطلاق سراحه ، قال الخاطفون إنهم قرروا خطفه بعد أن تبجّح في برنامج تلفزيوني بأن مهدي التاجر هو أغنى شخص في بريطانيا (قدرت ممتلكاته فقط هناك بألفي مليون جنيه ، فاستحق بذلك لقب حامل الدكتوراه آنف الذكر) . كما صعد الى مرتبة النجوم مؤخراً وزير الخارجية ، أحمد السويدي ، رجل الأعمال والمصارف والحاكم بأمره في أبو ظبي بعد الشيخ زايد ، فهل يعقل أن يكشف عن ممارسات حبيبه المقرب مهدي التاجر !!

لقد سببت له زوجاته العديدات ، وولاداتهن الأكثر عدداً ، مشكلة حقيقية بالنسبة لخليفته ووليّ عهده ، فولي العهد الأمير خليفة، يعمل جاهداً ليكون محل رضى والده ، وتحقيقاً لأمله فيه ، ولكن الشيخة فاطمة الزوجة المدللة الوحيدة التي بقي عليها

الشيخ زايد قريبة منه في أبو ظبي (وليس في العين ، كما هي حال الزوجات الأقل حظاً) قد بدأ صغارها يكبرون وهي تطمح في أن يتولى المنصب السامي ابنها البكر محمد ، بعد عمر طويل يقضيه زايد في السلطة وجمع الأموال والزوجات !!

وهناك أيضاً أولاد العائلة المالكة الآخرون ، مثل الشيخ سعيد ، ابن الشيخ شخبوط ، وزوج ابنة زايد ، وهو من المقربين للشيخ زايد كثيراً ، خاصة بعد أن أطلق النار على شقيقته وقوادها ، ثم مات منفياً ومتأثراً بمرض السكر . كان الشيخ زايد يحبه الى درجة أصر معها على نقل جثته جواً الى البلاد ودفنها هناك . . ولم تكن المحبة فقط هي السبب ، بل السبب الحقيقي هو أن تتحول الجثة الى مشكلة سياسية !!

ثم هناك ابن أخيه الآخر ، الذي اعتاد على تمضية وقت فراغه بدفن المواطنين المساكين في الرمل حتى أعناقهم ، وتركهم هناك طيلة النهار الغائظ الملتهب ، لا شيء سوى للإستمتاع بالمشهد اللذيذ !!

ولكنه هو أيضاً مات . . متأثراً بالإدمان على شراب الويسكي المعتق !!

فمن بقي إذن ؟؟

نعم !! بقي الشيخ شخبوط نفسه !! الأخ والحاكم الذي أطاح به زايد . مسكين الشيخ المخلوع شخبوط ، راتبه السنوي من أخيه المحب زايد لا يتجاوز النصف مليون دولار سنوياً ، لا تكاد تكفيه لقوت يومه المتواضع في منفاه في العين . ولكنه ، زايد ، لا ينسى أخاه ، بل يبقى على صلة ـ هاتفية ـ معه بين الحين والآخر . .

ومشكلة الشيخ شخبوط أنه يحب الزوار ، ويسألهم ، من خلال مترجمه الخاص ، أسئلة كثيرة . فقد سأل البريطانية ليندا حين زارته : ما هو عدد طلبة جامعة كمبردج ؟ (ألا يكفيه ذلك برهاناً على اهتمامه بالعلم ؟؟) ، ؟ ومتى استخدمت الكهرباء في أوروبا لأول مرّة ؟ وأهم من ذلك : هل يزرعون الموز (البنانا) في كندا ؟ وبعد أن يطمئن الى أجوبة الزائرين ، يبدأ بالحديث عن عطلة الثلاثة أشهر التي قضاها في انكلتره في الصيف الماضي . . وغيرها من المواضيع التي تعبر عن مدى اهتمامه بكل ما هو غير ذي أهمية .

ثم هناك شقيق زايد الآخر ، ذلك الأخ الذي لا عين تراه ولا أذن تسمع به . هو أيضاً إنسان غريب الأطوار ، ولكنه ، ويا لسخرية القدر ، يملك نصف أبو ظبي !! وفي حين اشتهر عن الشيخ شخبوط أنه كان يكنز نقوده في أوعية من التوتياء ، فإن الشيخ خالد ـ ذلك الأخ المجهول ـ كان فعلاً يحتفظ بها في علب

التوتياء ، الى أن سطا عليه اللصوص الإنكليز في أحد فنادق لندن . فقد دخل رجل قال للخادمة إنه جاء لينظف الشبابيك ، وحين خرج من الغرفة ، كان يحمل سطله مليئاً بالجواهر والحلي . وحين عرض البوليس البريطاني بعض المشبوهين على الخادمة «المبرقعة» أقسمت أغلظ الأيمان بأن كل واحد منهم كان ذلك اللص الملعون ، فأطلق سراحهم جميعاً ، لأن كل الإنكليز يشبهون بعضهم بعضاً !!

هذا عن الشخصيات الحية والميتة التي كانت موضع اهتمام الشيخ زايد وتفكيره . . لكن هناك شخصيات أخرى من أصحاب السلطة والمال ، لا تغفل الحسناء ليندا ، ذكرها في كتابها . ويبدو أن ليندا (وسَتُفَاجؤون حين تعرفون من هي ليندا الحسناء هذه !!) كانت حسناء ، وربما كانت مجرد امرأة أجنبية لاقت الإستحسان من أصحاب الجاه والسلطان ، فاطلعت على الكثير مما لا يعرفه إلّا المقربون والخلان . .

تقول الحسناء إياها :

دعيت لحضور احتفالات العيد الوطني لدبي (ودبي ، كما لا شك تعرفون ، هي إحدى الإمارات المتحدة وتأتي في المرتبة الثانية من حيث الحجم) . وفي دبي يجني رجال الأعمال الباكستانيون ثروات طائلة ، ولكن الرعب والخوف يسيطر على حياتهم . فهم

يملكـون ، مع الهنـود ، جزءاً كبيـراً من دبي ، ولكنهم ، لأنهم أجانب ، لا يحق لهم احتلال العقارات . .

والحقيقة أن كلامي فيه الكثير من التواضع ، لأن هؤلاء لا يتمتعون بأية حقوق قانونية على الإطـلاق . وهـم لا ينسون مـا حدث لـ ٦٠٠ من مواطنيهم الذين عقدوا اجتماعاً لتدارس مشكلة النقص في حنفيات الماء في المنطقة . وما أن سمع سمـو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم ، حاكم دبي ، بالخبر ، حتى أمر بإقفال بوابات مكان الإجتماع عليهم ، ثم أمر بنقلهم من هناك مباشرة الى بلادهم ، قائلاً إن هذه سابقة خطيرة لا يمكن السماح بها !

وتصل ليندا الحسناء الى فندق الانتركونتيننتال الفاخر، فتجد أن الغرفة التي حجزها لهـا مسؤول في وزارة الاعلام. . . غـير متوفرة! ! ويثور غضب ليندا . فترفع سماعة الهاتف وتتصل بـ **محمد** زايد باجاسم ، مدير دائرة الاعلام في دبي : ويرد عليها المديـر الوسيم : تعالي لمقابلتي ! تعالي فوراً ! لكنها تفضل الإتصال برقم آخر : رقم مكتب الحاكم نفسه ، ولم لا ، فهي ليندا الحسنـاء والصحفيـة ايضاً !!يـرد على الهـاتف ، مجيبـاً مـرحبـاً ، المسـتر مندودي ، مدير مكتب الحاكم ، ويقول : تعالي لمقابلتي ، تعالي الى هنا على الفور . فتعاود الإتصال بمدير الاعلام وتخبره بأنها في طريقها الى مكتب الحاكم . فيعطيها محمد زايد باجاسم رقم هاتفه المنزلي ويتمنَّى لها حظاً سعيداً ، ويرجوها أن تتصل به إذا واجهت

مشاكل أخرى !!

وتضيف الحسناء ليندا : المستر أوسكار مندودي هو هندي الجنسية ، أنيق المظهر ، خاصة حين يكون بين البدو المتقدمين في السن . ولهذا أعجبت ليندا بمندودي ، ليس لأناقة مظهره وحسن طلعته فقط ، ولكن لأنه الشخصية الثانية في امبراطورية مهدي التاجر ، رجل الأعمال ، ومرتب الصفقات ، وسفير الإمارات في لندن (ولقد حدثناكم عن شهادة الدكتوراه التي تحملها سفارته هناك !!) ثم فرنسا . ويقوم أوسكار مندودي بالإشراف على دائرة النفط في دبي أثناء غياب سعادة السفير . الى جانب كونه مدير أعمال مهدي التاجر ، وأيضاً الى جانب كونه على اتصال دائم ، ليلاً ونهاراً ، بالشيخ راشد . فهو رجل قادر على تنفيذ المستحيل ، خاصة إذا كان ذلك المستحيل هو ممارسة اختصاص دكتوراه سفارة سيده وتأمين غرفة للحسناء ليندا في فندق انتركونتننتال دبي !!

هنا تتذكر ليندا ، وهي تراقب تسيير مندودي لأعمال سيده مهدي التاجر ، وما سمعته عن ثروة ذلك السفير الذي لا يغضبه أن يقول الناس عنه أنه «أغنى رجل في العالم» . وتتذكر الحسناء أن مهدي التاجر لم يكن سوى موظف جمارك من البحرين ، ثم جمعته الظروف بالشيخ راشد ، وكانت ليلة القدر مفتوحة الأبواب !!

وتتذكر ليندا الحسناء يوم التقت في مبنى الأمم المتحدة في

نيويورك بابن أخ مهدي التاجر ، عضو وفد الإمارات الى الأمم المتحدة . قالت له إنها تلاقي صعوبة في الحصول على تأشيرة دخول إلى الإمارات من السفارة في لندن . فقال لها محمد التاجر الذي كان صورة طبق الأصل من عمه : لا تقلقي ، فعمّي فقط هو القادر على تأمين تأشيرة الدخول . وكتب محمد رقم هاتف خاص وقدمه لليندا التي لا يرد لها طلب ، ثم طلب لها كأساً أخرى وقال : في دبي ، نحن رجال أعمال . تعالي الى شقتي في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم ، وستقابلين عمي بعد ذلك . . تقول ليندا أنها احتجت احتجاجاً بريطانياً تقليدياً على وقاحة محمد هذا ، مما أثار غضبه هو أيضاً فصاح بها ، وصاحت به ، لولا أن سارع دبلوماسي مصري للاعتذار ، بعد رحيل محمد ، وقال لليندا : عرب الخليج هؤلاء . . لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل بهم !! ثم انهم يتصرفون تصرف الصلف المتعجرف وهذا عليهم كثير ، ويبدو مهلهلاً !! (بالمقاييس المصرية . . طبعاً !!) . .

ونهي وصلة الذكريات التي تطلعها الحسناء الشريفة على الطريقة البريطانية ، وتعود الى عالم الواقع !! تقول ليندا : بقيت مع أوسكار مندودي حتى الساعة الثانية والنصف ، الى أن اتصل بمدير الفندق ، وبعد دقيقة أو أقل ، كانت الغرفة الأنيقة جاهزة . .

وقبل أن تتركه ليندا ، لم ينس أن يدعوها الى منزله بعد ظهر ذلك اليوم ، لا لشيء سوى لتناول الشاي معه ، وللتعرف على صديقته التي تقيم معه في نفس الشقة ، على الطريقة الإنكليزية أيضاً ، فأحسست ليندا بالإطمئنان !! وذهبت الى الفندق لتجد بانتظارها غرفة بالغة الأناقة فعلاً ، جهزت بالفواكه وزجاجات الشمبانيا . أدركت ليندا أن كلمة أوسكار لا تصير إثنتين. وهنا ولسبب بريطاني بحت ، قررت الحسناء أن تتصل هاتفياً بمنزل محمد زايد باجاسم لتخبره بما جرى وتزف له البشرى . لكن صوت امرأة انكليزية هي زوجة محمد زايد جاسم ، يرد على الهاتف ، فتقول لها ليندا إن الأمور سويت وأنها شاكرة لمحمد جهوده في هذا السبيل !!

تقبل ليندا دعوة أوسكار ، وتتوجه الى منزله حيث تلتقي بـ «مونيكا» السويدية ، الشقراء ، المشوقة ، وأهم من ذلك أنها شقراء (يبدو أن الهنود يعانون كعائلات الأمراء في الخليج والسعودية ، من عقدة الشقراوات ، أم نرى هي العدوى انتقلت إليهم من أولياء نعمتهم !؟) . تحضر مونيكا الشاي وتنسى أن تقدم لضيفتها شيئاً منها . مع الشاي تقدم مونيكا لأوسكار قائمة بأسعار المسكرات التي اشترتها فيتجهم وجهه : الفاتورة كبيرة جداً ، ومونيكا الشقراء السويدية تبذخ كثيراً ، خاصة في شراء الويسكي ، على حساب أوسكار .

وما أن يخرج أوسكار من الغرفة حتى يبدأ حديث أنثوي بين مونيكا السويدية وليندا البريطانية (التي تحمل صفات أخرى تكشفها خاتمة الكتاب) ، فتقول مونيكا أن «زوجة أوسكار تتعبه وتعذبه الى حد لا يطاق ، ولا يشعر بالسعادة إلّا حين يكون معي . نحن الآن على علاقة غرامية عميقة ، ولكن الناس يتحدثون عنّا وراء ظهورنا . . التقيت بأوسكار حين أتيت من لندن ، ووقع في غرامي من النظرة الأولى ، وتوسل لي لكي أبقى هنا وأعيش معه . والحقيقة يا ليندا أن المكافأة مرضية ، لذلك ، فأنا لا أهتم بما يقوله الناس» .

خلاصة القول أن ليندا تشعر بعد ذلك بدوخة ودوران ، فتتوجه الى فندقها ، وتقيس درجة حرارتها ، فتكتشف أنها عالية جداً . جسدها يرتجف ، وصوتها يختنق ، وتشعر بالحزن على نفسها ، ولكن الهاتف سرعان ما يأتي لنجدتها .

- «آلو ليندا . . زايد يتكلم . ماذا فعلت بي يا ليندا ؟ ليس من حقك أن تتصلي بزوجات الناس وتخبريهم بما فعلت ! . .»

كادت ليندا تجنّ من الغضب ! أو هكذا تقول في حكايتها . كان إذن هو محمد زايد باجاسم (وظنته للوهلة الأولى ، ومن تأثير المرض ، أنه الشيخ زايد يتحدث إليها من أبو ظبي) . . ولم يكن سوى مدير الإعلام في مكتب دبي . .

قالت ليندا لجاسم أن مشكلة الفندق قد حلت وأنها شاكرة ممتنة ، ولكن زايد الملح لا يتوقف :

«ولماذا لم تأتِ إليّ لتزوريني هذا الصباح ؟ لقد انتظرتك في مكتبي حتى الثالثة بعد الظهر» .

قالت ليندا ، لنفسها طبعاً انه كذاب ، ولكن لم تقل له ذلك ، بل قالت شيئاً غيره :

«كنت مع أوسكار مندودي في مكتب الحاكم » . .

كان انفجار زايد هذه المرّة أعنف من الأول ، فصاح على الهاتف :

«كيف تجرؤين على الذهاب الى أجنبي قذر قبل أن تأتي لمقابلتي . أنا العربي !؟ وأنا من دبي !! كيف تجرؤين على توجيه مثل هذه الإهانة لي ؟» .

ـ ولكن يا مستر محمد . .

ـ اسمي زايد . . . زايد . . .

ـ ولكن يا مستر محمد زايد . . إن المستر مندودي هو مستشار آخر للحاكم ، الشيخ راشد . ولم أكن أظن أنني ارتكب خطأ بلقائي به . .

ـ أنا أعرف أنك تكرهين العرب ، وتعتقدين أننا قوم خاملون

كسالى لا يعملون . حسناً ، ولكن اعلمي أنني درست في كمبردج ، (صحيح أنها كانت مدرسة لتعليم اللغة ، وليس الجامعة ، ولكنها كانت في كمبردج) !! ثم إنني رجل ينبغي عليك احترامه . وإذا لم تظهري احترامك . فسألقي بك خارج البلد وأطردك منها حين أشعر بالرغبة في ذلك .

تقول ليندا أنها ردت على الإنفعالات والتهديدات بأن وضعت سماعة الهاتف في مكانها ، وأغلقت الخط ! ثم ألقت بنفسها على الفراش واستسلمت لدموع الإحباط والبؤس . .

وتستيقظ في صبيحة اليوم التالي ، فتجد أن حرارتها ما تزال مرتفعة . اتصلت بموظف الإستقبال في الفندق وعلمت منه أن هناك طبيباً مقيماً في المستشفى ، وأنه قادم لمعاينتي . ولكن قبل أن يصل ، يرن جرس الهاتف مرّة أخرى ، ويأتي صوت ، سرعان ما تدركه أنه الكابوس الرهيب ، ـ كما تقول ـ من وزارة الإعلام . ولكن . . ما هذا ؟؟ إنه أمر عجيب غريب : صوت هادىء رقيق يأتي من سماعة الهاتف :

ـ ليندا . . لماذا لا تأتين الى مكتبي لمقابلتي أنا أدرك أن بعض سوء التفاهم قد وقع بيننا ، ولكن زوجتي أخطأت فهمك . . .

فتأكد لليندا أنه الكابوس !!

ـ أنا طريحة الفراش ، ومصابة بالأنفلونزا .

ـ سأرسل لك طبيباً على الفور !

ـ شكراً يا مستر محمد زايد . . .

ـ زايد فقط يا ليندا . . زايد فقط !

ـ لكن إدارة الفندق أمنت لي طبيباً . وسأتصل بك بمجرد تحسن صحتي ، وسنتظاهر بأن شيئاً لم يحدث . .

نسي جاسم أن ليندا لم تعترض حين قال لها إنه يعلم أنها تكره العرب ، فصاح على الهاتف ، ولكن ليعبر هذه المرّة عن مدى قلقه على صحتها الغالية :

ـ أنت مريضة في الفراش ؟! هذا أمر جلل : سآتي لزيارتك بعد ظهر هذا اليوم !

ـ شكراً لك ولكن لا ضرورة لذلك . . .

ـ سآتي في الساعة الرابعة والنصف . .

ولم يعطها فرصة للرد ، بل أغلق سماعة الهاتف على الفور .

تقول ليندا ، التي تحب الهنود والباكستانيين كثيراً ، إنها اتصلت على الفور برجل أعمال باكستاني يدعى آفتاب . وقالت له ان آخر شيء تفكر فيه هو أن تجد نفسها لوحدها في غرفة مغلقة مع هذا المعتوه المصروع (تقصد : زايد !!) . وطلبت منه أن يأتي لزيارتها في الساعة الرابعة والنصف ، فوافق بدون تردد .

حضر طبيب الفندق ، وشخص الداء وقدم الدواء ، مع وعد بالشفاء السريع وأدوية أخرى . لم أثق بكلا وعديه (لماذا ؟) . وصل الباكستاني الى غرفتها بعد الظهر ، وقد حمل رزمة من الصحف ، فجلس يقرأها ، وبدأ الإنتظار . .

يسمعان دقة على الباب في الساعة الخامسة ، فيفتحه آفتاب ويدخل محمد زايد باجاسم مرتدياً ثوبه الأبيض المعتاد وحاملاً بيده وردة حمراء . عيناه سوداوان بريئتان ، ومظهره يدل على منتهى اللطف والأدب . يعتقد خطأ أن آفتاب هو الطبيب ؛ فيعامله بحذر . .

تقول ليندا :

«جلس زايد على فراشي ليضع يده على خدي ، فيأتيه آفتاب بكرسي ، وتهمس ليندا البريطانية الشريفة المحافظة والذاهبة لمقابلة الشيوخ ومعاونيهم :

ـ عنقي تؤلمني . . فأرجو أن تجلس على الكرسي لكي أراك !

دامت زيارة زايد نصف ساعة ، ويبقى كل شيء هادئاً في الغرفة المحتشدة ، إلى أن يسأل زايد فجأة :

ـ وأين الطبيب ؟ ومن أين هو ؟

لم تفهم ليندا مقصده . .

ـ وما اسمه ؟

ـ الدكتور منير

ـ ألم تكوني تعرفين أنه فلسطيني ؟ !

ـ لم أسأله عن جنسيته !!

ـ الدكتور منير فلسطيني !! (سنعرف سبب قلق زايد على ليندا من الطبيب الفلسطيني بعد قليل !) . . لماذا تلقين بنفسك هكذا بين أيدي الأجانب ؟ لماذا الأجانب دائماً ؟ ولماذا لا تتعاملين مع العرب ؟

تقول ليندا :

ـ نظرت الى آفتاب، فرأيته هادئاً لا يرف له جبين . فقد كان أكثر خبرة بالحياة من أن تهزه مثل هذه الأمور . لكنه يجد أخيراً طريقة ما لكنس (كذا) زايد من الغرفة ، ثم يقدم لي حبتي أسبرين وهو يحاول كظم غيظه ، ويطلب لي فنجان كاكاو ، ويغادر الغرفة .

وتضيف ليندا قائلة : ـ

تحسنت حالتي في اليوم الثالث (هذا رغم أنها لم تثق بكلمات الطبيب الفلسطيني !) ، ولكن جرس الهاتف يعود الى الرنين :

ـ ليندا . . أنا زايد

ـ زايـد ! ولكن الساعـة تجاوزت الحـاديـة عشرة والنصف مساء . .

ـ نعم ، لكنك موجودة في غرفة محجوزة لوزارة الإعلام . وأنا مدير الإعلام في دبي . فأنت ، إذن ، في غرفتي !! وأنا قادم لزيارتك !!

ـ يا زايد ! هذه فكرة ليست صـائبة . سـآتي لمقابلتـك في مكتبك حين تتحسن صحتي وأرتب أموري . ثم أرجوك أن تتذكر أنني هنا ضيفة على سموّ معاون وزير الإعلام . . .

تقول ليندا : تلك كانت خطأ شنيعاً آخر ، لأن رد زايـد كان :

ـ آه . . نعم . . انه سوداني ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً . وأنا عربي ، وأنا من تحسب له الحساب . أنت تحتاجين الى سيارة أليس كذلك ؟ ! حسناً ، لن تحصلي على سيارة ! ولن تذهبي الى أي مكان في دبي ، ولن تقابلي أحداً إلاّ إذا كنت أنا من يقودك بسيارته إليه !!

تقول الشريفة البريطانية ليندا :

«وأصر على كلمته ، وأصررت أنا على استخدام تكسيات الأجرة في تنقلاتي . . ومرّة دق جرس الهاتف . كان ، كـالمعتاد الآن ، زايد :

ـ ليندا . . أنا زايد . . لن أدفع فاتورة غرفتك إلّا إذا سمحت لي بالحضور لعندك . لقد تحدثت الى الشيخ راشد ، وهو يرفض مقابلتك .

تقول ليندا ، التي كانت قد حضرت خصيصاً لمقابلة الشيخ راشد في دبي :

«تنفست الصعداء ، فقد كنت التقيت بالشيخ راشد مرة ، ولم أكن أريد مقابلة أي إنسان آخر في دبيّ . فقد طفح الكيل ، وسأذهب الى الشارقة . »

لكن زايد يتابع حديثه :

ـ تكلمت مع الشيخ سلطان ، حاكم الشارقة . هو أيضاً مشغول ولن يستطيع مقابلتك . ولكن إذا سمحت لي بالقدوم لعندك ، فسأجد طريقة لإقناعه باستقبالك !!

تقول ليندا : أغلقت السماعة في وجهه بعنف .

وحين اتصل بها أوسكار مندودي بعد أيام ، وأخبرها بأنه يعلم بما تتعرض له من مضايقات ، ودعاها للإقامة معه ومع صديقته السويدية الشقراء لاحظت أنه لم يعد بأن يفعل شيئاً لإيقاف زايد عند حده . . (فهو عربي من دبي ، وسيحتاج طرده من منصبه الى قرار مجلس وزراء الإمارات الإجماعي !!) .

اتصلت ليندا بمونيكا لتخبرها بموعد وصولها ، فوجدت أن مونيكا غير متحمسة لاستقبالها ، وفضلت البقاء في الفندق ، الى أن يحين موعد رحيلها . جاء أوسكار لوداعها ، وبدا أنه يعاني من شعور بالحزن والمهانة . قال :

«أنت تعلمين تماماً أنني أحببتك منذ اللحظة التي دخلت فيها مكتبي . كان عليك أن تتصلي بي . إنني معجب بك يا ليندا . . ففيك صفاء يأسر الألباب . . أنا لم أعد أؤمن بالناس . فالكل نتن متعفن . والكل أناني ، والكل قاس بالغ القسوة .

ربما كنت تتساءلين : ولماذا أعمل بكل هذا الجد ؟ إنني أريد أن أبرهن أنني قادر على القيام بعمل ما بدون دعم الإسم الساحر : مندودي (كان والده طبيباً يعمل أيضاً في دبي) . . حين أتيت الى هنا عملت بإخلاص في خدمة السفير والشيخ راشد . . . أما الآن . . لا . . ولم استغل علاقتي بهما . . أما الآن ، فإنني أريد أن استريح . . سأشتري منزلاً في الهند . . ومنزلاً في الريف الإنكليزي ، وربما شقة مناسبة في لندن ، ومنزلاً آخر في أوروبا ، في جنوب فرنسا على الأرجح . . وقد أحتاج الى منزل في الولايات المتحدة . لقد أدركت ما تفعله الأموال بالناس . . مثل السفير مثلاً . . الذي تعجبني طرقه وأساليبه . . . وصرت أنا أيضاً قادراً على القسوة على من أحب . . وما في اليد حيلة !! أنا آسف من أجل مونيكا ، يمكن أن تكون مصدر إزعاج لي ، ولكنني شخص

بالغ الحساسية . . وإنني أريدك أن تعرفي أنني معجب بك أشد الإعجاب !! وبالمناسبة ، كيف استطعت تدبر اللقاء مع حاكم الشارقة ؟ . .

ولم تبح ليندا بالسر ، حتى في مذكراتها !!

ومن قوة الشيخ راشد ، شيخ دبي إلى رحلته الصيدية القادمة الى الباكستان ، إلى مستوى نساء البلاط اللواتي يوجهن المسدسات الى صدور الخدم ويطلبن إليهم «الإنصياع» ، تنتقل ليندا الى الحديث عن الشيخة حسنة ، التي رأت والدها ، وهي في التاسعة من عمرها ، يذبح ذبح النعاج على يد منافسه ، ورأت عيون أفراد عائلتها تقتلع برؤوس السيوف من محاجرها ، وحين كانت في الثالثة عشرة أجبرت على الزواج بشقيق قاتل أبيها . فهل تستغربون إذا علمتم أن هذه المرأة أطلقت النار على زوجة زوجها الرابعة الحسناء وكادت تقتلها ؟

أما ولي العهد ، الشيخ مكتوم ، فله شعبيته في دبي ، ومصدر تلك الشعبية أنه أشاع أنه لن يسمح لأسلوب مهدي التاجر بالإستمرار حين يتسلم السلطة هو . أما مهدي التاجر . الذي اشتهر بمجموعة السجاجيد العجمية والنساء الجميلات اللواتي يملكهن ، فلطيف جداً مع الصحفيين (لكن اللغة الإنكليزية الملعونة لا تفرق بين الصحفيين والصحفيات) . لذلك

أعلن لهم ، رداً على تصريحات ولي العهد ، أنه سيصبح رجل أعمال عالمياً ، ولن يترك شيئاً في دبي ، حتى الفيلا الباهتة التي يملكها هناك ليست شيئاً يؤسف عليه ، خاصة إذا قورنت بقصوره المنتشرة في الريف الإنكليزي . لقد عمل مهدي التاجر بجد ونشاط ، وجنى ثمار عمله وعرق جبينه . خاصة فيما يتعلق بتهريب الذهب الى الهند ، وما يعني ذلك من ثروات طائلة لا حصر لها . لكن قد تستغربون إذا علمتم أن مهدي التاجر ، وكذلك أوسكار مندودي ، لم يدخلا الشارقة أبداً . حتى بعد أن قررت بناء مطار دولي كبير لا يبعد سوى مسافة دقائق عن مطار دبي الدولي . . الكبير أيضاً !!

وربما هناك سبب آخر لابتعاد مهدي التاجر وأوسكار مندودي عن الشارقة وهو أن حاكمها ، الشيخ سلطان بن محمد القاسمي ، هو أول حاكم في شبه الجزيرة العربية يحمل شهادة جامعية ، ليست صورة طبق الأصل عن شهادة الدكتوراه (PHD) التي حصلت عليها سفارة مهدي التاجر في لندن .

وربما كان مهدي التاجر يخاف من أسلوب التعامل العائلي(!) داخل الأسرة الحاكمة في الشارقة . ففي عام ١٩٦٥ أطاحت بريطانيا بحاكم الشارقة الشيخ صقر ، لأنه كان شديد البخل ، كما كان الحاكم الشيخ شخبوط ، أو هكذا قال الإنكليز !! وأتوا بشاب مطيع متعاون ، هو الشيخ خالد ، عينوه

مكانه ، وجرت الأمور على خير ما يرام (بالنسبة لبريطانيا) حتى عام ١٩٧٢ ، حين قرر الشيخ صقر أن يستعيد سلطانه ، فأطلق النار على الشيخ خالد وقتله . لكن الشيخ زايد ، رئيس الإمارات العربية المتحدة ، قرر إجراء محاكمة عادلة ، كان المفترض بها أن تكون محاكمة علنية . لكن ذلك لم يحدث ، ووضع الشيخ صقر تحت «الحراسة» وسجن في بيته في العين ، أيضاً مثل الشيخ شخبوط !!

كان لا بد من البحث عن حاكم آخر للشارقة ، لكن لم يكن من الممكن تعيين أحد إخوة الشيخ القاتل الأقوياء . في ذلك الوقت كان الشيخ سلطان ، شقيق خالد الأصغر ، يقضي الوقت في مزرعته ، يحاول استخدام مكيفات الهواء لترطيب أنفاس مزروعاته الصيفية ! وكان قد وصل لتوه من القاهرة ، وعمل مدرساً في المدارس الصناعية ، حيث حصل على شهادة في العلوم الزراعية لأن الزراعة تستهويه .

وهكذا صعد سلطان الى سدة الحكم في الشارقة . يستقبل سلطان الصحفية الحسناء ، ليعلن لها أنه يريد لبلده أن تكون مختلفة عن بلدان أخرى كان أذكى من أن يذكر اسمها ، ولهذا فقد قرر تعيين الأميركي بارت باف مستشاراً دائماً له ، ربما لأنه يتمتع بمظهر ستيف مكوين أكثر من كونه خبيراً حقيقياً ، خاصة عندما تسأله إذا كان يستعد لأن يكون «مهدي التاجر» الشارقة . .

أما كيف تمكنت ليندا من مقابلة الشيخ سلطان فحكاية ممتعة للغاية ، وما سببها سوى مدير الإعلام في دبي الذي أخبرها بأنها لن تستطيع مقابلة الحاكم إلاّ إذا سمحت له بزيارتها في غرفتها !!

تقول ليندا :

«كنت في بهو الفندق في دبي ، في محاولة للهرب من اتصالات مدير إعلام الإمارة الملحة . وكنت في غاية التجهم والإكتئاب . رآني أميريكي شاب ، ومعه عربي يشبه البوم ، فيسألان بلهفة : هل أنت بخير؟ ولما لم أكن بخير أبداً ، فقد رافقاني الى مقهى الفندق ، حيث عرفت أن الأميريكي باري كويلك هو منتج سينمائي أما العربي فهو الشيخ أحمد بن محمد القصيمي ، من الشارقة فهم الشيخ أحمد مأساة دبي على الفور ، وبعد خمس دقائق فقط كان قد رتب لي لقاء مع ابن عمه الحاكم .

«أحمد لا يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . ولأن والده محمد لم يكن على وفاق مع شقيقه الحاكم ، الشيخ صقر ، فقد رحل مع عائلته الى السعودية وعمل ككاتب في شركة آرامكو . بعدها عاد الى دبي . وصار رجل أعمال ، وأرسل ابنه أحمد للدراسة في لندن . وسرعان ما أصبح والده أغنى وأقوى شيخ في الشارقة بعد الحاكم نفسه . يقول أحمد : إن والدي لن ينسى أبداً أن شقيقة قتل شقيق الحاكم . أما الشيخ سلطان فيريدنا أن ننسى

ذلك كله . لقد قدم لي الأرض وعلمني أن أبني عليها ، ودربني على يدي بارت باف . إنه عمل شاق ، وأنا لا أملك مالاً خاصاً بي ، ولا أملك سوى الأرض . وسيكون علي أن أقترض المال من المصرف . ولا أظنني ذكياً بما فيه الكفاية ».

«وأحمد مخطوب لابنة عمه ، عائشة ، ابنة الرجل الذي قتله عمه . ومن هنا تأتي أهميته ، لأن هذا الزواج سيمحو الماضي . . »

«وفي اليوم التالي ، أتى أحمد لمرافقتي الى شاطىء البحر . لم استطع تمييزه هذه المرة ، لأنه كان يرتدي الجينز ، فلا بد من سبب لذلك . ووصلنا الى شاطىء البحر ، ولكن بالرغم من أن القميص قصير الأكمام وبنطال الجينز كان أحمد ما يزال يبدو لي كالبوم وراء تلك النظارات الذهبية الإطار، ولكنه وسيم ، وهو ما لم أكن قد لاحظته من قبل .

وتسأل ليندا أحمد : ـ «الجينز غير حالك. أليس كذلك؟» .

فيجيب أحمد : «ماكنت أستطيع الحديث معك بهذه الطريقة لو كنت مرتدياً الثوب الرسمي» .

وتضيف ليندا :

ـحين كنا عائدين الى دبي ، تجاوزتنا بسرعة جنونية سيارة رولز رويس يقودها شاب صغير . يظهر الحزن على وجه أحمد . سائق السيارة هو أخوه الصغير سالم . يقول أحمد : إنه ما يزال في

السادسة عشرة من عمره . ولكنه يذهب الى لندن لوحده في الصيف وينزل في فندق بريتانيا ، وعائلته تشجعه على ذلك ، وتقول إنه في السادسة عشرة ، فهو رجل إذن . وهو يشرب الويسكي ويطارد الفتيات . وما يزال طالب مدرسة . حين كنت في سنه لم يكن أحد قد سمع بالشارقة ، ولم يكن لدينا المال لنعيش كما يعيش هو . أما الآن فأنا من شيوخ النفط . وحينما ذهب فأنا «الشيخ أحمد» وأنا لا أطيق ذلك .

الفصل السادس

البحرين

جزيرة الأقزام السبع

كما آل سعود في السعودية ، كذلك آل خليفة في البحرين ، يستطيعون أن يملوا إرادتهم على كل شيء وكل إنسان لا يخرج عن هذه الإرادة إلّا القليل من الأشياء ، مثل حرارة الطقس مثلاً . ولكن هناك بعض الإختلافات بين آل سعود وآل خليفة ، ففي حين يسيطر السعوديون على ثلاثة أرباع الجزيرة العربية ، فإن مملكة آل خليفة لا تتجاوز مساحتها لبضع جزر مبعثرة ، أكبرها بحجم جزيرة بريطانية صغيرة . ولكن البحرين ملك لآل خليفة ، وهم يحكمونها منذ عام ١٧٨٣ ، حين خرجوا من الجزيرة العربية وعبروا الممر المائي الضيق الفاصل بين اليابسة والجزيرة ، وأخرجوا شعبها منها ، واقتسموا أغنى البساتين والحدائق فيما بينهم .

وتتمركز قصور آل خليفة في ضاحية زفعة ، حيث حشدوا في تلك المنطقة التي تبعد مسافة تسعة أميال عن المنامة ، عاصمة البحرين ، مجموعة من القصور الفخمة .

تقول الشيخة الشابة مريم آل خليفة ، التي فاجأها حرّ الصيف بينما كانت تستعد لفصل الشتاء : «أؤكد لك أننا لسنا أغنياء» وتكاد الصحفية الحسناء أن تصدقها ، لولا الأثاث الذي كان يحيط بها ، والثياب التي تشتريها الشيخة الشابة من لندن وباريس وسان فرانسيسكو وريودي جانيرو ، وحتى من باربيدوس . .

وكذلك زوج مريم ، الشيخ عيسى بن محمد ، الذي انضم الى عضوية الحكومة البحرانية ، ينقلونه من وزارة الى أخرى ، حسب توفر الفراغات بمكانة آل خليفة . والحقيقة أن الشيخ عيسى مهندس بيترو-كيميائي ، درس في انكلتره ، ولكن هل تتصورون أن ابن آل خليفة يمكن أن يتنازل الى منصب مهندس ، ومقامه الطبيعي وزير ، ثم إن بالإمكان استيراد المهندسين من أمريكا وانكلترة ، فلماذا تعب البال ، وآل خليفة أهل حكم ، ووزارات ومقامات .

وهم لا يختلفون كثيراً عن آل سعود من حيث العدد أيضاً . فقد أجرت الصحفية إحصاءاً أثبت أن عددهم ٣٠٠٠ فقط ، وقد أدهش ذلك الشيخ عيسى ، الذي قال : كنت أعتقد أننا ٥٠٠٠ على الأقل . . !!

وقبل أن تنهي الشيخة مريم حديثها مع الصحفية ليندا ،

تنصح الأولى الثانية بأن تذهب لزيارة صديقتها ، ابنة حاكم الكويت . «كانت هي وزوجها يأتيان لزيارتنا وقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندنا في (بير نموث) في انكلتره ، حين كان عيسى يدرس هناك . كنا نقضي وقتاً ممتعاً مع بعض ، ولكنها ليست على الاتيكيت تماماً . تصوري أنني عندما ذهبت لزيارتها في الكويت ، وألقيت نفسي في حوض السباحة الملحق بالقصر ، وجدت أنه مملوء بماء البحر ؟ هل تتصورين ذلك يا ليندا ؟ ! ماء البحر !؟ فقلت لها : كيف تبخلين على نفسك هكذا ؟ ! أبوك حاكم الكويت ، ولا تملئين حوضك بالماء المقطر ؟ ».

لكن ليندا تكتشف أن البريطانيين عملوا بجد في البحرين ، فغيروا معالم شخصيتها كما لم يغيروها في أي مكان آخر . فحاكم البحرين ، الشيخ عيسى ، يحضر كضيف شرف مباراة للملاكمة ، ويقال إنه بعد أن يقدم الكأس للفائز ، يوزع ، بعيداً عن جنحة الإعلام ، هداياه الشخصية على المهزومين : سيارة فخمة لكل واحد منهم !! ويحاول آل خليفة مجاراة العائلة الملكية جارتهم ، أي عائلة آل سعود ، ولكنهم لا ينجحون دائماً : ولكن الأثر البريطاني أقوى وأعمق ، فأسواق البحرين تعج بالنساء الأوروبيات نصف العاريات . ومقابل رجال الأعمال الأوروبيين الذين تقابلهم في السعودية ، تجد هنا عمالاً ميكانيكيين وجنوداً بريطانيين فضلوا الإستقرار هنا بعد الإستقلال والتنعم بحياة

الطبقة الوسطى التي لم يكونوا ليحلموا بها في بريطانيا ، فالمسكرات هناك رخيصة وكذلك السجاير .

والخلاف الآخر بين آل سعود وآل خليفة هو أن النساء السافرات يملأن الدوائر ، خاصة مكتب البريد الرئيسي في المنامة عاصمة البحرين . ولا تجد فارقاً بين هؤلاء النساء والنساء الأوروبيات الواقفات عند الطرف الآخر من المكتب ، أي الزبونات ، فهو أن النساء البحرانيات يستغرقن وقتاً أطول حتى تتفرج أساريرهن . ولكن الفتيات البحرانيات يعملن جنباً الى جنب مع الرجال في مختلف المكاتب الحكومية ، والثياب القصيرة التي تكشف كل شيء ، أو بناطيل الجينز ، هي الزي التقليدي المعاصر للفتيات هناك . وحين ينتهي وقت الدوام ، يركبن سياراتهن الخاصة ويقدنها عائدات الى بيوتهن .

وحين غادر البريطانيون البحرين تركوا وراءهم دور سينما ووسائل تسلية كثيرة أخرى .

وتشد البحرين الأحزمة على البطون في هذه الأيام . أما في الثلاثينات فقد تمتعت بثروة مفاجئة لم تكن تحلم بها ، حين أصبحت أغنى دولة خليجية ، بعد أن اكتشف النفط فيها وتم استخراجه منها قبل أن يستخرج من أي بلد خليجي آخر . في تلك الفترة اشترى الحاكم الداهية بعض الأراضي في الكويت ، مقابل قروض قدمها

لجاره أمير الكويت . لم تكن تلك الأراضي تساوي الكثير في تلك الأيام ، أما الآن فإنها جعلت من حاكم البحرين الحالي مالكاً لفندق هلتون الكويت . وكذلك لمبنى السفارة الأميركية ، بالإضافة الى عشرين ڤيلا أنيقة أخرى . ولكن احتياطي البحرين من النفط ينضب بسرعة ، ودخلها الرئيسي يأتي من النفط السعودي المكرر الذي ينقل الأنابيب عبر البحر . .

من الواضح أن سوء الإدارة وتهلهل الجهاز الحكومي وجهاز الخدمات لا يقلق سلطات البحرين قدر ما يقلقها ، ويخيفها ، ما يشاع عن تغلغل الماركسيين والبعثيين الى البحرين . منذ سنوات والمراقبون يتوقعون سقوط آل خليفة وانتهاء عهدهم ، ولكن القليلين هم الذين يعلمون أن البحرين تمتلك أقوى جهاز أمني في منطقة الخليج ، وأن هذا الجهاز هو أحد الأشياء التي ورثها آل خليفة من الانكليز . حتى الذي يشرف على الأمن الآن هو بريطاني ، واستعماري من الطراز القديم .

ومدير الاستخبارات البحرانية البريطاني يراقب كل شيء حين اغتصبت سكرتيرة أميريكية في العام الماضي ، لم يهدأ مخبروه حتى اكتشفوا الفاعل في خلال يومين . وهو محل ثقة آل خليفة ، لأنه يوفر لهم الأمان ليناموا نوماً عميقاً هادئاً . هم بحاجة إلى هذا الشعور بالأمن ، خاصة وأن ماردين يحيطان بهم : المارد الإيراني من الشرق والكابوس السعودي من الغرب ، فالسعوديون يخافون

أن تتحول البحرين الى كوبا ثانية ، وهذا آخر شيء يمكن أن يقبلوا به أو يفكروا به !!

أقامت البحرين مجلساً وطنياً كان هدف آل خليفة منه « فتح منفذ للتنفيس » . ولكن « التنفيس » كان من القوّة أن وصلت رياحه إلى آل سعود ، فغضبوا فأمروا باغلاق المجلس وحله ، فأغلق وتم حله عام ١٩٧٥ ، ولم يعد للانعقاد حتى الآن !

أما الجسر الذي افتتح حديثاً عبر البحر بين السعوديه والبحرين ، فالواقع أنه يقلق الطرفين السعوديون يخافون من أن يسافر أمراؤهم وأثرياؤهم إلى البحرين لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع مضيفات الطائرات ، وتحت سلطان المسكرات (ولماذا كل هذا الخوف بالله عليكم !!) أما أخشى ما يخشاه البحرانيون ، أي آل خليفة، فهو أن تتحول البحرين إلى منفى و « مزبلة » للهاربين من القهر والقمع السعودي . فالبحرانيون يريدون الاستمتاع بثروتهم وحياتهم الناعمة ، كما تقول الناعمة ليندا ، بعيداً عن الإزعاج والمزعجات .

الحياة الناعمة هناك لها معالمها : في عام ١٩٧٥ ، كان هناك ٨٠٠٠ مدمن على المسكرات ، والبحرانيون ينشرون احصائياتهم وأرقامهم ، أما السعوديون فيقولون لك إذا سألتهم إنه لا وجود للمدمنين في السعودية ، لأن المسكرات غير موجودة في البلاد !!

إن البحرانيين لا يتحدثون بوجه مزدوج كما يفعل السعوديون .

سوى في بعض المجالات : كأفلام الدعارة مثلاً ، التي تقدم كآخر طبق من حفلة عشاء صاخبة . الزوجات والأزواج يذهبون في رحلة لقضاء عطلة نهايـة الاسبوع ، ليس دائـماً مع بعضهم البعض ، الزوجة تذهب إلى ڤيلتها على شاطىء البحر ، والزوج ذاهب لحضور « حفلة عزوبية » في ڤيلته الخاصة به .

لكن الأمور تجري بهدوء ، وبدون صخب . خذ الشيخة **دانا**، مثلاً ، فحين كان زوجها يستقبل طائرة الكونكورد لـدى وصولها في رحلتها الأولى إلى البحرين ، لم تكن بجانبه ، بل كانت تتمتع بركوب الخيل ، كالمعتاد ، وشعرها الأشقر الطويل يتمايل مع الهواء وراءها فهي اسكندنافية وهي زوجة الشيخ عيسى بن عبـد الله آل خليفة ، مـدير عـام الطيران المـدني في البحرين ، تزوجها بعد أن التقى بها في جامعة كاليفورنيا ، وطلب منها أن تعلمه اللغة الروسية (فأمها روسية) . أما سبب رغبته في تعلم الروسية فـإنه ، حسب رأي زوجتـه ، انه أراد أن يثبت أنـه ، لمعرفته باللغة العربية ، سيتعلم الروسية بسهولة .

وهكذا كان ثمن الدروس الخاصة هو الزواج .

ووجدت العروس الإسكندنافية نفسها وحيدة في بيروت مع طفلها الأول ، بعد أن **عاد** زوجها« ليرتب الأمور في الوطن » .

وكان من نتيجة ترتيب الأمور أن صادر الحاكم الشيخ سلمان كل أراضيه الواسعة ليعلم به الآخرين ، وصادر جواز سفره . حتى أنه صادر اسمه ! فبقي اسمه عيسى بن عبدالله بدون آل خليفة .

لجأ عيسى إلى الدهاء ، فزوجته بلا مال ولا دخل ، ورأى أن أفضل طريقة يمكن أن تخرج الأموال من عائلته هو أن يطلقها !! وهكذا كان . أخذ كتاباً مدرسياً وقص منه الصفحة التي كتبت فيها : أنت طالق ثلاثاً ، ثم وقعها ووضع عليها ختم آل خليفة ؛ ومعها شيك بمبلغ تسعمائة جنيه ، ثم وضع مع رسالة الطلاق رسالة آخرى يخبر فيها زوجته بمخططه .

وانتظر طويلاً أملاً بإن تعود عائلته إلى رشدها حسب قول الصحفية ليندا ، ولكن بدون جدوى . فعاد إلى زوجته وراح يبحث عن عمل ما في الشرق الأوسط ، ولكن آل خليفة كانوا له بالمرصاد . وكانوا يسبقونه إلى أي مكان يقصده ،وحين شاع خبر تنكر عائلته له ، صار الجميع يرفضون تشغيله . وأخيراً أشفق عليه مدير مدرسة انكليزي في بيروت ، وعرض عليه وظيفة تعليمية . ولكن قبل أن يقبض راتبه الأول من تلك المدرسة ، جاءته برقية ترحب به في البحرين وتصفح عنه . هذا ما قالته دانا للصحفية ليندا ، وقالت مفسرة ذلك أن آل خليفة استسلموا بعد أن وجدوا أن عيسى مصمم على الاحتفاظ بزوجته . ولكن العفو (الملكي) لم يشمل زوجته ، لذلك ، حين توجه هو إلى الساحل

الشرقي للسعودية للعمل هناك ، رحلت هي إلى القاهرة لتعيش هناك مع طفليها .

وأخيراً عقد عيسى بن عبد الله صفقة مع عائلته تعهد بأن يتزوج بزوجة من آل خليفة مقابل أن تسمح له عائلته بأن يحضر دانا إلى البحرين فجاءت مع الخيول التي كانت تربيها في القاهرة ، ولكنها وجدت عيسى يستعد للسفر إلى لندن ، مع زوجته الجديدة ، لحضور دورة تدريبية تستمر عاماً كاملاً . وكانت العائلة تراقبها مراقبة دقيقة طوال ذلك العام ، انتظاراً لارتكابها ولو خطأ واحداً ولكن الاسكندنافية تقول إنها اجتازت الاختبار بنجاح .

بعد وفاة الحاكم الشيخ سلمان ، وقف ابنه عيسى موقفاً مختلفاً تماماً من ديانا الشقراء ، فأغدق عليها أجمل اللآلىء . . . ولكن عيسى (زوجها) يقيم مع زوجته الخليفية رغم أنه « يزور » دانا كل يوم تقريباً .

في السعودية ، آل سعود هم القوّة التي لا يعلى عليها ، وهم أغنى من كل رعاياهم مجتمعين ، أما في البحرين فتوجد مجموعة من التجار تدير أعمال آل خليفة التجارية فهم بحاجة للتجار ، والتجار بحاجة لهم ، وآل خليفة هم الحد الفاصل بين التجار . . . والاشتراكية . هذا النظام القائم على « الدعم »

المتبادل يوفر للتجار حرية تطوير شخصياتهم التجارية الخاصة ، كما أن الحياة في حيز ضيق كالبحرين يجعلهم يتحملون بعضهم البعض .

وتسأل الصحفية : هل بقي أثرياء في البحرين ؟؟ ثم تجيب على سؤالها قائلة :

« هناك في شبه الجزيرة العربية ستة آلاف عربي على الأقل ينفق الواحد منهم ربع مليون جنيه على شراء المجوهرات . ستة فقط من هؤلاء من البحرين . وهم رؤوس نفس العائلات التي تشرف على أعمال آل خليفة التجارية . لكن ما يشترونه يخبئونه في صناديق حديدية ، مع نقودهم الأخرى . نعم ، ما يزال هناك بعض الأثرياء في البحرين ، ولكن يستحيل القول كم من ثرواتهم بقي في تلك الجزيرة .

من العائلات الثرية عائلة اليتيم ، التي خطف أحد أبنائها إحدى بنات آل خليفة وتزوجها في لندن ، فقامت القيامة ولم تقعد ، وهناك عائلة قنوع ، التي تمتلك وكالات جنرال موتورز وجوديير وتشامبيون وانكلش الكتريك وتويوتا الخ . . . لهذا نرى أن عائلة قنوع هذه هي الوحيدة التي تزورها سيدات آل خليفة بانتظام .

وهناك عائلة علي رضا البحرانية . ولكنهم ليسوا كأولاد

عمومتهم في السعودية فهم ليسوا في الصف الأول بين طبقات التجار . يحكى عن عائلة علي رضا في جدّة أنها « بلا أصول » ولكنهم محترمون ، وأصولهم الإيرانية لا تؤثر كثيراً على مقامهم ، وثرائهم الواسع . أما الفرع البحراني من العائلة ، فهم « على طرف جرف أو هاوية » : إيران مصدر تهديد هنا ، ومجرد تحية من إيران تعتبر نقطة استفهام ! إذا تزوج فرد من عائلة علي رضا بفتاة مصرية مثلاً ، مثل نيڤين مغربي ، زوجة عبد الله علي رضا ، ينسى الناس الأصول الإيرانية ، ولكنهم لا ينسونها أبداً إذا تزوج أحدهم من إيرانية ، كما فعل الأخ الأكبر محمد علي رضا . وتتلفت النساء « الراقيات » حولهن ثم يهمسن : هؤلاء ليسوا بحرانيين . . . إنهم يتكلمون الفارسية في بيوتهم . . . فلماذا تضيعون الوقت معهم ؟ أنا ذاهبة للجلوس مع نيڤين ! !

وفي بيت السيدة نيڤين ، تُمَدّ طاولة الطعام ، ويعلوها أول شيء كؤوس النبيذ المعتق . ولكن الصحفية البريطانية لا تشرب المسكرات ! ! فترفع الكؤوس من على الطاولة بأدب جم . ولكن الطعام يأتي شهياً ، فالسيدة مصرية ، وأمها عندها ، والعائلة عريقة في صنع الطعام الأوروبي الذي تحبه ليندا كثيراً .

ولا تقل عائلة فخرو أهمية عن عائلتي قنوع وعلي رضا . فقد استوردوا عبيدهم من افريقيا الشرقية ، واستوردوا الاخشاب والبهارات من الهند ، وحصلوا على الوكالات التي تدر الملايين .

وفوق كل هذا ، فإن أحمد يوسف فخرو مخلص للحاكم شديد الإخلاص ، فيقول عنه « إنه واحد من أعظم الزجال في العالم » . . . ويتابع حين يرى نظرات الشك في عيني الصنحفية : ربما كنت لا تصدقين ذلك ، ولكن لا حاجة بي لأمدحه لو لم أكن أحبه . . أنا لست معتمداً عليه » . . . وهو صادق في قوله هذا ، فالحاكم هو الذي يعتمد على أحمد يوسف فخرو أما عبد الرحمن ، وهو أحد أبناء يوسف فخرو الأحد عشر ، فلسانه يقذف النقد والانتقاد بلا حساب ضد كل شيء في هذا العالم !! ويتحدث بصراحة عن تقصير بلاده وتأخرها ، وعن كبت حرية التعبير فيها ! حرية التعبير !؟ ماذا يقول هذا الطائش ؟ وهل يمكن أن يقول ما يقوله هنا في السعودية ؟!

لا يأتي الأب على ذكر إثنين من أبناء عمه ، شوهدا آخر مرة في بيروت ، ثم انضما إلى جبهة تحرير ظفار ، ولم يعد يعرف عنهم شيء بعدها .

ما تزال العائلات الكبيرة في البحرين تتحمل وتسكت على الخلافات بينها ، وتتغاضى عن أخطاء بعضها . وتتضامن في مجال الأعمال ، كما كانت تفعل دائماً ، وهي تدعم آل خليفة مالياً ، وتدعم بعضها البعض اجتماعياً .

أما الاستثمارات البحرانية والخليجية عامة ، فلها حكاية أخرى : تضم البنوك السويسرية عشرة بالمائة فقط من الأموال

الخليجية الخاصة ، أما الأمريكيون فيسيطرون على خمسين بالمائة من تلك الأموال . ويسعى البريطانيون للحفاظ على خصتهم « التقليدية » . وعن المجوهرات ، تقول ليندا بلاند فورد ، مكررة ما قالته قبل قليل ، إن العرب ليسوا بحاجة إلى المجوهرات الآن ، ولو أنهم يريدونها . . إنهم في الواقع بحاجة إلى صناعات ثابتة تحل محل النفط حين ينضب هذا الأخير. لكن البحرين لا تستعد لشيء من هذا . فهي لا تعدو أن تكون مركز خدمات لرجال الأعمال في منطقة الخليج . ويحتاج الأمر إلى التعليم . يقول وزير التعليم البحراني إنه قرر منهاجاً مدرسياً لا يضم سوى حصتين لتدريس الدين الاسلامي أسبوعياً ، ويعقب على ذلك قائلاً : ليس هناك من فائدة من تعليم الدين على حساب الفيزياء . أما ليندا بلاند فورد فتعقيبها أكثر سخرية : الكلام لك والسمع لجارتك السعودية !!

لكن هذا يذكرنا بالمشاكل السياسية المحتملة مستقبلاً . حول هذا الموضوع الحساس ، يتحدث وزير التنمية والصناعة البحراني للصحفية قائلاً : هناك فئتان من الناس في العالم العربي يستحيل حكمهم أو السيطرة عليهم : الفلسطينيون والبحرانيون !! فكلا الشعبين ذكي ومثقف ، ولن يكتفي بـ «لا» جواباً على أية مسألة .

وبالرغم من ذلك استطاع وزير التنمية والصناعة أن يحقق

نجاحاً في بنـاء معامـل لصهر الألمنيوم، وبناء حـوض جاف ، وتزويده بكل الطاقات الفنية التي يحتاج إليها البلد ، ويستـطيع البحرانيون توفيرها . هذا الوزير ، واسمه يوسف شيراوي ، هو من الطائفة السنية ، وزوجته شيعيـة . وقد حقق هـذا التزاوج السني ـ الشيعي ، وهو من الحالات النـادرة ، تقاربـاً قويـاً بين الطائفتين ، ويعد بالكثير .

لكن الزوجة الشيعية ولدت أول مولود لها بدون ذراعين ، ومات وهو في الخامسة حين وقع من السرير واختنق على الأرض . وانتشر الخبر بين نساء « المقامـات الراقيـة » ، فقالت إحـداهن للصحفية البريطانية :

« نعم . . . هذا ما يحدث ، وما سيحدث إذا امتزج الدم السني بالدم الشيعي . .

ولكن مي . . زوجة شيراوي ، لا تلتفت إلى هذا الحديث ، وتستعيض عنه برقعة معلقة على جدار غرفتها ، كتب عليها :ـ

ربِّ هبني من لـدنك القـوّة على أن أقبـل ما لا أستـطيـع تغييره ، وهبني الحكمة حتى أغير ما يجب تغييره .

وتنتقل ليندا الصحفية من سيرة جادة إلى سيرة أكثر هزلاً ، فتقول إن حاكم البحرين ، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ، قد رفع إلى مرتبة أمير يوم استقلال البحرين ، ولكن الناس ما

يزالون يدعونه « الحاكم » . راتب الشيخ عيسى السنوي هو ستة ملايين دينار بحريني فقط لا غير ، ولكنها لا تكفيه ، لأنها فقط لا غير ، ولذلك فهو مديون دائماً !! وتقول ليندا إنه اشترى منظاراً مكبراً سلطه على مهبط المطار ليراقب كل طائرة تهبط فيه ، وكل ساقين أو فخدين تطلان من باب الطائرة ، لأنه يبحث عن « مواهب جديدة » . لا شك أن هذه الهواية تشغله وتستغرق من وقته الكثير . . وبالرغم من كل تلك الزوجات (ولكن الشيخة حصة هي زوجته الوحيدة ، كما تكتشف ليندا فيما بعد) . . . فهو يستقبل العديد من النساء الأوروبيات الزائرات . . طبعاً . . وزوجته ، الشيخة حصة . . تتفهم الأمر بواقعية !!

لقد كان صعود الشيخ عيسى إلى سدة الحكم ، حسب رأي الصحفية ، مصدر فرحة للجميع ، لأن والده كان محافظاً بخيلاً أما جده ، أحمد ، فأكثر محافظة وأكثر بُخلاً . والجميع هنا هم آل خليفة التي أفرحتها وفاة الشيخ سلمان عام ١٩٦١ ، لأن الشيخ عيسى سمح لأفرادها بالسفر إلى أوروبا ، والتثقف . وممارسة الحياة كما تطيب لهم .

وهناك اختلاف آخر بين الشيخ عيسى وبين أبيه وجده . فقد كان الأب والجد يحبان الغلمان ، وما من أحد يستطيع أن يتهم الشيخ عيسى بذلك . ويتمتع عيسى بتأييد أكثر إخوته له ، وهم يشغلون معظم المناصب الحكومية ، ولكن شقيقه الأصغر ،

محمد ، فقد كل فرصة لاحتلال منصب حكومي ، بعد الخناقة الحامية والمشهورة بين الأخوين عام ١٩٦٨ . البحرانيون لا يهتمون كثيراً بأفول نجم محمد ، خاصة بعد موقفه من اضطرابات عام ١٩٦٥ ، حين كان مديراً للأمن العام .

ولكن الشيخ محمد يحيط نفسه بأبهة الحكام ، بل وينافس أخاه في كل شيء : إذا بنى أخوه قصراً بنى هو قصراً أيضاً ، وإذا عقد أخوه مجلساً عقد هو مجلساً أيضاً . ويطلب الحاكم سيارة جديدة (عدد سياراته حوالي / ٢٠٠ /) فيطلب الشيخ محمد سيارة جديدة على الفور (عدد سياراته المعروف : ٢٠٠٠ سيارة) !

ولم لا ودخله الشهري يتجاوز المائتي ألف دينار ، من أملاكه المؤجرة ومن تجارته الإحتكارية الواسعة .

وذهبت ليندا إلى شاطىء السباحة الخاص بالحاكم . . لا يدخله سوى الأجانب من النساء اكتشفت أن حرس الحاكم الشخصي مؤلف من ٢٥ جندياً من اليمن الشمالي ! لماذا من اليمن الشمالي ؟ لأن اليمن الشمالي بعيد جداً ، والجنود لا يتكلمون الانكليزية . . . فليس هناك خوف من قيامهم بأي عمل مقلق لراحة الأمير . . وعلى كل فبنادقهم بلا طلقات .

شخصان فقط يسمح لهما بدخول شاطىء الأمير (وسكرتيريهم وخدمهم طبعاً) ، الأمير وابنه الأكبر ، أي ولي

العهد الأمير حمد ، رئيس الجيش .

وتقول ليندا : إن حمد يحاول أن يستقل عن والده بأموره الشخصية ، لذلك استبدل سكرتير والده الانكليزي لشؤون الديكور ، بشقراء انكليزية كانت تعمل في أحد صالونات تصفيف الشعر في (بيرنموث) . ويسمح لها أيضاً بارتياد شاطىء الأمير . . أليست سكرتيرة ولي العهد !؟

تسجل الصحفية ما يقال في شوارع البحرين عن المغامرات السلطانية على ذلك الشاطىء المغلق ، وعن نساء أوروبيات تنقلهن سيارات التاكسي (مجاناً) إلى الشاطىء . . وعن الكاميرات التلفزيونية المخفية هناك تبحث عن الأجساد العارية على شاطىء البحر لتنقلها إلى عيني الأمير . لا تميل ليندا إلى تصديق تلك الشائعات المغرضة ، مع أنها ترى بأم عينها بضع فتيات يستلقين على شاطىء البحر وهن يرتدين « البيكيني » ، وتدافع ليندا عنهن ، وعن الأمير ، فتقول إن أفخاذهن وسيقانهن ليست مثيرة ولا تستلفت النظر . . لذلك فكل الإشاعات التي سمعتها لم تكن صحيحة !! إلّا أنها تعترف بأنهن ـ الفتيات السابحات ـ يستوردن إلى البحرين تحت اسم « مضيفات جويات » وأن هذا التعبير فقد معناه الأصلي في المنامة بعد أن صار يطلق على الفتيات المستوردات من أوروبا لممارسة الأنشطة الأخرى في بيوت الشيوخ والأثرياء ولكن دفاع ليندا عن الشيخ يتحول في الواقع إلى دفاع عن

الفتيات الأوروبيات المستوردات . . وربما غيرة منهن !!

ويصل الحاكم أخيراً إلى شاطىء السباحة ، بعد أداء صلاة الجمعة ، ويعرب لليندا عن سعادتـه بلقائهـا ، وعن قلقه عـلى خيوله التي يرهقها خيـالوهـا ، ثم يجلسها قـريباً منـه حتى يكاد جسدها يلامس ثوبه . سحرها الأمير الذي كان يظن بأنها تتودد إليه ، كما قالت ، ولكن الفتيات كن كثيرات ذلك اليوم .

وينهي الشيخ الحديث ، ويدعو ليندا لمرافقته في سيارته في مشوار لمشاهـدة مغيب الشمس ، حيث العشاق والعـاشقات ، والباحثون عن العشق والباحثات . . . ثم يعود بها إلى القصر ، وسيرة الشيخة حصة . . وينتهي اللقاء أو هكذا قالت . .

الفصل السابع
الكويت دولة مضيفات الطائرات

قالت الصحفية ليندا بلاندفورد :

عرب النفط يلعبون لعبة خسيسة تجاه بعضهم البعض ، وتجري اللعبة على الشكل التالي :

يقول السعوديون إن البحرين مزبلة ، ويقول السعوديون إن الكويت منتفخة إلى حد لا يتساوى مع حجمها وقدرتها على الانتفاخ (وقد لخص الملك فيصل هذا الرأي بقوله : هناك ثلاث قوى كبرى في العالم : روسيا وأمريكا والكويت !). أما البحرانيون فيقولون إن السعوديين يظهرون تعصباً دينياً أجوف . ويقول البحرانيون أيضاً إن الكويتيين بغيضون كريهون ، ويسألونها: لماذا تريدين أن تذهبي إلى هناك ؟ إنها مدينة ميتة !! أما الكويتيون فيتعالون على الجميع ! وهم ينظرون باحتقار خاص إلى السعوديين (و يتساءلون : من هو القاتل الحقيقي للملك فيصل ؟ والسؤال مشحون بالألغاز والأجوبة المبطنة !).

وهناك لعبة أخرى تجري في الخفاء ، هي جزء من التناقضات الحادة في المنطقة : واللعبة الثانية هي كلنا مثل بعض ، في الهوى سواء !! والكل مغرم بتذكيرك دائماً أن العائلات المالكة في العربية السعودية والبحرين والكويت مرتبطة ببعضها البعض بصلات القرابة والنسب وهذا يعني أنها جميعاً كانت تتيه حافية في نفس الصحراء قبل بضع مئات من السنين . حتى أن آل خليفة البحرانيين وآل الصباح الكويتيين هم أبناء عمومة قبلية . لكنهم ، وخلال فترة قصيرة ، ساروا بعيداً باتجاهات متعاكسة .

وفي البحرين أنت مواجه بذكر آل خليفة وحضورهم أينما ذهبت وفي كل الأوقات . أما في الكويت فتكاد لا تسمع بآل الصباح . فهم - (والقول للليندا الصحفية) أكثر العائلات الحاكمة حصافة ، لذلك يحتفظون بغسيلهم الوسخ لأنفسهم . أما وراء الكواليس ، ووراء أسوار القصور ، فهم شيء مختلف تماماً !!

إن القول بأن الكويت جنة على الأرض يدفعك إلى النظر إلى خارطة قبل أن تقبل ذلك الرأي أو ترفضه . فهي محاطة بعدد من الجيران الذين لا يحبونها فهي تخاف من العراق ، ومن السعودية ، ومن ايران . . ولماذا تظن أنها تشتري كل هذه الدبابات والطائرات ؟ لمحاربة إسرائيل ؟ أنت غلطان يا عزيزي !

ولذا فالكويتيون يعيشون حالة خوف دائم ، ولكنه ليس نوع الخوف الذي يشيع في السعودية : الخوف هنا مصدره أن آل الصباح ، والكويتيين عموماً ، يشعرون بأنهم أقلية في بلدهم !! ولكنهم يرفضون الاعتراف بهذه الحقيقة ومواجهتها .

ربما يكون عدد السكان هنا مليون نسمة (تذكر القول المأثور : لا تثق لتعداد السكان هنا) . . والحقيقة هي أن عدد الكويتيين ربما لا يتجاوز الـ ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، ولكن يتم نفخ هذا العدد وتضخيمه بإضافة أعداد من البدو الذين تدفع لهم الأموال ويشترون ليقولوا إنهم كوتييون !

« خوف القلة الحاكمة الأكبر يأتي من الفلسطينيين الذين يتجاوز عددهم هناك ربع مجموع السكان . »

وتضيف الحسناء ليندا :

قبل أن انطلق في رحلتي ، كانت كلمة « فلسطينيين » تعني بالنسة لي « ياسر عرفات » ، وبنادق ومخيمات لاجئين . أما هنا فقد وجدت نفسي في مدينة تتميز بأن الفلسطينيين فيها هم الذين يجعلون الحياة محتملة مريحة . هم الذين يسيرون أمور الحياة للآخرين ، أما حياتهم هم فموضوع آخر ، وحكاية أخرى .

وتضيف الصحفية قائلة :

ذهبت مساء يوم من الأيام الى ناد ليلي في الكويت كنت

أراقب شاباً في الخامسة والعشرين ، وهو مهندس اختصاصي . حتى ولو لم أكن أعرف من هو ، فإن بذلته الأوروبية ستكشف عن هويته الأجنبيّة . فالكويتيون الأصليون فقط يرتدون الملابس الوطنية . والحقيقة أنه ابن رجل فلسطيني ساهم في إنشاء إحدى الوزارات الرئيسية في الكويت قبل عشرين عاماً من الزمن . لا أستطيع ذكر اسمه . ولأن الشاب فلسطيني ، فلن يشعر بالأمان هنا أبداً ، مع أنه ولد وترعرع في الكويت . . . ولكنه كثير الغلبة . وها هو يركز انتباهه على فتاة انكليزية جميلة لم يعد فخاً لها ، فأسلوب حديثه معها لم يكن من النوع المستعمل للاصطياد .

« ويجلس الشاب أخيراً بجانب الفتاة الانكليزية : ما أن وقعت عليك عيناي حتى أدركت أنني استطيع التحدث معك : أنت تبدين حكيمة عاقلة . وأنت أول فتاة أقابلها بعد عودتي من الولايات المتحدة قبل أربع سنوات . وأشعر أنك تستطيعين التجاوب معي كإنسان ! . . ثم يتابع حديثه فيقول : هل تظنين أنني غريب الأطوار ؟ ليس الأمر كذلك ، وكل ما في الأمر أنني مرهق تعب جداً . استيقظ في الخامسة صباحاً وأبقى في المكتب حتى ساعة متأخرة من الليل لا أذهب للبيت إلّا لأنام . أنا أقتل نفسي بالعمل ولماذا تظنين أفعل ذلك ؟ هل تظنين أنني أحب العمل ؟ هل تظنين أنني أحتاج إلى المال ؟ عندي منه ما يكفي

ويزيد لقد انتظرت أربعة أعوام كاملة حتى وجدت الفتاة التي يمكن أن أتحدث إليها . الفتيات في الكويت متشابهات لا يهتممن إلّا بالمال والثياب . والحديث معهن كالتحدث إلى لوح من الخشب . لن أتزوج فتاة من الكويت أبداً » .

ثم يأتي دور الصحفية لتعلق بقولها :

. . . . هو على حق : فلن يتزوج فتاة من الكويت . لأنه ما من عائلة كويتية مرموقة سترضى به زوجاً لابنتها !! والفلسطينيون في الكويت ، مهما عظمت ثرواتهم وعلا مقامهم يبقون مواطنين من الدرجة الثانية . يحق لوزير الداخلية أن يمنح الجنسية الكويتية لخمسين شخصاً كل عام مكافأة لهم على جهودهم في خدمة الكويت ولقد قدم والد هذا المهندس العديد من الخدمات الكبيرة ، ولكنه ما يزال مواطناً من الدرجة الثانية . . .

والتقت ليندا بفلسطيني آخر ، أكبر سناً من الأول . يعمل سائقاً لدى مسؤول حكومي . على مدى ستة عشر عاماً ظل يقوم بنفس العمل ، ويتقاضى مقابله ستة وتسعين ديناراً كويتياً في الشهر ، في حين أن الكويتي الذي يقوم بنفس العمل لا يقل راتبه عن مائتي دينار . من حسن حظه أن الحكومة الكويتية بدأت تسمح لأطفال غير الكويتيين بتلقي العلم مجاناً في مدارسها ، شريطة أن تكون أعمارهم أقل من سبع سنوات حين يحضرون

للكويت لأول مرّة .

هنـاك رنين سخرية في صوته يمتزج برنين الحزن والأحلام ، أحلام البيارات التي كانت عائلته تملكها حين كان طفلاً صغيراً في فلسطين ، وأحلام استئجار دكان صغيرة (يحرم على غير الكويتيين شراء العقارات)، فيصير عندها سيد نفسه كما يقول . وأحلام الهـروب من هذا الجحيم . لـذلك فعنـدما يعـود إلى البيت في المسـاء ، يجلس مع أطفـاله ويشرف عـلى وظائفهم المـدرسية ، ويذكرهم بأن التعليم والعلم هو خلاصهم الوحيد . وأكثر من كل هذا وذاك ، فهو يحلم في أن يمضي وقتاً أطول مع زوجته . يقول إن زوجته لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنهـا أفضل منـه . وهو يحلم بلقائها بعد ثمانية عشرة ساعة من الآن !! فساعات عمله اليومية هي ١٨ ساعة !!

ثماني عشرة ساعة في فحص المجوهرات

انتهت جولة أصحاب مؤسسة «تيفاني» الأميريكية في السعودية ، ووصلوا الكويت ، ونزلوا في الجناح الذي وقعت الدول العربية فيه عام ١٩٧٣ قرار منع تصدير النفط إلى أمريكا . المفارقة ممتعة : فاليهود الأمريكيون ، ومؤسسة تيفاني مؤسسة يهودية لبيع المجوهرات مقرها نيويورك ، احتلوا المكان التاريخي ، ومسحوا الذكرى المشؤومة ،وطمسوها بصناديق اللآلىء التي بقيت معهم بعد جولة السعودية التي قال كبيرهم ، هنري بلات ، إنه التقى فيها بأميرات كثيرات وباعهن العديد من مجوهراته . قال هذا للصحفية الحسناء وهو يعرض جسده لأشعة الشمس الكويتية . وقال أيضاً إن آل سعود دعوه لحضور حفلات كثيرة ، وأن المنطقة ليست جديدة عليه ، فقد باع الجواهر للملك فيصل ومن قبله لوالده الملك ابن سعود ، وللملك سعود أيضاً ، ولو أن اليهودي العتيق تظاهر بعدم التمييز بين الأب والابن . .

ويتابع اليهودي حديثه فيقول :

« لقد حالفنا نجاح باهر هنا فالشيخة بدرة ، من العائلة المالكة هنا ، هي التي افتتحت معرضنا ثم دعتنا لحفلة عشاء في مقرها . . كما أننا بعنا الكثير من المجوهرات » . .

تنتقل الصحفية إلى غرفة المعروضات الثمينة فتجد شيخة صبية في غاية الأناقة تتفحص بعض المجوهرات المعروضة ثم تبدأ المفاصلة ، وتشتري الشيخة ما استحلته من المجوهرات .

ثم تعود الصحفية إلى حوض السباحة ، حيث هاري ما يزال يعرض جسده لشمس الكويت الشتوية الدافئة . حين يراها هاري ، يقترب منها ويهمس موشوشاً هل تعلمين أن هاري ونستون (صاحب المؤسسة) هو يهودي ؟ هذا أمر عادي في نيويورك ، ولكني لا أظنه كذلك هنا . . . (ربما لم يكن هاري بلات قد سمع أن الملك فيصل كان يزور محلات هاري ونستون في نيويورك باستمرار ، حتى إنه اشترى خاتم خطبة الملكة عفت من عنده ؟! ترى ماذا كان هاري بلات يفعل في السعودية إذا لم يلاحظ تلك الأعداد الهائلة من مجوهرات هاري ونستون اليهودي تزين أعناق وأيدي الأميرات السعوديات) . . . لن أحدث أحداً في نيويورك عن نجاحنا العظيم في السعودية والكويت فقد يجرح ذلك شعور القوم هنا ، وقد يسيء إلى هاري ونستون في نيويورك أيضاً . .

لا تورد الصحفية أرقام مبيعات هاري في تلك الجولة ،

فالكويتيون ، كما تقول ، متكتمون جداً ، ثم إنهم يفضلون الطيران إلى نيويورك والشراء من هناك بسرية تامة وبلا ضجيج . .

وعن المجتمع الكويتي عامة ، تقول الصحفية :

الكويت هي أكثر بلدان الخليج تقدماً (في نظر ليندا البريطانية طبعاً)، من ناحية موقع المرأة الاجتماعي . حتى إنها حصلت على حق التصويت عام ١٩٧٥ . وتدعي الكويت أن فيها حركة نسائية ذات شهرة عالمية . إذا لم تكونوا قد سمعتم بها ، فإن عضويتها وصلت إلى ثلاثين عضوة ! وهي حركة فاشلة تماماً . ورغم مظاهر الحرية والتعاطف العائلي في الكويت ، فإن مجتمعها أكثر قسوة على النساء من مجتمع العربية السعودية !

معظم الرجال في الكويت يقضون وقت فراغهم مع رجال آخرين فالشذوذ الجنسي منتشر هناك ، ولكن هذا ليس هو السبب الوحيد . فالرجال يلتقون في الديوانية لتبادل الحديث ولعب الورق ، ومشاهدة الراقصات . وهناك ظاهرة الخيانة الزوجية . . . أنا لا أفهم كيف يقنع الرجال أنفسهم بأنهم يستطيعون ارتكاب أفعال الزنا دون أن ترتكبها امرأة أيضاً . ولكن هذه هي إحدى خصائص المعايير المزدوجة في هذا المجتمع . ولو أن الكويتيين أقل هوساً بالجنس من أقرانهم

السعوديين . وحين طلب شاب كويتي ثري من ليندا أن تذهب معه إلى الفراش ورفضت قال لها أنها متحاملة على العرب !! لم يكتشف هذا الوطني المتحمس تحاملها إلاّ من رفضها النوم معه ! وعلى كل حال ، يجلس بجانبها ، ويلتصق بها ، ويحدثها عن متاعبه مع زوجته التي أنجبت خمسة أولاد في أقل من خمسة أعوام . . . وما ذنبه ، فهو حارّ الشكيمة الجنسية وقوي الرغبة . والزوجة مشغولة بالأطفال الخمسة ، وليندا جميلة جذابة !! وإن لم ترض ، وزوجته لا ترضى بأكثر من ثلاث مجامعات أسبوعياً ، فلا حيلة له سوى اقتناء أربع فتيات في الكويت . وفتاتين في لندن وواحدة في القاهرة . يغادر منزله في الساعة الثامنة صباحاً ويصطحب إحدى فتياته إلى شقته الخاصة لتمضي معه ساعة أو ساعتين ، ثم يذهب إلى مكتبه لقضاء الأعمال الأخرى وكسب الرزق (الحلال). اليوم مثلاً ، سيجامع زوجته في الساعة الواحدة والنصف ، ويجامع صديقته في الثالثة ويذهب إلى الديوانية ويبقى هناك حتى الثانية عشرة حيث يجامع فتاة أخرى ، ثم يذهب إلى زوجته في البيت . . . وصديقاته ، كما قال لليندا ، معجبات بفحولته ، حتى إن صديقته الفرنسية المقيمة في لندن تقول إنها لم تعرف رجلاً مثله في حياتها .

وتسأله الصحفية : ماذا تفعل لو اكتشفت أن زوجتك تفعل نفس الشيء ؟ فيثور ويفور ويغلي ثم يقول غاضباً : أطردها من

البيت هي وأولادها . . لم تجرؤ أن تسأله عما يمكن أن تفعله زوجته حين يمضي وقته في الديوانية . . . ؟ لكنه أجاب ، بدون سؤال ، بأن زوجته سعيدة جداً ، فهي تملكه هو(!!) ولديها أربعة من الخدم . . . ولكنها تغسل ثيابه بنفسها وتقبل قدميه . . . وماذا تفعل أيضاً ؟؟ ماذا تفعل ؟؟ لا أدري !! تبقى في البيت ، وتحدث الأطفال ، وتشاهد برامج التلفزيون ، و . . . تتحدث كثيراً على الهاتف !! في الكويت شبكة تلفونية واسعة تستخدمها النساء في الحديث إلى نساء أخريات ، أو رجال غرباء . . . جزء من حياة الرفاهية . . ولم لا . . ؟! فليس كل النساء الكويتيات يسمحن لأنفسهن بأن يعيشن حياة الوحدة والملل . . . خاصة الفتيات الصغيرات من العائلة الحاكمة . . وخاصة أيضاً أن الأطباء الآن متوفرون ، حتى في الكويت نفسها ، لإعادة رتق غشاء العذرية . أما إذا حدث خطأ واكتشف الأمر ، فعقاب الفتاة لا يقل عادة عن الموت . .

وحتى الزوجات ، حين تشتد وطأة الوحدة والملل عليهن ، يخاطرن مخاطرات أشدّ من تلك التي تتعرض لها الفتيات العازبات . . . وإذا مللن من السائق . . يقتنصن غريباً من الشارع . إحداهن تذهب إلى مصفف الشعر ، ومن هناك تتسلل لرؤية صديقها الألماني . ولكن انكشاف العلاقة رهيب العواقب . تتحدث الكويت كلها عن امرأة ضبطها زوجها وهي تتحدث مع

رجل على الهاتف ، فأطلق النار عليها فوراً واستدعى شقيقها لنقلها إلى المستشفى ولم ينتظر خروجها من هناك ليطلقها . وما تزال تلك المرأة حية ، وحيدة ، مطلقة ، وما تزال الكويت تتحدث عن « رذيلتها البشعة » ..

أما حركات «تحرير» المرأة التي تقودها بعض النساء الكويتيات ، فأقصى آمالها أن تنقل صورة من صور الحياة الاجتماعية البريطانية إلى الكويت ، كما هي بدون « تكويت » ولا حتى رتوش . . فالحياة بالنسبة لهن هو ما رأينه في بريطانيا ، وإلّا فلا ، لأنها حياة لا تطاق . . والحرية بالنسبة لهن لباس غربي ، وتحدث بالانكليزية ، وديكور انكليزي لمنازلهن ، وربما صديق ، بريطاني إذا أمكن ، يملأ (الفراغ) المتبقي !!

وأكبر دليل على ذلك هو ما يجري في عائلة آل الصباح نفسها ، فشيوخ آل الصباح هم المثل الأعلى في الأناقة والحداثة . الأمير قلّما يُرى ، وإذا كان يقضي عطلة طويلة في لندن فلا يتحدث أحد عنها ، ويقال إنه حين يذهب إلى هناك ، لا يمتع نفسه إلّا بركوب قطار الانفاق ، وقطارات خط معين على وجه التحديد !!

وآل الصباح لا يقبلون بأقل من مركز سفير في سفارة هامة . خذوا مثلاً الشيخ سالم الصباح ، الذي شحذ مواهبه الدبلوماسية

في لندن وواشنطون قبل أن يلمع نجمه فيصبح وزيراً في الحكومة الحالية . ويبذل آل الصباح المستحيل للإبقاء على الصراعات العائلية داخل أسوار القصور ، بحيث لا تسمع الكويت إلّا بنتائج جهود المصالحة الإيجابية .

لذلك لا يتحدث أحد الآن عن الأمير مبارك الصباح « الكبير » وكيف «تخلص» من أخوين حتى تخلو له الساحة للوصول إلى القمة عام ١٨٩٦ . وكذلك نسي الناس أخبار شقيق الأمير الحالي ، الشيخ فهد ، الذي اختار لنفسه أسلوباً في الحياة لا يمت إلى هذا العالم بصلة . لكن مشكلته تمثلت في أنه لم يكن يستطيع التمييز ولا التفريق بين دخله الشخصي وميزانية الدولة ، حين كان يشغل ، من بين مناصبه العديدة ، منصب وزير الأشغال العامة !! أخيراً تضامنت العائلة ، التي أفقرتها مظاهر حياة فهد ، ورتبت أمر انسحابه من منصبه بهدوء ووقار . وبهدوء ووقار مشابهين مات فهد بعد فترة قصيرة من الزمن : البيان الرسمي كان هادئاً وقوراً أيضاً ، فقال إن فهد توفي متأثراً بنوبة قلبية أثناء تأديته لفريضة الحج في مكة . أما أجهزة المخابرات فتقول ، بدون هدوء ولا وقار ، إنه مات ميتة مشبوهة على ظهر يخته الخاص .

أما حكاية نساء آل الصباح وما يفعلن حكاية أخرى مختلفة ، خذوا ، مثلاً ، الشيخ سعد آل الصباح ولي العهد ، وابنته التي

ارتكبت فاحشتها الكبرى حين وقعت في حب شاب لبناني مسلم حين كانت تدرس في الجامعة الأميريكية في بيروت . ثم خطفها وهرب بها إلى قبرص .

لم يكن هناك مجال ، طبعاً ، لإجبار البنت على العودة إلى البلاد . فقد كانت أكبر سناً من أن تعامل كقاصرة . وهلعت العائلة الحاكمة لسماعها بأن البوليس الدولي كان يتعقب هذه الإبنة (الجانحة)، فقد ادعى شخص ما أنها سرقت بعض مجوهرات أمها ، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً ، وكل ما حدث كان « سوء تفاهم بسيط » يتعلق بمكان المجوهرات !! هذه الشيخة البائسة استقرت في أوستراليا ووجدت عملاً هناك وتقوم بعض بنات عمها بإرسال النقود إليها سراً ، ويقلن: إن هذا لمخجل حقاً !! لقد تزوجت بعربي ، وماذا يُريد والدها غير ذلك ؟! لكنهنّ يضفن قائلات: المشكلة أن حادثة كهذه تهدم كل ما نحاول فعله نحن جميعاً للتخلص من كابوس الماضي . . . وهذا يعني أن آل الصباح متحضرون متمدنون على آخر طراز وفي كل مجال ، إلاّ ما يتعلق بنسائهم (وليس نساء الآخرين طبعاً !!) .

ولكن ما لنا ومال حكاية الشيخة المغضوب عليها ؟! تعالوا نرافق الشيخ ناصر ، والصحفية التي وجدت نفسها في سيارته ، إلى حلبة سباق الخيل ، فهو يعشق السباق خاصة إذا كانت خيوله مشتركة فيه ، وخاصة أيضاً إذا كانت تلك الخيول تنافس خيول

عمه الشيخ خالد . الشيخ ناصر ؟! من هو ؟ هو الشيخ ناصر بن صباح الصباح ، ابن وزير الخارجية الكويتية ، وزوج ابنة الأمير حاكم الكويت . ورغم أنه لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره بعد (حين كتبت الصحفية مذكراتها) فإنه يشغل منصب رئيس مجلس إدارة شركات الأسماك المتحدة ، والمدير العام لمؤسسة غلق (الخليج) انترناشنال . لا . . لم ننته بعد : هو أيضاً المدير العام لشركة لورنو البريطانية ، وهي الشركة التي دفعت ممارستها غير القانونية رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الحين ، المستر إدوارد هيث ، لأن يطلق وصفه الشهير لها ولممارستها حين دعاها « ذلك الوجه القبيح غير المقبول للرأسمالية ! » . ولكن تعليق رئيس الوزراء البريطاني لم يؤثر على أعصاب الشيخ الغني ناصر ، فاشترى عدداً هائلاً من أسهم الشركة بسعر زاد كثيراً عن قيمتها الحقيقية ، وكالعادة ، كان أضحوكة الصحافة البريطانية .

ولنعد الآن إلى حلبة سباق الخيل ، مع الأمير الشيخ ناصر ومع مرافقته الحسناء ليندا تقول الصحفية : إن نصف عائلة آل الصباح الحاضرة كانت من العبيد السود ، لأن أخا خالد من والده مشعل ، هو ابن عبدة ، فتراه يصيح ويعربد ويطلق النكات ويشرب الشاي في آن واحد . أما أحمد ، ابن الأمير ، فهادىء لا يكاد يفوه بكلمة واحدة . تعجب الصحفية لمنظر هؤلاء الشيوخ والأمراء ، المتزمتين الوقورين في العادة ، وهم يتصايحون

ويصخبون الآن كزمرة من المجانين !! ولكن ليندا تعلق بقولها : هذه نتيجة شراهة أجيال آل الصباح للزوجات ، بدءاً من الشقراوات البيضاوات إلى السوداوات بلون خشب الأبنوس .

وبالمناسبة الحديث عن الزوجات والنساء عموماً ، تكتشف الصحفية أنها لم تكن المرأة الوحيدة في ذلك السباق ، بل كانت هناك أيضاً مايدا ديڤيز ، الفتاة الانكليزية المرحة التي بلغ بها المرح حداً جعلها المسؤولة عن حظائر خيل الشيخ خالد ، الذي تعاظم إعجابه بها ، فعينها في هذا المنصب رغم غمزات الناقدين . وهو يرد على الانتقاد بقوله إنه يخشى، في غيابها ، أنه تختلف كميات المقويات والفيتامينات في وجبات خيوله (ولم تتمالك ليندا البريطانية ذاكرتها ، فعاد الى مخيلتها الفلسطيني وأطفاله الخمسة الذين يعيشون على دخله البالغ ٩٦ ديناراً في الشهر ، يدفع منها ٣٠ ديناراً أجرة البيت !) . المهم أن مايدا لم تكن هنا بصفتها امرأة ، معاذ الله ، خاصة وأن زوجها كان غائباً في ذلك الوقت يعمل لإعمار شركة نفط الكويت العامرة .

أما الشيخات فلا يذهبن للسباق إلّا نادراً جداً . لماذا ؟ فتجيب مايدا ليندا قائلة : لأنهن لسن زوجات بالمعنى المألوف للكلمة : ماذا أقول لك ؟! نعم : إنهن أشبه ما يكنَّ بإناث الخيل المخصصة للقاح وإنجاب الخيول . . . هل تشارك مثل تلك الفرس في السباق ؟!

ولكن خيول ناصر تخسر السباق ، فيحزن الشيخ الناصر ، ويقرر الذهاب في تلك الليلة الى القاهرة ، ثم يلتفت إلى ليندا الصحفية البريطانية الشقراء : هل تأتين معي إلى القاهرة ؟ سأعيدك على طائرتي الخاصة غداً !؟ آه .. أتمنّى ذلك !! فقد كنت أتمنّى دائماً رؤية الأهرامات !!

في الجناح المخصص لضيوف الشرف في مطار الكويت تتذكر ليندا أنها لا تملك تأشيرة دخول لمصر !! ولكن الشيخ ناصر يجيب وهو يرد على انحناءات الأصدقاء والمرافقين والضيوف ، وبين انحناءة وأخرى يلتفت ليأمر شخصاً ما بأن يتصل بزوجته ليخبرها أنه في طريقه إلى القاهرة . يرد (بتلويحة) من يده فهمت منها ليندا : هذه مسألة بسيطة .. لن تحتاجي إلى تأشيرة دخول !!

وما أن تقترب طائرة الفالكون الخاصة بالشيخ من سماء مصر حتى تكتشف ليندا ، فجأة ، أن ناصر شاب ساحر جذاب يجذب العقول !! صحيح أنه قصير قليلاً ، ولكنه قوي البنية متناسق الجسم عيناه بنيتان واسعتان وحاجباه طويلان معقودان .. وأهم من هذا وذاك ، هو غني جداً جداً جداً !! حتى إن ثروته تفوق ثروات آل الصباح المعتادة !!

في مطار القاهرة ، تجد ليندا مسؤول السفارة الكويتية بانتظار الشيخ . قال « إنه كان بانتظارنا منذ ست ساعات » ... ثم نظر

إلى جواز سفر ليندا وصاح : ماذا ؟ بلا تأشيرة !؟

فماذا كان رد الشيخ الساحر ناصر ؟! تأبط ذراع ليندا البضّ وخرج من جناح ضيوف الشرف إلى القاهرة !!

ومن شوارع القاهرة الخالية في الساعة الثالثة صباحاً إلى فندق الميريديان ، وغرفه الجميلة المطلة على نهر النيل ، وحوض السباحة الأنيق فيه ، وأهم من ذلك الحمام الفاخر في الشقة التي ستضم الصديقين العزيزين بقية هذه الليلة التي لا تنسى !! شقة ، (أو قل : جناح) الأمير في الفندق مؤلفة من غرفة نوم واحدة فقط ! وبعد حمام ساخن مهدىء للأعصاب يتحدث الشيخ ناصر لصديقته ليندا عن زوجته ، فيقول إنه تزوج الشيخة حصة لأنه كان يشعر بالملل ، ولم يجد ما يشغل وقته ، فخطرت على باله الفكرة وكان ما كان !! وقال إنه أخبر حصة بذلك صراحة جارحة ، خاصة وأنها أذكى من في العائلة . ووافقت حصة ـ طبعاً ـ ورافقته الى لندن ، حيث درس إدارة الأعمال لمدة عام واحد . . . وبعد ألا نصدق وصف الانكليزية للزوجات من آل الصباح ؟!

ولأنه لا بد من عمل يقوم به في القاهرة ، فقد أخبر ناصر ليندا أن شركته حصلت على امتياز صيد الأسماك في بحيرة ناصر (ولكن من أنور السادات طبعاً !)، وأنه ـ ناصر ـ ينوي بناء فندق

قرب البحيرة مؤلف من ٤٠٠ غرفة نوم . . . أنه يحاول أن يثبت أنه قادر على إدارة الأعمال التي وضعها والده بين يديه .

كما يشعر ناصر بأنه يخوض سباقاً آخر ، ضد نقائصه الكثيرة هذه المرة . فيسأل ليندا :

ـ هل تعتقدين أنني أعاني من مركب الشعور بالنقص ؟

ـ طبعاً !! ولكن لماذا تسأل ؟؟

ـ أتساءل أحياناً ، بيني وبين نفسي ، عمّا إذا كان ينبغي أن أذهب لعيادة طبيب نفساني . ربما لو عرفت نقائصي وما هي الأشياء الخطأ فيّ ، سأصبح أكثر ذكاء وثقة بنفسي . حصّة تقول إن أروع ما حدث في حياتي أنني فشلت في امتحاناتي . . . إنني أشعر بأنني غبي . . غبي . . غبي !! أنا أحب الالتقاء بأناس جدد ، ولكن ـ ماذا سأقول لهم ؟ وعد بعض الأصدقاء أن يقيموا حفلة عشاء على شرفي ويدعوا إليها بعض وجوه المجتمع . . . ولكني خائف . . خائف . . . أستطيع أن أحدثهم عن الفنون الاسلامية . ولكن من هو ذا الذي يهتم بالفنون الاسلامية ؟!

ويطلع الفجر . . ويتذكر ناصر أن طاقم الطائرة لا بد سيصلون بعد قليل . . كما يتذكر أيضاً ، بمحض الصدفة ، أن لوالده منزلاً مبنياً على خمسة فدادين من الأرض قرب الاهرامات . . . وأنه سيذهب إلى هناك . . . ومعه ليندا . وهناك

يرتاح الجميع ، كل في فراش مريح . . حتى الصباح . . وعندها تبدأ الرحلة الى الاهرامات . . وأبي الهول . . وركوب الجمال ثم يبدأ الحديث عن بيته في الكويت ، الذي أقنع أستاذاً جامعياً من السوربون ليصنع له تصميم ترتيبه الداخلي . ويمد عرضاً اسم حصَّة أثناء الحديث . . مسكينة . تعاني من اجهاضات كثيرة ، وحتى الطفلة الوحيدة التي بقيت حية ، أخذتها جدتها !! فما تزال العادة تسمح للجدة بأن تأخذ الولد البكر لتربيه وكأنه ولدها .

وتنتقل ليندا بالحديث من حَصَّة وديكور البيت الجديد إلى الشؤون الدولية ، ومنه ، طبعاً ، إلى موضوع إسرائيل : يتفحص ناصر وجهها بدقة ثم يجيب :

ـ محامي في أمريكا يهودي . . . هل يكفي هذا للإجابة على سؤالك يا ليندا ؟!

وينتهي الحديث ، ويحين موعد عودة الطائرة ، ليندا . إلى الكويت . وفي الطريق التي أصر ناصر على قيادة سيارته المرسيدس الفاخرة عبرها في طريقه إلى المطار ، تشاهد الصحفية أطفالاً شبه عراة ونساءً غارت عيونهن من الجوع والفقر ، جالسات هناك يبعن قصب السكر . ومع ذلك فإن هذا الشارع ، كما قال ناصر لليندا ، يعد من الشوارع الغنيّة بالمقارنة بشوارع أخرى . ويقول ناصر بعد هذا المشهد :

ـ والآن عودي إلى الكويت ولا تتذكري سوى الأهرامات يا ليندا !!

وفي الطريق يحدثها أحمد ، شقيق ناصر الذي كان في ليبيا يصيد الطيور ، والعائد إلى الكويت مع طيوره ، يحدثها عن صندوق الجواهر الثمينة الذي حمله ناصر معه حين ذهب للقاء حصة في باريس . وحدثها أيضاً عن سيارة الرولز رويس التي تركها ناصر في بومباي ولا يستطيع اخراجها من هناك ، وعن مغامرات ناصر حين ذهب يقضي آخر إجازة له في آكابولكو . . . هل تعرفون أين آكابولكو هذه ؟! حسناً . . ولا أنا أعرف أيضاً !!

ولكنه لم يحدثها عن الأطفال والنساء الجياع في شوارع القاهرة ولم يحدثها عنهم ؟ ألم ترهم بعينها ؟!

وحين تعود ليندا إلى الكويت تجد أن الشيخة بدرية تستعد لإقامة حفل عشاء فاخر في فندق الهلتون على شرف زوجة وزير الداخلية البريطاني . والشيخة بدرية ثرية أيضاً ، تملك ما يسمى بشركة التجارة المتحدة في الكويت ، وهي أكبر مؤسسة مصرفية ومالية هناك . أما عقاراتها فتقدر قيمتها بخمسين مليون دينار كويتي (١٢٥ مليون جنيه استرليني) ، وهي صاحبة القرار الأول والأخير في كل ما يتعلق بشركتها وعقاراتها .

الشيخة بدرية هي أرملة الشيخ فهد الصباح الذي توفي عام ١٩٥٩ ، وهي حفيدة أحد الأخوين الذي قتله أخ ثالث : أي الأمير مبارك الصباح « الكبير » . كانت عائلتها منفية ، فنمت هي وترعرعت في العراق ، بعيداً عن جو آل الصباح . وحين تقدم الشيخ فهد الصباح لخطبتها ، رفضته أم بدرية الحبشية لأنه كان فقيراً معدماً . . والدم الحبشي الأزرق لا يختلط بدم البدو الفقراء . . . حين يكونون فقراء طبعاً !! ولكن بدرية تزوجته رغم معارضة والدتها المتعصبة للدم الحبشي . في أوائل الخمسينات ، بدأ فهد يتسلم بعض المناصب الحكومية ، وطلب من زوجته بدرية أن تساعده . وساعدته ، وفي كل مرّة كان يعرض عليها المجوهرات والأموال ، كانت ترفضها (بعد أن صار حاكماً وصار غنياً ، طبعاً) وتطلب منه أن يقدم لها الأملاك والعقارات بدلاً منها . ومن جملة أملاكها الآن القصر الذي تعيش فيه . إنه على صورة صحن طائر . باذخ ، أنيق وعظيم الأبهة ، بنته إلى جانب منزلها القديم المتواضع ، وأبقت على ذلك البيت . القصر الجديد يحفل بكل ما ندر وغلا ثمنه ، يليق بأميرة فعلاً . . . ولم تتعلم بدرية كل هذا من زوجها فهد . . ثم انظروا إلى ابنتها الشابة أمينة ، تتكلم الانكليزية بلهجة أميركية صافية ، فتحسبها سوداء أميريكية بحتة . . ذلك أن مربيتها أميريكية ، والشيخة بدرية كانت أول من أدخل نظام المربيات إلى

بيوت علية القوم في الكويت بعدها أرسلت أمينة الى مدرسة تبشيرية في الولايات المتحدة (لتأخذ «العلم» من مصادره الصافية) وأرسلت ابنتها الأخرى . . إلى مدرسة تبشيرية أخرى ، أيضاً في أمريكا (المدرستان تنتميان إلى طائفتين مسيحيتين مختلفتين ، ولكن العامل الموحد بينهما أنهما في رحاب الولايات المتحدة ، وقريبتان من البيت الأبيض) ، وهكذا فإن لغة الابنتين الأولى هي الانكليزية (أو قل : الأميريكية)، أما لغتهما العربية فضعيفة . . .

تقول أمينة إن فتى أحلامها هو الأمير تشارلز ، ولي العهد البريطاني . . . ثم تتساءل : ماذا لو تزوجت الأمير تشارلز (لم يكن الأمير متزوجاً يومها !)، هل ستكتب الصحف البريطانية على صفحاتها الأولى : ملكة النفط جاءت . . !! ولأن بدرية وابنتيها من آل الصباح فإن البنتين تتمنيان أن تكونا رجلين !! لماذا ؟ لأن الرجال من آل الصباح شيء آخر . . ويتمتعون بحرية لا تتمتع بها نساؤهم .

أما آل الغانم فهم لا يقلون ثراءً عن آل الصباح . . نسبياً طبعاً . . الأب مقيم دائماً في انكلتره . . يخلد إلى راحة مستديمة . . الأخ الأكبر عبد الله متزوج بسيدة اسمها لولوه تحبه كثيراً، وتحب أخاه ضراراً أيضاً . وضرار يحبها بقدر ما يحب أخاه عبدالله . ولكنه يحب صديقته ڤيكي ، المضيفة الجوية ، أكثر من

أخيه وزوجته . والحق معه في ذلك ، فقيكي ، مراكشية المولد مصرية الجنسية ، تتمتع بشفتين شهوانيتين وردفين طريتين تقومان بدور رئيسي في مهمات الترفيه بالرقص للجميع وتمتيع أنظارهم بهزّ البطن . . هذا عندما لا تكون مضيفة في الطائرة أو في فراش ضرار . فرقصتها حركة أرداف وقفزات قدمين صغيرتين ، لا يستطيع ضرار مقاومة إغرائها (الردفين) فينضم إلى الراقصة في حركاتها ويقوم بدور الشاب المغري جداً .

طبعاً يعتذر ضرار اعتذاراً صادقاً وعميقاً من وجود أكوام القمامة المتراكمة على الشاطىء الحالم الخاص بعائلته ، فالقمامة ، المؤلفة من زجاجات الويسكي والشمبانيا والجن ، تسيء إلى الجو الراقص لأنها فارغة ، فيأمر ضرار بإزالتها واستبدالها بزجاجات مليئة على الفور .

وقيكي تملك ، طبعاً ، فيلتها الخاصة بها في الكويت . يكذب ضرار الشائعات القائلة بأنه هو الذي اشتراها لها . فهي مضيفة جوية في شركة الخطوط الجوية الكويتية ، واشترت الفيلا من عرق (جبينها) . وضرار ناجح في أعماله التجارية الواسعة الانتشار ، ولكن هذا لا يمنعه من النجاح المنقطع النظير في عمله الآخر كدون جوان ومطارد نساء . شريكاه الكبيران في مغامراته هما الأميران السعوديان بندر وتركي بن فيصل . **ولهذا** فهو يقضي سهراته الليلية في الأماكن المناسبة وبرفقة الأصدقاء المناسبين

جدا . الأمكنة هي جزر البهاما ، نيس ، روما ولندن . . . وحين ينضم هو وصديقاه إلى طاولة الروليت فإن القليلين جداً في هذا العالم ، كما قال هو لليندا ، يستطيعون مجاراته ومجاراة صديقيه . .

ويحدثها ضرار عن أحب أهل الأرض إليه ، فيقـول إنهم الاسكتلنديون ، لأنهم « قبليون مثلنا تماماً . . . !! . ثم يحـدثها عن صديقته الاسكتلندية . كـانت الفتاة الـوحيدة التي تمنّى أن يـتزوجها ، ولكنـه أحجم ، كما سيحجم عن الـزواج بأيـة فتاة أوروبية أو عربية أجنبية (غير كويتية) . . . فالتقاليد أقوى من الحب !! ويضيف ضرار الساحر قائلاً :

« لدي نساء كثيرات . . بدون مقابل . . ولكن ليس لدي الوقت الكافي للتمتع بهن جميعاً . كنت في المغـرب قبل مـدة ، وجاءتني فتاة أميريكية ، وبدأت تتحدث . فدعوتها إلى العشاء ، ثم أخذتها إلى غرفتي . . كان الوقت متأخـراً فقلت لها : لـدي موعد عمل في الساعة السابعة صباحاً . . فاقفـزي إلى الفراش بسرعة . . . فجاءت إلى الفراش بسرعة » .

وبعد حكايات ضرار الغرامية ، تسمع الصحفية ليندا قصة تقول إنها على كل شفة ولسـان في الكويت . تقـول القصة إن واحداً من علية القوم ، لم يكن ضراراً ، وصل به الألم من « نفاق الكويت حول المسكرات وشربها » إلى درجة قرر معها أن يكون

« شهيد » تغيير الحال . قال إن السيل قد وصل الزنى ، فالأغنياء يشربون أفخر أنواع الويسكي والشمبانيا ، بينما الفقراء لا يجدون سوى « فلاش » وهو بيرة أو خمرة تصنع محلياً من العطور المقطرة !! وشربها يسبب العمى والكساح ! أليس هذا حراماً !! وبناءً على ذلك ، ولكي يكون ذلك الشهيد المناضل ، حزم أمتعته وغادر الكويت ، ثم عاد إليها ومعه حقيبة كبيرة مملوءة بزجاجات الويسكي ، وقدم نفسه لجمارك المطار . كان يأمل في أن يقدم للمحاكمة ، ويصبح نجماً مشهوراً ، ولكن الجمارك كانت أذكى منه ، فقد صادر موظفوها الويسكي (وقدموه هدية . . . للأغنياء !!) وأرسلوه إلى بيته ، وكأن شيئاً لم يكن . كل الكويت تتحدث عن الحادثة ، ولكن الكويت كلها تعلم أيضاً أن السلطة أذكى من أن تقع في مثل هذا الفخ !!

وتعود ليندا إلى نادي السباحة . . . ونادي سباق الخيل ، فتكتشف أن هناك ذباباً يملأ المكان . . ولا أحد يهتم بالذباب . . فتقول والحسرة تغلبها : وما هو الحل ، إذا كان الأعضاء في النادي لا يحبون الذباب ولكن الذباب يحب روث الخيول ؟؟

ولكن ليندا وجدت أن هناك قضايا أخرى غير الذباب تحتاج إلى حل وإلى جواب في الكويت ، ولكنه لم يأت بعد .

وختامها : عبدالله الطريقي

بعد ظهر كل يوم خميس ، وأحياناً يوم الجمعة من كل أسبوع ، تحضر سيارة غير فارهة إلى نادي الصيد والفروسية في الكويت ، وينزل منها رجل ذو شعر خطه الشيب ، وقور . يثير الفضول . شيء ما غير طبيعي يحيط بهذا الرجل تشعر حين تراه بأنه لا ينتمي إلى هذا المجتمع ولا إلى هذه الطبقات ، ولكن الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات تصر على الذهاب إليه وإلقاء التحية عليه .

يرد التحية ، ويبتسم لهم ، ويتحدث إليهم ، ثم يتوجه إلى اسطبل خاص يحتفظ فيه بفرسه « المجنونة » جميدة كما يسميها ، فهي إحدى الخيول النادرة التي سمح البحرانيون بإخراجها من بلادهم . كان الحاكم قد اختارها بنفسه للشيخ خالد ، أكبر مالك للخيول في الكويت ، ورئيس ديوان الأمير ، الذي قدمها هدية لهذا الرجل . يمتطي ظهر فرسه بهدوء ، ويركب ساهماً لوحده . إنه رجل يعيش حياة عزلة واضحة .

من أين أتى هذا الرجل ؟ وما هو أصله ؟ إنه يحمل جواز سفر كويتياً ، وآخر سورياً وثالث جزائرياً ، ورابع أردنياً ، وأخيراً حصل على جواز سفر سعودي . كانت السعودية آخر من قدم له المفتاح الذهبي . لماذا ؟ لأنه الرجل الذي ابتدع فكرة الأوبيك : مجموعة الدول المنتجة والمصدرة للنفط . وكان أول عربي نادى بالتأميم ، وأول من دعا إلى تحقيق شعار : نفط العرب للعرب . إنه عبدالله الطريقي ، أول وزير للنفط والثروة المعدنية في السعودية .

إن قصة النفط في الشرق الأوسط هي قصة حياة هذا الرجل ، مع فارق بسيط ، وهو أنه لن يهادن أبداً ، ولن يقبل بالحلول الوسط وأنه كان رجلاً أميناً مستقيماً صادقاً . لا يهتم الطريقي كثيراً برواية قصته ، بل يتطلع إلى المستقبل ، فلم يعد الماضي يهمه كثيراً . ولكنه تحدث في نهاية الأمر إلى الصحفية البريطانية ليندا **بلاند فورد** .

قال ان والده كان صاحب قافلة تنتقل بين الرياض والكويت . وحين ولد عبدالله عام ١٩١٩ في ما يسمى الآن بالعربية السعودية ، لم تكن هناك بلدان ولا حدود . أخذه والده إلى الكويت في كيس ملقى على ظهر جمل . كان في السادسة من عمره ، وكان والده يتوقع منه أن يبقى على ظهر الجمل طوال الليل كان قد عزم على إسكانه مع أخيه وإرساله إلى المدرسة

ليتعلم . يصف عبد الله حياته هناك فيقول :

«كنت أنهض في الصباح وأنظف البيت ، وفي المساء كنت أستعيد قطيع الماعز من الصحراء ، حيث تنتشر الفيلات الآن» .

بدأ العمل في الحادية عشرة من عمره ، حين أرسل وحيداً الى بومباي ليعمل عند تاجر أمي . كان عبد الله قد تعلم القراءة والكتابة ، فصار سكرتيراً ومحاسباً لذلك التاجر . وانتقل بعدها إلى تاجر آخر قرر أن هذا الصبي الذكي النبيه يجب أن يعطى الفرصة ليتعلم ، فأعاده من الهند إلى جزيرة العرب ، مع رسالة تقدمة وتعريف به مرسلة إلى وزير المالية السعودي، . واضطر عبدالله إلى ركوب جمل والسفر من الكويت إلى مكة لتسليم الرسالة . فوقع عليه الاختيار للالتحاق بمدرسة في القاهرة .

وما يزال عبد الله الطريقي يتفاخر حتى اليوم بأنه كان بطل السباحة في مدرسته تلك ، ولكنه كان يقضي معظم وقته في المدرسة والتحصيل . يقول :

« كنت أريد أن أصبح مهندساً ، رغم أني كنت غبياً جداً في مادة الكيمياء . وقد قال لي ضابط مصري يوماً إن الله حين خلق الناس خلق ثرواتهم معهم ، ولكن على هؤلاء الناس أن يكتشفوها . وقال الضابط المصري إنه حين كان يخدم في تركيا كان يشاهد الجيولوجيين وهم يجرون إلى قمم الجبال ثم يهبطون

منها ، ثم يصعدون فوقها . . . بحثاً عن المناجم والمعادن . . . بحثاً عن الثروة . وبدت لي تلك فكرة جيدة » .

بعد ذلك حصل على بعثة للدراسة في جامعة القاهرة ، ثم على منحة لدراسة الماجستير في الجيولوجيا والهندسة البترولية في جامعة تكساس . وشاء له القدر أن يكون أول وزير سعودي تكنوقراطي نفطي . ويصف تلك المرحلة فيقول :

« في القاهرة كان الأميريكيون شيئاً جديداً بالنسبة لنا ، وكانوا يعنون الكثير من الساعات الذهبية ، والخواتم الذهبية والعلكة الأميريكية !! وهكذا تكونت لدي فكرة تقول بأنني سأحب أمريكا حباً جماً » .

لكن عبد الله الطريقي كره أمريكا كرهاً شديداً .

« في نيويورك اشتريت كتاب دليل السائح ، ورحت أبحث عن اسم فندق ، فوجدت نفسي أدخل فندق والدورف آستوريا !! ولكن النتيجة أنني نمت على حصير على الأرض في مكان ما خلف ميدان تايمز ! » .

« أما في تكساس ، فقد ظنوني مكسيكياً نحيلاً . . . كنت دائماً وحيداً . . إلى أن التقيت بأميريكية شقراء كانت تبحث عن زوج ، وأعجبتها . « قالت ليندا : يبدو أنه أعجبها إلى درجة شجعتها على العودة إلى السعودية معه !

فرض السعوديون عبدالله الطريقي على شركة آرامكو في الظهران . كان العربي الوحيد المتخصص في شركة أميريكية ، ولم تكن آرامكو لترضى عن ذلك . أرادوا أن يعطوه غرفة في « ثكنات » العمال العرب ، فرفض وأصر على الإقامة في شقة من تلك التي أعدَّت لكبار الموظفين الأميريكيين . ولكن هذا لم يحل شيئاً . فقد كان الأميريكيون ينظرون باحتقار إلى زوجته التي تزوجت مواطناً محلياً . . . ويسكت عبد الله الطريقي لحظة ثم يقول : لم تكن تلك أياماً سعيدة .

في عام ١٩٥٨ نقله الملك سعود الى جدّة وسلمه أعلى منصب في عالم النفط . وفي عام ١٩٦٠ أصبح وزيراً للنفط (فلم يكن اليماني يومها شيئاً مذكوراً) وأصبح عبد الله قوّة لا يستهان بها . وكان منزله يعج دائماً بالناس والضحك والغزلان والكلاب السلاقية من انكلتره لأنه كان يهوى جريها في السباق (هذه الكلاب ، كان الملك سعود قد اشترى خمسة منها من انكلتره ، وحين ملَّ منها رماها في وجه عبد الله ، ولما كانت الكلاب ذكوراً وإناثاً ، وكانت خمسة فإنها سرعان ما ازدادت إلى سبعة عشر كلباً وكلبة !!)

كان مسؤولو آرامكو يكرهون عبدالله الطريقي ، لأنه اكتشف نقطة ضعف في حساباتهم ، فأجبر الشركة على دفع ١٤٥مليون دولار بمفعول رجعي عن فترات سابقة . يقول

عبد الله :

« كان هدفي الوحيد أن ألغي شراكتنا مع آرامكـو ، تلك الشراكة القائمة على المناصفة . قضيت عاماً كاملاً أتفاوض مع شركة يابانية لكي نحصل على ٥٦ بالمائة مقابل ٤٤ بالمائة تكون حصة تلك الشركة . لكني اكتشفت فيما بعد أن صهـر (الملك) فيصل (زوج شقيقته) كمال أدهم ، كان وكيل تلك الشركة، وأنها كانت قد قدمت له كمسيوناً قدره مليون دولار ، وبالإضافة إلى ذلك ، عقدت معه اتفاقاً سرياً تدفع له بموجبه إثنين بالمائـة من أرباحها . جنّ جنوني ، وأجبرت اليابانيين على إلغـاء كمسيون الإثنين بالمائة الذي وعدوا به كمال أدهم . أعتقد أن فيصل لم يغفر لي ذلك أبداً » .

حين عزل الملك سعود من منصبه عـام ١٩٦٣ ، استقال عبد الله الطريقي أيضاً ، ويقول في ذلك :

« لم أكن أستطيع البقاء في البلاد بدون عمل ، وكان واضحاً تماماً أن أرامكو تطلب رأسي . لم أشعر بالمرارة من ذلك ، فليس باستطاعتي أن أكره أحداً » .

وعلى الفور ، استخدمته الحكـومتان الكـويتية والجـزائريـة كمستشار لهما لشؤون النفط ، وقد احتفظ بالمنصبين فترة طويلة من الزمن . وعاش عيشة سعيدة في بيروت مع زوجته الثانية (فقد

كانت الأميريكية رحلت منذ زمن بعيد) . بقي في بيروت حتى عام ١٩٧٠ ، حين طرده اللبنانيون دونما إنذار ولا تبرير . فقد كانت ذراع فيصل وحقده الدفين قد وصلا إلى بيروت .

حاول العمل من القاهرة ، لكن كيف تعملِ في هذا المجال في بلد يستغرق جهاز الهاتف فيه يومين حتى يؤمن لك مكالمة هاتفية واحدة . ورحب به الكويتيون بسرور حين انتقل إلى بلدهم ، وقالوا « لقد عاد إلى بلاده ! » .

أمضى فترة طويلة يعمل مستشاراً نفطياً للعديد من الحكومات ، وجوازات السفر تشهد على ذلك . وحين مات الملك فيصل ، عاد عبد الله الطريقي لعقد صلح مع صديقه القديم ، الملك خالد . أعاد الملك إليه جواز سفره ، ولكن الصحفية استغربت ، واستغرب عبدالله الطريقي من استغرابها ، لأنه نشر بعد ذلك مقالة في مجلته « نفط العرب » جاء في عنوانها الرئيسي : أبعدوا هذه الطفيليات عن العرش !! وهاجم فيها كل من كان يحيط بالملك ! يقول الطريقي : إن من يحيط بالملك هم مجموعة من المتطفلين . . . إنني أقول دائماً ما أعتقد به ، فلماذا أتوقف الآن؟» .

بعد هذا الحديث ، يدعو عبد الله الطريقي الصحفية إلى شقته الصغيرة البسيطة ، ويعرفها على ابنه « زخر » من الزوجة

الأميريكية . يتساءل زخر :

« تسألينني : هل أنا عربي ؟ لست أدري ما جنسيتي !! لكني جئت لأعيش في هذا البلد . أستطيع لبس الحطاطة والعقال(أطلقت الصحفية على الحطاطة لقب : غطاء الطاولة !) فتكون الحطاطة بمثابة جدار يغمض عيني !. . . أما أعماقي . . فلم أكتشفها بعد » .

ذهب زخر إلى جدّة وهناك وعدته عائلة الجفلي بعمل ، وهي عائلة قوية تستطيع أن تقرر التعيين لوحدها ، وبدون الرجوع إلى سلطات أخرى .

ومع ذلك فلم يسمع زخر منها حتى الآن سوى صوت الصمت المطبق !

تضيف الصحفية قائلة :

« حين عدت إلى لندن ، علمت أن « السلطات العليا » ابلغت عائلة الجفلي أن الطريقي مرضي عنه ، ولكن ليس إلى درجة تسمح لها بتوظيف ابنه عندها.لا يدعي أحد بأن الطريقي كان غير أمين أو مخرباً ، لكنه كان ، كما يقول بعض المقربين ، سابقاً لأوانه . فلم يكن التأميم هو « الموضة » المقبولة في ذلك الحين . ويقول كبار آل سعود ، لقد استخدم بذلك حكمة ما كان يجوز له أن يستخدمها .

سيعود الطريقي إلى السعودية ليخلق المشاكل ، كما يقول « فينبغي أن يكون المرء في مكان يستطيع أن يؤثر من خلاله . أستطيع الذهاب إلى أوروبا ومهاجمة الفساد من هناك . ولكن طالما أن يدهم الطويلة طالتني في بيروت ، فلم لا تطالني في أوروبا ؟ أنظري إليهم : كل واحد منهم فاسد ومفسد . . بل ومقرف يثير الاشمئزاز . ولا أحد يشعر بالأمان والاستقرار في هذه البلاد (السعودية) . فلا عجب أنهم يريدون أن يكسبوا ثروتهم ويغادروها في أسرع وقت ممكن ! سأعود إلى العزبية السعودية وسأظل أقول ما أؤمن بأنه الحق . . وإذا ما صدمتني « شاحنة بالصدفة » أو أصابتني « أزمة قلبية » قبل أوانها ، فالأفضل أن أموت بتلك الطريقة . إني أفضل ألف مرة أن أنهي حياتي بتلك الطريقة على أن أكون جباناً خائفاً » .

« كنت أعتقد ، إلى حين ، أن الثورة هي الجواب وأما الآن . . فانظري ماذا فعل العسكر في البلدان الأخرى . إنهم يستبدلون الأساليب السيئة القديمة بأساليب سيئة حديثة . . كل ما نحتاج إليه هو الزمن . . زمن كاف وأناس كافون ، حتى ولو كانوا من العائلات المالكة . . . فالأفضل أن نتعلم أسلوب التغيير من الدَّاخل . . »

ويتوقف عبد الله الطريقي لحظة ثم يقول :

« من العبث أن يكون المرء كويتياً أو سعودياً هذا مجرد

تجزيء للكل ، وليس الكل أبداً . هذا ما فعله النفط بنا . وهو تغير غير طبيعي . الثروات الهابطة يمكن أن تصيب الأفراد ، ولكن لا تصيب الأمم والشعوب : هذه المخلوقات والكيانات المصطنعة ، مثل الكويت ، التي رسمتها دول أخرى على الخرائط ، لن تحقق أي إنجاز . وستظل دائماً تنفق ، ولن تنجز شيئاً أبداً . نحن فقط نفتح الحنفيات والصنابير ، ونحول النفط الى دولارات . هم يتحدثون عن بلدان منتجة للنفط ، وهذه نكتة مضحكة» .

« إن ما بين يدينا هو سيل مطر هدار ، ولكن بلا سدود . نحن أغبياء جداً . أذكر ما قاله سانت جون فيلبي يوماً للملك ابن سعود . قال : لا تتدخل في شؤون الناس ، ولا تدع النفط يلامس حياتهم . في ذلك الوقت حسبناه استعمارياً تقليدياً يتكلم ، وعميلاً امبريالياً . أذكر أنني ضحكت عليه وسخرت منه بنفسي . أما الآن فإنني أتساءل : هل كان فيلبي على حق يا ترى !؟» .

الخاتمة

ليندا بلاندفورد عن رحلتها في الخليج

تكشف ليندا بلاند فورد عن سر نجاحها في مهمتها التي تصفها وكأنها رحلة في أدغال إفريقيا . تقول إن ما دفعها إلى القيام بتلك الرحلة هي قصة حدثت في لندن في أواخر السبعينات ، حين أمضى سائق انكليزي شهرين يقود سيارة أمير سعودي . كانت السيارة من نوع رولز رويس ، وقيمتها في تلك الأيام ١٢٠٠٠ جنيه (أما الآن فقيمتها تزيد على مئة ألف جنيه) . ويوم توجه سموه إلى مطار لندن ليركب الطائرة عائداً الى بلاده أوصله السائق إلى المطار ، وهناك سأله ماذا يفعل بالسيارة ؟ فجاءه الجواب الصاعق : هي لك، فاحتفظ بها !

كان ذلك تعبيراً من الأمير عن تقاليده : وهي أن يعطي بسخاء للذين يخدمونه بإخلاص ، أما بالنسبة للسائق اللندني فقد كان ذلك حلماً يراوده في المنام . . . أما موظفو شركة الطيران

الذين سمعوا الحديث ، فقد أكدت لهم الحادثة صورة العربي في أذهانهم ، صورة ذلك الأحمق المعتوه الذي يملك الكثير من المال .

ولكن دوافع ليندا بلاندفورد كانت أوسع من ذلك بكثير فقد كانت هي الأخرى تحمل صورة عن « شيوخ النفط » لم تذهب للتحقق منها ، ولكن لتجد عن عمد ما يؤكدها !!

فما حقيقة ليندا بلاندفورد ؟

تقول في خاتمة كتابها :

« لقد تجولت في حدائق شيوخ النفط المسورة ، ولست واثقة من شعوري تجاه ما رأيت . كان لدي صورة واضحة عن عرب النفط قبل أن أتعرف على أي منهم» .

ثم تفجر ليندا قنبلتها :

« أنا يهودية ، وقد ساعدتني يهوديتي على فهم أشياء من حياة الغرب لا يستطيع المسيحيون الغربيون فهمها !! .

صرت أفهم لماذا تصدم سيارة « سبور » يقودها أمير سعودي في شوارع لندن . . لم أعد أسأل عن اسم ذلك الشخص . . يكفي أن أعرف أنه غني سعودي . . » .

فكلهم متشابهون الأفعال والأشكال .

« وصرت أفهم حوادث كثيرة بشكل أفضل بعد رحلتي

دعيت إلى حفلة عشاء مع دبلوماسي عربي ، وتنتهي الحفلة بشرب الأنخاب في بيت « معلمة » من مقاطعة سرى (Surrey) تحيط بها فتياتها « العاملات في خدمتها وخدمة زبائنها » وكبار الشخصيات من المدعوين . .

تتساءل « المعلمة » بين رشفتين من كأسها . .

« أنظري ! ألا يملك كل شيء ؟ أنظري إلى عينيه وحاجبيه . . . إنني أحبه إلى درجة لا أتقاضى منه معها قرشاً واحداً » ثم تلتفت إلى إحدى الفتيات الجميلات وتسأل . . . «أليس ذلك صحيحاً يا حبيبتي ؟»

أما « حبيبتها » فقد كانت فتاة انكليزية جميلة في السادسة عشرة من عمرها . وتقول ليندا إن الدبلوماسي السعودي سيدفع حتماً مبلغاً كبيراً ثمناً لهذا الصحن الشهي !!

وتضيف ليندا الغيورة :

« إن ما كان يثير غضبي في الماضي لم يعد يثيرني الآن ، ولا يدهشني . فهو ما أتوقعه دائماً ، وما يجب أن أتوقعه . لكن ما لا أتوقعه أبداً هو مكالمة هاتفية من « مضيف سعودي » صار صديقاً . فهو مع عائلته في لندن . ولكن اتصل وأتى . . ولم أصدق ما كانت أذناي تسمعان :

ـ أنا آسف يا ليندا . . فأنا لا أستطيع مقابلتك ، ولا أستطيع

السماح لأي من أفراد عائلتي بالحضور إليك . أنـا معك الآن لأن ذلـك يروق لي ، وهذه طريقتي . وكان لا بد من اخبارك بذلك صراحة ووجهاً لوجه !

ـ ولكن لماذا ؟ ماذا فعلت ؟

ـ هل تعلمين ما يقال عنك في الرياض ؟

ـ وكيف أعرف ذلك ؟ فأنا في لندن !

ـ يقولون : إنك جاسوسة !

ـ أنت تمـزح ! ولمن أتجسس ؟ وعلامَ ؟ هـل سألتـك عن عملك ولو مرة واحدة ؟

ـ أنت تعملين في دائرة الحرب النفسية « لديهم » !

ولم يصـدق هذا السعـودي أنني أكتب كتابـاً أصلاً ، أمـا السعودي الآخر الذي تعرفت عليه فقال إنني أكتب كتاباً فعلاً ، ولكن لمنظمات صهيونية . قلت له بكل شجاعة إنني يهودية ولكني لا أعمل لصالح منظمات صهيونية .

ـ ولماذا لم تقولي إنك يهودية .

ـ لأنكم كنتم سترفضون منحي تأشيرة دخول .

ـ ولكن هناك يهود كثيرون يعملون في السعودية . ليتك ما

أخفيت ذلك عنا . . لأن حكومتنا الآن ستشك في أنك جاسوسة . . .

ـ وهل يؤثر على علاقتك بي معرفتك بأنني يهودية . .

ـ أنا شخصياً . . لا !أبداً !

وبعد أيام تلتقي ليندا بأوسكار مندودي ، في فندق الهلتون في لندن . شرب كأسه وقال :

ـ قضيت اليوم مع السفير (مهدي التاجر) وكنا نتحدث عنك . ليتك تغضين النظر عن كتابة هذا الكتاب . هل تعرفين ما حلَّ بعميل المخابرات المركزية الأميريكية في أثينا في يوم عيد الميلاد ؟

ـ نعم . . إصطدم بطلقة رصاص . .

ـ هل تعرفين من قتله ؟

ـ كلا .

ـ إنك لا تعلمين الكثير . . . أنصحك بالاستماع لما أقول. أنا معجب بك يا ليندا ، وسيكون من المحزن جداً أن يقع لك مكروه . .

بعد أن زالت غشاوة الخوف عن عيني ليندا ، تساءَلت ، بينها وبين نفسها :ـ هل أحب العرب ؟ أحب القليل منهم ، وأكره

الآخرين . . أنا أعرف أن الغرب يضحك على ذقونهم ، ويسخر من ذوقهم البشع وتبذيرهم الأحمق . . وأنا أعرف أنهم يعرفون ذلك وأنه يغضبهم . .

ولكن غضبهم لن يدوم . .

فشيوخ النفط أصدقاؤنا ، ونحن بحاجة إلى حكام النفط المستبدين هؤلاء ، قدر حاجتهم إلينا . وإذا كنتم غير معجبين باستبدادهم ، فهل تفضلون قذافي آخر في السعودية ، أو كاسترو آخر في الكويت ؟ تذكروا أننا بحاجة إلى ذلك النفط الكامن تحت رمال الجزيرة العربية . . . وإن ما حدث عام ١٩٧٥ (تقصد اغتيال الملك فيصل) يجب أن يبقى في أذهاننا حتى نفهم عملية التطور الجارية هناك .

وتنهي الكاتبة كتابها بحديث جرى بينها وبين وزير ـ أمير سعودي . قالت ليندا للامير ـ الوزير :

ـ« لست واثقة من أنني سأكون راغبة في القدوم إلى هنا بعد عشر سنين من الآن . . . » .

فرد الأمير ـ الوزير

« ولست واثقاً أنا أيضاً من أنني سأكون راغباً في العيش في هذا البلد بعد عشر سنين من الآن » .

الفهرس

الموضوع الصفحة